الجزء الأول		المجلد الحادي والأربعون

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



كانون الثاني « يناير » سنة ١٩٦٦ م

رمضان سنة ١٣٨٥ هـ

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

انشئت سنة ١٣٣٩هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي	في جميع البلاد العربية	١٠٠٠ قرش سوري
	وفي سائر الأقطار	١٢٠٠ قرش سوري

وإذا طُلِب إرسال المجلة بالبريد الجوي تُضاف أُجرته إلى قيمة الاشتراك

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

قاسم بن ثابت السرقسطي

وكتابه

في غريب الحديث المسمى بالدلائل

في كتاب سيدنا الرسول العربي ﷺ لوائل بن حجر ولقومه الأقيال العباهلة من أهل حضرموت ألفاظ غريبة كان لا يفهم أكثرها الصحابة من حوله . لأنه كان يخاطب كل قوم من العرب بلغتهم الخاصة ، ومن هذا الكتاب : « على التيعة شاة والتيمة لصاحبها ، وفي السيوب الخمسُ لا خِلاط ولا وِراط ، ولا شِناق ولا شِغار ، ومن أجبَى فقد أربى[1] » ، وقد سئل ابن الأعرابي عن (التيعة) فقال : لا أدري ؛ وقال الإمام علي للنبي ﷺ ، وقد سمعه يخاطب وفد بني نَهد[2] : يا رسول الله ، نحن بنو أب واحد ،

---

(١) وعن الفرّاء : (التيعة) من الشاء القطعة التي تجب الصدقة ترعى حول البيوت و (التيمة) الشاة تذبح في المجاعة ، وقد ذكر الزمخشري في أول كتابه الفائق هذه الرسالة ، ومن شرحه لألفاظها : (السيوب) الركاز وهو المال أو المعدن المدفون جمع سيب بمعنى العطاء لأنه عطاء الله ، و (الخلاط) أن يخالط صاحب الثمانين صاحب الأربعين في الغنم ، و (الوراط) خداع المصدّق بأن يكون له أربعون شاة فيعطي صاحبها نصفها مأخوذ من الورطة ، و (الشناق) أخذ شيء من الشنق وهو ما بين الفريضتين ، و (الشغار) من أنواع الزواج في الجاهلية ، و (أجبى) باع الزرع قبل بدء صلاحه ، و (أربى) دخل في الربا ، والمصدر الإرباء .

(٢) بنو نهد من قبائل اليمن .

وزاك تكلم وفود العرب بما لا تفهم أكثره ، فقال : أدبني ربي فأحسن تأديبي ، وربيت في بني سعد (١) .

وظل أصحاب النبي يسألونه عما لا يفهمون له معنى فيفسره لهم ، واستمر ذلك إلى وفاته ، ولما فتحت الأمصار ، وخالط العرب من الأعاجم الفرس والحبش والروم والأنباط ، تداخلت اللغات ، ونشأ من مسلمة الأعاجم من تعلموا من العربية لغة التخاطب فحسب ، ثم نهج التابعون نهج الصحابة إلا أنهم كانوا أقل منهم ضبطاً وإتقاناً ، فصعب على كثير من المسلمين فهم ما ورد في القرآن والحديث من الغريب ، فاستعجمت العربية بأبناء الأعاجم ، واستشرى فساد اللغة ، وكثرت الألفاظ الغريبة ، فخرج الغُيُر على العربية من علمائها في جمع الغريب من ألفاظ الحديث والآثار ؛ ومما أورده ابن الأثير أيضاً في مقدمة نهايته في تاريخ تأليف غريب الحديث ما خلاصته :

قيل ان أول من جمع في هذا الفن شيئاً وألف فيه أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي ، فجمع من ألفاظ غريب الحديث والأثر كتاباً صغيراً ذا أوراق معدودات ، ولم تكن قلته لجهله بغيره من غريب الحديث ، وإنما كان ذلك لأمرين : أحدهما أن كل مبتدىء لشيء لم يسبق إليه فانه يكون قليلاً ثم يكثر ، وصغيراً ثم يكبر ، والثاني أن الناس يومئذ كان فيهم بقية ، وعندهم معرفة فلم يكن الجهل قد عم ، ولا الخطب قد تم ، ثم جمع أبو الحسن النضر ابن شميل (٢) المازني بعده كتاباً في غريب الحديث أكبر من كتاب أبي عبيدة وشرح فيه وبسط على صغر حجمه ولطفه ، ثم جمع عبد الملك بن قريب (الأصمعي) كتاباً أحسن فيه الصنع وأجاد ، ونيّف على كتابه وزاد ، وكذلك

(١) في العرب سعود كثيرة منها سعد تميم وسعد قيس وسعد بكر بن هوازن ومنهم حليمة السعدية التي أرضعت النبي ﷺ وكانوا من أفصح العرب وأكرمهم مروءة ووفاء .

(٢) توفي ٢٠٣ هـ .

محمد بن المستنير المعروف بقطرب وغيره من أئمة اللغة والفقه جمعوا أحاديث تكلموا على لغتها ومعناها في أوراق ذوات عدد ، ولم يكد أحدهم ينفرد عن غيره بكبير حديث لم يذكره الآخر ، واستمرت الحال إلى زمن أبي عُبيد القاسم بن سلاّم وذلك بعد المائتين فجمع كتابه المشهور في غريب الحديث والآثار ، ويروى أنه قال : إني جمعت كتابي هذا في أربعين سنة ، وهو كان خلاصة عمري ، وظل كتابه مرجع الناس إلى عصر ابن قتيبة الدينوري فصنف كتابه في غريب الحديث والآثار . وحذا فيه حذو أبي عبيد وتتبع ما أغفله من الألفاظ الغريبة .

وممن ألف في غريب الحديث والآثار وكان في زمان ابن قتيبة الإمام إبراهيم بن إسحق الحربي وجمع كتابه المشهور في غريب الحديث ، وهو في مجلدات عدة استقصى فيه الأحاديث بطرق أسانيدها ، ومثله ألف في الغريب شمر بن حمدويه ، وأبو العباس أحمد بن يحيى (ثعلب) ، وأبو العباس محمد ابن يزيد المبرّد ، وأبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ، وأحمد بن الحسن الكندي ، وأبو عمر الزاهد صاحب ثعلب ، ولم يخلُ عصر ممن لم يجمع في هذا الفن شيئاً ، وفي فهرست ابن النديم فصـــل خاص للمؤلفين في غريب الحديث كهؤلاء الذين مرّ ذكرهم ، وفي تراجم علماء اللغة والحديث من الفهرست كثير ممن لم يذكرهم ابن النديم في هذا الفصل ولعلهم يبلغون المذكورين أو يزيدون .

واستمرت الحال في تصنيف الغريب إلى عهد الإمام أحمد بن محمد الخطّابي وكان بعد ٣٦٠ هـ ، فألف كتابه المشهور الذي سلك فيه نهج أبي عبيد وابن قتيبة فقد ذكر الخطابي كتابيهما وأثنى عليهما ، وذكر في كتابه أنه ذكر ما لم يرد في كتابيهما من ألفاظ الغريب ، وفي عصر الخطابي صنف الإمام أحمد بن محمد الهروي صاحب الإمام الأزهري كتابه في غريب القرآن والحديث

وسماه كتاب الغريبين ، جمع فيه ما في كتاب أبي عبيد وابن قتيبة وغيرهما من المتقدمين ، فانتشر في الأمصار وصار العمدة في غريب الحديث .

وألّف أبو القاسم الزمخشري في غريب الحديث كتابه (الفائق) مقفّىً على حروف المعجم[1] ، ثم ألف محمد بن أبي بكر المديني الاصفهاني كتاباً سلك فيه مسالك الهرويّ وقد اختصره من كتابه ، ثم اطلع الإمام ابن الأثير على جميع ما صنف من قبله فألف كتابه النهاية في غريب الحديث والأثر ، وهو اليوم مرجع الباحثين عن غريب الحديث ، ولم يذكر في مقدمة كتابه الدلائل لأنه كتاب مغربيّ لم يطلع عليه ولم يبلغه ما قاله صاحب الأمالي فيه .

مزايا كتاب الدلائل . — لآل قاسم بن ثابت العوفيّين منزلة سامية بين علماء الأندلس ، ولكتاب الدلائل في شرح غريب الحديث مزايا جمـــة ، ولم يستغن عنه علماء الحديث واللغة ، فكانوا يفاخرون بقراءته ، نذكر على سبيل المثال الشيخ عبد الملك بن زهر الايادي ، ففي كتاب التكملة لابن الأبّار يروى عن أبي محمد بن عتاب أنه تناول منه موطئاً مالك والصحيحين والدلائل لقاسم السرقسطي . وكان العلماء يقرأون الدلائل على قاسم بن ثابت ، ويكتبونها عن الأصل ويفاخرون بذلك ، وذكرت التكملة ممن كتب الدلائل عبد الله بن محمد بن سارة البكري فقد كتب الدلائل لقاسم بن ثابت من أصله وقرأها عليه ، وتسلسل التحديث بالدلائل في أولاد قاسم منهم عبد الله ابن ثابت بن سعيد بن ثابت بن قاسم بن ثابت بن حزم العوفي ، فقد كان يحدث بالدلائل من تأليف جده الأعلى عن أبيه متصلاً ذلك في سلفه إلى جده ، وكان فقيهاً عريقاً في النباهة والعلم ، وحدث عنه من أكابر العلماء كثيرون .

---

(١) طبع للمرة الأولى في حيدر آباد الدكن ١٣٢٤ هـ ، ثم طبعتـــه في القاهرة دار إحياء الكتب العربية ١٣٦٤ هـ .

وفي الدلائل من غريب اللغة وشرحه المفصل ما ليس في غيره من كتب الغريب واللغة ، فقد جاء في (بغية الملتمس) (١) ترجمة لثابت بن قاسم بن ثابت ، وذكر فيها كتاب الدلائل فقال : هو كتاب مفيد ذكر فيه ما لم يذكره أبو عبيد (القاسم بن سلام) ولا الخطّابي وأورد فيه من اللغة ما لم يورده أحد من علماء الغريب ،

وكثيراً ما استشهد صاحب اللسان بالأحاديث النبوية وآثار الصحابة باختصار وحذف ، وهي كاملة في الدلائل ، مثال ذلك مادة (علج) في اللسان فقد جاء فيها ما نصه : « وعالجه فعلّجه عَلجاً : إذا زاوله فغلبه ، وعالج عنه دافع ، وفي حديث علي : إنه بعث رجلين في وجه وقال : إنكما علجان فعالجا عن دينكما ... » العلج الرجل القويّ الضخم ، و (عالجا) أي مارسا العمل الذي انتدبتكما إليه ، وجاء بعد حديث علي هذا في كتاب الدلائل ما نصه مع السند :

« حدثنا موسى بن هرون قال أخبرنا عليّ بن الجعد قال أخبرنا شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة قال : دخلت على علي أنا ورجلان : رجل منا - أي من بني مراد قوم عبد الله بن سلمة المرادي - ورجل من بني أسد أحسبه ، قال : فوجّهها وجهاً فقال : إنكما علجان فعالجا عن دينكما . » وبحديث الدلائل عرفنا الرجلين وقوميهما ، واطمأن القلب بالسند فان موسى ابن هرون قد ذكره ابن حبان في الثقات ، وحسب علي بن الجعد أن يروي عنه مثل البخاري وأبي داود وأحمد وابن معين الذي كتب عنه أكثر من ثلاثين سنة ؛ ثم من شواهد مادة (علج) في الدلائل وهي غير موجودة في اللسان رجز الحديث التالي الذي رواه سهل بن محمد (أبو حاتم السجستاني) عن الأصمعيّ قال : أنشدني أعرابي من بني بكر بن وائل في مسلمة بن عبد الملك :

---

(١) ص ٢٣٨ .

مسلمَ يا خيرَ قريش درجا أجلَّها حلماً وأنجاها حِجا
إذا المدات اعتلجن عَلَجا كنتَ باذن الله منها مخرجا

ومن الشواهد المتعلقة بهذه المادة ولا توجد في اللسان : حديثُ يحيى ابن معين عن الأبرش قال : حدثنا محمد بن اسحق قال : رأيت سالم بن عبد الله (١) يلبس الصوف : وكان علج الخلق ، يعالج بيديه ويعمل ، وقوله (علج الخلق) مثل حديثه الآخر الذي يقول فيه : (كان ذا كِدنة) قال أبو زيد يقال : ما أحسن كِدنته وعِبْدته أي قوته وأنشد :

إني على ذاك لباقٍ كِدنتي وتارك وجهيَ بين صِبيتي
وجاعل ذكرَ الغواني همتي

وفي مادة (حزم) من اللسان يستشهد ابن منظور على قولهم : شدَّ حَزيمَه وحيازيمَه أي تشمَّر للأمر بقوله : « وفي حديث عليٍّ عليه السلام :

أشددْ حيازيمَك للموت فان الموت لاقيكا

وعبارة الدلائل : « وفي حديث علي بن أبي طالب أنه كان إذا نظر إلى ابن ملجم يقول :

اشددْ حيازيمَك للموتِ فان الموت آتيكا
ولا تجزع من الموتِ إذا حلَّ بواديكا

حدثنا ابن الهيثم عن داود بنُ محمد عن ثابت بن عبد العزيز ، قال يقال للرجل : أشددْ حيازيمك لهذا الأمر أي تشمر للأمر ، أي وطِّنْ نفسك عليه ، والحيزوم الصدر وما احتزم به قال الراعي :

زجلُ الحداء كأنَّهُ في حيزومه قصباً ومقنعة الحنين عجولا

يقول كأنَّ في صوته مزاميرَ من حسنِ صوته ، وقوله (مقنعة الحنين)

(١) هو حفيد عمر بن الخطاب ، أحد الفقهاء السبعة . وكان من الثقات الأثبات يشبه أباه في الهدي والسمت .

يعني ناقة إذا حثّت رفعت رأسها وأقنته ، وبعضهم يسمي الحيزوم حزيماً قال أعشى باهلة :

إني أشد حزيمي ثم يدركني منك البلاء ومن آلائك الذِكَرُ

وفي حديث العائذي التالي الذي جاء في الدلائل صلة لشعر أحيحة بن الجُلاح لم تذكر في الأغاني (١) ولا في خزانة الأدب للبغدادي ولا في محاضرة المجمع العلمي للمغربي عن أحيحة ولا غيرها مما لم أطلع عليه ، والحديث هو : حدثنا أحمد بن زكرياء العائذي في حديث له إن المثل الذي تمثل به عليّ ابن أبي طالب رحمه الله هو لأحيحة بن الجلاح (٢) يقوله لابنه سهل وزادنا فيه :

ألا أبلغْ سهيلاً أنني ما عشتُ كافيكا

فلا يشغلْك عما لكَ في السيف تَرائيكا

وسمّح عنك في المشية لا يجدي تَبازيكا

فان الدرعَ والبيضة يوم الروع تكفيكا

وقوله (لا يجدي تبازيكا) فان البزاء في الظهر أن يتأخر العجز ويستقدم الصدر ، فتراه لا يقدر أن يقيم ظهره ، يقال : رجل أبزى وامرأة بَزواء ، ويقال للمرأة إذا كانت عجيزتها خارجة : قد تبازَت قال عبد الرحمن بن حسان :

فتبازَتْ وتبازختُ لها جِلسةَ الجازر يَستنجي الوترْ

وقال كثير :

رأتني كأشلاء اللحام وبعلها من القوم أبزى منحنٍ متباطنُ

وهنالك شروح نفيسة أخرى تركناها خشية الإسهاب ، وفي هذا الحديث نجد اللسان قد اقتصر على البيت الأول من شعر أحيحة ، وهو الذي يستشهد

(١) الأغاني ١٣/١١٥ وخزانة البغدادي ٢/٢٣ ومحاضرات المجمع العلمي العربي ١/١٦٧ .

(٢) الأوسي (ـ ١٣٠ هـ) شاعر جاهلي من دهاة العرب وأبطالهم كان سيد يثرب في الجاهلية ، وله فيها أطام ومزارع ومال كثير ، أما شعره فالباقي منه قليل ولا نعلم له ديواناً مخطوطاً .

العروضيون به على الخزم الذي قد يكون جملة مثل (أشدد) ، وفي الدلائل ستة أبيات ، وبمثل هذا الاستشهاد والتفصيل الجميل تزداد معاني الغريب وضوحاً وبياناً ورسوخاً في الذهن .

أما القاموس المحيط فمما انتقدوه على معجمه ما في تعريفاته للكلمات من اختصار مخل بالمعنى الدقيق والوصف ، وما قصده إلا حشو أكبر عدد من المفردات في قاموسه ليفتخر بذلك على الجوهري وصحاحه ، وتعريفات الصحاح أوضح وأتم من تعريفات القاموس ، وفي الدلائل من الشروح ما هي أشد تفسيراً وتصويراً من القاموس والصحاح وغيرهما .

نسب قاسم بن ثابت المصنف وأسرته . — قال ثابت بن قاسم [١] : ولد أبي قاسم بن ثابت سنة ٢٥٥ هـ وتوفي بسرقسطة [٢] سنة ٣٠٢ هـ ، وتوفي جدي ثابت بن حزم بن عبد الرحمن بسرقسطة سنة ٣١٣ هـ ، وهو ابن خمس وتسعين سنة ، وقال ثابت : خرج أبي مع جدي إلى الحج سنة ٢٨٨ هـ فسمعا بمكة من مثل أبي محمد عبد الله بن الجارود ومحمد بن علي الصائغ وأبي عمران موسى بن هرون الجمال ومحمد بن القاسم الجمحي وغيرهم ؛ وسمعا بمصر من جماعة منهم محمد بن أحمد بن الهيثم التميمي وأحمد بن عمر بن عبد الخالق البصري البزّار وأحمد بن حمزة بن محمد بن هرون ؛ وسمعا بالأندلس من محمد بن عبد السلام الخشني وعبيد الله بن يحيى ومحمد بن وضاح ومطرّف بن قيس ، وانفرد جدي ثابت بالرواية عن بقيّ بن مخلد ومحمد ابن أحمد العتبي ، قال ثابت : وكان قاسم (أبي) ورعاً فاضلاً ، وهو من بني عوف من غطفان .

(١) هذه المعلومات غير موجودة في كتب تواريخ الأندلس المطبوعة ، وهي منقولة بخط الناسخ من آخر صفحة من النسخة الظاهرية الدمشقية .

(٢) واسمها الاسباني Zaragoza .

قال الحكم المستنصر الخليفة الأموي : سألت ثابتاً عن نسبه فقال : من بني عوف ، قال الحكم : فذكرت ذلك لزكرياء بن الخطاب فقال : هم من البربر يتولّون زهرة بن كلاب ، فوقع بينه وبين الذين كان يتولاهم كلام (أي خصام) فحلف ألا ينتمي إليهم ، ثم ندم وتذمّم من ذلك فكتب العوفي ، فقلنا له : يا أبا القاسم ما هذا ؟ فقال : أليس عبد الرحمن بن عوف ، وانه من والى ولد عبد الرحمن فهو مولى عبد الرحمن ؟ قال الحكم : فقال لي زكريا بن خطّاب : هو مولى زهرة مولى علاقة ، وهم من البربر وانتهاء البربر إلى ولاء زهرة في ذلك الثغر وذلك الشرف كثير جداً ، لا ترى أحداً من البربر يذكر غير ولاء زهرة إلا الشاذ ، يزعمون أنهم أسلموا على يدي رجل من ولد عبد الرحمن بن عوف كان عندهم في الثغر وقت افتتاح الأندلس ، وتوفي ثابت ابن قاسم بن ثابت بن حزم السرقسطي سنة ٣٥٢ هـ ومولده سنة ٢٨٩ هـ وقد بلغ من السن ٦٣ سنة .

من هو مؤلف الدلائل ؟ — في كتاب بغية الملتمس للضبي ترجمة لثابت بن قاسم جاء فيه ما نصه : قال الحميدي : وقد رأيت من ينسب الكتاب إلى ثابت ، ولعله من أجل روايته إياه وزياداته فيه نُسب إليه ، وإلا فالكتاب من تأليف قاسم بن ثابت أبيه ، قال : هكذا قال لنا أبو محمد علي ابن أحمد وغيره ، وقد رأيت في بعض النسخ (كتاب الدلائل لثابت) رواية أبيه عنه ، وكان بعض أشياخي يقول : إن قاسماً روى هذا الكتاب عن أبيه ، وإن المؤلف ألفه بمصر والله أعلم . وأما ما جاء في نفح الطيب في ترجمة قاسم بن ثابت فمنه : ومنهم قاسم بن ثابت أبو محمد السرقسطي العوفي رحل مع أبيه فسمع بمصر من أحمد بن شعيب النسائي وأحمد بن عمرو البزّار ، واعتنى بجمع الحديث واللغة هو وأبوه فأدخلا الى الأندلس علماً كثيراً ، ويقال إنهما أول من أدخل كتاب العين إلى الأندلس ، وألف قاسم

في شرح الحديث كتاباً سماه الدلائل بلغ الغاية في الإتقان ومات قبل إكماله فأكمله أبوه ثابت بعده .

فكتاب (الدلائل) في بغية الملتمس هو لثابت بن قاسم ، وهو على رأي الحميدي من تأليف قاسم بن ثابت أبيه ، نسب لثابت الابن من أجل روايته عن أبيه وزياداته فيه ، والكتاب على رواية المقري في نفح الطيب من تأليف قاسم وانه مات قبل أن يكمله فأكمله أبوه ثابت بعده ، أي أبو قاسم ، وهو الصحيح . فليس الكتاب من تأليف ثابت الابن ولا الأب بل هو لقاسم بن ثابت كما ذكره أبو محمد علي بن أحمد وهو الإمام ابن حزم شيخ المعقول والمنقول ، والذي بأقواله تطمئن العقول .

وصف المخطوطة الظاهرية . — ألّف الناسخ المخطوطة الظاهرية من سفرين لم يبق منها غير الثاني الذي يبتدىء بأحاديث الإمام علي بن أبي طالب . والسفر الأول مسروق من خزانة العمرية أو الضيائية قبل نقلها إلى قبة الملك الظاهر ، وهو يشتمل على أحاديث النبي ﷺ وعلى آثار أبي بكر وعمر وعثمان من الراشدين ، وكانت هذه النسخة قبل العمرية من كتب المدرسة الضيائية بسفح قاسيون ، وقفها علي بن سالم بن سليمان الحصني ، وقد كتب الناسخ على صفحة العنوان : « السفر الثاني من كتاب غريب حديث رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين ، وما جاء في ذلك من اللغات والأمثال والمصادر والشاهد تأليف القاسم بن ثابت بن عبد الرحمن العوفي السرقسطي رحمه الله » وكتب الناسخ تحت هذا العنوان ثلاثة أبيات لأبي الفتح البستي نثبتها لفائدتها وهي :

يقولون : كم تشقى بدرسٍ تديمه ... وتمعن فيه دائباً كل إمعانِ
فقلت : ذروني إنما أنا كادحٌ ... لأكمل ذاتي أو لأجبر نقصاني
إذا لم يكن نقصان عمري زيادةً ... لعلمي فإني والبهيمة سيانِ

وهذه النسخة الظاهرية برقم ١٥٧٩ أندلسية الخط وقرطاسها صقيل مصفر ، وهي مضبوطة بالشكل الصحيح غالباً ، ومن تمام الضبط أن الكلمة إذا كانت تقال بفتح أولها وضمه وضع على الحروف فتحة وضمة ، فوقها رمز (معا) ، بحرف دقيق أي تقال بالحركتين معاً كقولهم (تركته بهُـَوب دابر) وفمل (وجَـِيم) يقال بفتح الجيم وكسرها وفوق الفتحة (معا) ويضع تحت الحاء والعين حاء أو عيناً صغيرة ، ومع كل هذا الضبط يبدو أن الناسخ كان لا يقيم وزن الشعر ، فقد ذكر ما أنشده الضحاك بن قيس في الكوفة على قبر زياد ، وهو بيتان من الشعر كتبها الناسخ متصلين كما يكتب النثر والبيتان هما :

إن تحت الأحجار حزماً وجوداً وخصيماً ألدّ ذا مغـــلاقِ

حية في الوجار أربد لا ينـــفع منه السليمَ نفثُ الراقي

وكأن الناسخ نسي أن يكتب اسم الكتاب (الدلائل) في أعلى صفحة العنوان ، ولم ينس ذكر الاسم في خاتمة الكتاب ولا تاريخ نسخه ومكانه ، وانما جاء ما نصه : « تمّ كتاب الدلائل والحمد لله كثيراً على عونه وصلى الله على محمد نبيه وعلى أهله وسلم ، وكان تمامه بمدينة قرطبة في شهر جمادى الأولى الذي من عام تسعة وتسعين وأربع مائة ، كتبت جميعه من كتاب قوبل بكتاب ثابت بن قاسم بن ثابت بن حزم العوفي السرقسطي الذي بخطه ، وكان كتبه للحكم أمير المؤمنين من الكتاب الذي عمل فيه أبوه قاسم بن ثابت » .

ومقاس الصفحات من المخطوطة ومسطرتها (٢٠ × ١٤) بدون اعتبار الحواشي ، وهي في الهوامش منها ما هو بخط الناسخ وما هو بخط غيره لاختلاف القاعدة والحبر ، ويتألف السفر الثاني الباقي من ١٨٠ ورقة أو صحيفة أي من ٣٦٠ صفحة ، وفي كل صفحة خمسة وعشرون سطراً ، والسطر مؤلف مما بين ١٠ — ١٣ كلمة مع اعتبار العوامل ، وخط المخطوطة مغربي أندلسي ومضبوط بالشكل الكامل وتغلب — ولله الحمد — الصحة عليها .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله

حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه

قال القاسم بن ثابت في حديث علي رضي الله عنه

الصفحة الأولى من نسخة دار الكتب الظاهرية

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم

وقال في حديث النبي صلى الله عليه وسلم

أنه أُتي بعُلالة شاة فأكل منها ثم صلى ولم يتوضأ . يرويه سفين عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر . قوله بعُلالة شاة يريد بقية يسيرة كانت بقيت منها .

وقال الراجز :

أحمل أمي وهي الحمّالة … ترضعني الدِّرّة والعُلالة

ولا يجازى والدٌ فعاله … فالدِّرّة أول ... والعُلالة اللبن بعد حلب الدرّة

تنزله الناقة ولا أم تعلل صبيها بشيء من المرق واللبن . وأنشد :

وقال الذي يرجو العُلالة ورّعوا عن الماء لا يطرقن هن طوارقه

قال ابن حبيب ... أنا ... بأصغر ... بها لا أنا بعيه .

وأخبرنا أبو الحسن عن أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي قال التعلّة والتعلّل من اللهو واللعب . وأنشد :

علالتها أن تنبل النهار تعلّة … بإرقال ... مرقال تخب وتعنق

لقد ... كان لم ... ومن ربع من خير علالة ... شائق

لما ... من اللبن ... وربع ... وألقاه ... وربع أيضا . وقال الأسود بن يعفر :

أمن الجد الذي ... متعلل على الناس فهو شأن بالناس يفعل

وما ... عنده يستعبر ليبتليني ... أمال ... يتحلّل

وأخبرنا إسحق ... قال قال الزبير بن بكار قال ... أبو ... بن ... العرا

في ... بن ... ولد ... الحسن بن تولب ... وكانت له صحبة مع رسول الله

صلى الله عليه وسلم ... الشيب بالسلة .

... علة ... على كل ... العظا ...

المخطوطة الرباطية المغربية . — وهي من مخطوطات الأوقاف والخزانة العامة بالرباط ورقمها ١٩٧ ، وخطها مغربيٌ أندلسي ، ولا نعلم مقاسها الأصلي ومسطرتها لأنها ليست لدينا ، وهي مؤلفة من ٦١٦ ورقة ، وفي آخر صفحاتها ما نصه : (بلغت بالمقابلة من الأصل المنتسخ منه والحمد لله على ذلك) وتحت هذه العبارة صورة خاتم كتب في دائرته : مكتبة الزاوية الناصرية ـ تمكروت ، وفي المركز رقم ٣٢٣ .

وبمقابلة نسختنا الظاهرية الشرقية بهذه النسخة المغربية ظهر لنا أنها قد سدت من نسختنا نقصاً كبيراً ، ذلك أن نسختنا تتألف كما ذكرناه من سفرين أولها مفقود ، والسفر الثاني الموجود يبتدئ بأحاديث عليّ بن أبي طالب ، فالسفر الأول إذن كان يشتمل على الأحاديث النبوية وأحاديث الخلفاء الثلاثة من بعده ، وقد وجدنا أن النسخة المغربية تشتمل من أحاديث النبي ﷺ على ٨٨ ورقة فيها مئة حديث نبويٌ ، ومن أحاديث أبي بكر على ٢٧ ورقة وفيها ١٨ حديثاً ، ومن أحاديث عمر بن الخطاب على ١٤٦ ورقة مشتملة على ٥٦ حديثاً ، ومن أحاديث عثمان على ٢٤ ورقة فيها عشرة أحاديث ، مجموع هذه الأوراق ٢٨٥ ، ومجموع أحاديثها ١٨٤ حديثاً خلت منها نسختنا الظاهرية ، وذلك أحب الينا من كل عوض جليل وغنم جزيل .

أما أحاديث الإمام علي فهي بأجمعها في نسختنا الشرقية وبترتيب المغربية ، ويأتي بعدها بالترتيب المحكم في النسختين أحاديث الزبير وطلحة وسعد وأبي عبيدة وعبد الرحمن بن عوف وأبي بن كعب وأبي موسى الأشعري والمقداد والعباس وزيد بن ثابت وبقية أعلام الصحابة وكبار التابعين .

أجل ، كان السرور عظيماً بوجود نسخة ثانية من الدلائل في خزانة الرباط العامة فيها وجدنا من ضالتنا سداداً من عوز وسداً لنقص المفقود أو جلّه من هذا الكتاب الجليل مما أوجب علينا أن نشكر الأستاذ عبد الله الرجراجي محافظ خزانة الرباط العامة الذي أرسل لمجمعنا العلمي العربي فلماً من المخطوطة الرباطية حمله إلينا عضو مجمعنا الدكتور شكري فيصل جزاه الله خيراً ، والرجاء من كل من يقرأ من الأفاضل هذا المقال عن الدلائل أن يبحث لنا عن نسخة ثالثة لعلها تكون الكاملة ، وسيشرع المجمع في نشر الدلائل بعد العثور عليها ، والإبطاء مع التمام خير من العجلة مع النقصان .

هل النسخة المغربية ناقصة ؟ — قيل لنا ان الناسخ المغربي قد جزّأ النسخة الرباطية أجزاء ثلاثة ينقص أولها ، ونسختنا المشرقية الظاهرية مؤلفة من سفرين ضاع أولهما ، ولم تظهر التجزئة الثلاثية لنسخة الرباط إلا بالعبارة التالية التي جاءت آخر الورقة ٣٠٦ ولفظها : « تمّ الشرح بحمد الله وعونه ، وصلى الله على محمد نبيه وعبده وعلى آله وسلم تسليماً وزادهم شرفاً وتعظيماً ، يتلوه في السفر الثالث إن شاء الله تعالى : « وقال في حديث النعمان بن بشير رحمه الله : » وليس في الورقات وعددها ٣٠٦ ما يشعر بانتهاء الجزء الأول بما يشبه قوله هذا مثل (يتلوه في السفر الثاني إن شاء الله كذا ...) » . ونحن مع ذلك لا نجزم إلا إذا وقعت له نسخة كاملة من الدلائل بأجزائها الثلاثة ، وبالمقابلة بين الناقصة والكاملة يتبين لنا مبلغ النقص ، وقد كتبت إلى كثير من أفاضل المغرب ومنهم البحاثة السيد محمد ابراهيم الكتاني المولع بتراث السلف وبالبحث عن مخطوطاته فكان في جوابه ما يضعف الرجاء ويخيّب

الأمل ، ومما كتبه : « وإني أؤكد لكم أنه لا تعرف لحد الآن في المغرب ورقة أخرى من كتاب الدلائل لا في القرويين بفاس ولا في أقسام الخزانة العامة بالرباط ، ولا فيما نظمناه إلى الآن بالقصر الملكي بالرباط ولا في مراكش ومكناس وتازة ووزان وابزمة وتانغالت والزاوية الحمزاوية وتطوان ، باستثناء المجلدين اللذين أرسلناهما لكم ، وكان من توفيق الله تعالى أن هيأ لي فرصة العثور عليها بين حوالي أربعة آلاف مخطوط بمكتبة زاوية تامكروت الناصرية التي تبعد عن الرباط بنحو ٨٠٠ كيلو متر في الصحراء ، والتي قضيت بها أزيد من أربعين يوماً ثم أسرعت بنقلها إلى الرباط وتصويرهما والتعريف بها ، وكنت أعتقد أنها النسخة الفريدة إلى أن زارني صديقنا العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي صحبة صديقنا الأستاذ خير الدين الزركلي ، فلما أطلعته عليها أخبرني بوجود جزء آخر عندكم وكنت أرجو أن يكون متمماً للنسخة ، فكشف الغيب الآن خلاف ذلك ، » ولذلك شرعنا في تحقيق النسخة الرباطية واتخذناها أماً لأنها أكمل من الدمشقية ، ومتى وصل التحقيق إلى أحاديث علي ، وهي أول السفر الثاني من النسخة الظاهرية ، قابلنا إحدى النسختين بالأخرى ، وأثبتنا في الحواشي ما في الاختلاف من فائدة ، وهذا ما يراه السيد الكتاني الذي وعدنا بأن يواصل البحث عن نسخة أخرى للدلائل ، لنضيف إلى دلائلنا ما ينقصها ، والسيد الكتاني من أسرة نبيلة صديقهم غير عاتب وآملهم غير خائب إن شاء الله .

اشتهار الدلائل في المشرق . — جاء في تاريخ علمـــاء الأندلس لابن الفرضي : « أخبرني العباس بن عمرو الورّاق قال : سمعت اسماعيل بن

القاسم البغدادي (١) يقول : كتبت كتاب الدلائل ، وما أعلم انه وضع بالأندلس مثله : فتعصّب ، ولو قال اسماعيل : انه ما وضع بالمشرق مثله ما أبعد » يريد أن أبا علي القالي صاحب الأمالي قد تعصّب للمشرق لبلاده وقومه . وإنه لو أنصف لقال : ولا وضع في المشرق مثله أيضاً .

وجاء في طبقات النحويين واللغويين للزبيدي في ترجمة ثابت بن عبد العزيز السرقسطي وابنه قاسم قال : وألف قاسم كتاباً في شرح الحديث سماه كتاب الدلائل ، وبلغ فيـــه الغايتين الإتقان والتجويد حتى حسد عليه وذكر الطاعنون أنه من تأليف غيره من أهل الشرق : فمات قبل إكماله فأكمله أبوه ثابت بن عبد العزيز ..

ثم قال : سمعت اسماعيل بن القاسم البغدادي يقول : لم يؤلف بالأندلس كتاب أكمل من كتاب ثابت في شرح الحديث ، وقد طالعت كتباً ألفت فيما لديكم ، ورأيت كتاب الخشني في شرح الحديث وطالعته فما رأيته صنع شيئاً ، وكذلك كتاب عبد الملك بن حبيب .

قال محمد بن حسن : ولو قال اسماعيل انه لم ير بالمشرق كتاباً أكمل من كتاب قاسم في معناه لما رددتُ مقالته ، على أن لأبي عبيد في هذا الفن فضل السبق إليه ؛ وقال اسماعيل : أخذت كتاب الدلائل على ولد قاسم إعجاباً مني بالكتاب !

---

(١) رحل أبو علي إلى المغرب سنة ٣٢٨ هـ ودخل قرطبة في أيام عبد الرحمن الناصر الذي كتب اليه ورغّبه في الوفود عليه وكان أهل المغرب يلقبونه بالبغدادي لمجيئه اليهم من بغداد ، وفي هذه الزيارة للأندلس كتب كتاب الدلائل بيده استحساناً له واعجاباً بما اشتمل عليه .

وذلك يدل على أن علماء الحديث واللغة في المغرب ومن اطلع عليه كأبي علي القالي من علماء المشرق قد قدروا كتاب الدلائل لقاسم بن ثابت السرقسطي حق قدره (١) وكتب بعض علماء المغرب فوق حديث الإمام علي بيده خبير من النسخة الرباطية هذين البيتين الصادقين :

هذا الكتاب ولو يباع بوزنه ... ذهباً لكان البائع المغبونا
ومن الخسارة أن تراني آخذاً ... ذهباً وأعطي لؤلؤاً مكنونا

التنوخي



(١) وكان كتاب الدلائل من نفائس مخطوطات الحكم المستنصر بالله الأموي الذي كانت خزانة كتبه كما قيل تشتمل على نحو أربع مائة ألف كتاب ، وباسمه طرّز أبو علي البغدادي القالي كتابه الأمالي .

حياة الألفاظ

كلما قلّبنا النظر في صفحة من صفحات معجماتنا شهدنا في عالم اللغة ما نشهده في عالم الطبيعة ، فانّ قوانين تنازع البقاء والانتخاب الطبيعي تجري أحكامها على آفاق الألفاظ جريانها على آفاق الحيوان والنبات ، ألفاظ تموت وألفاظ تعيش ، ألفاظ تحافظ على أصول معانيها ، وألفاظ تتحوّل من معنى إلى معنى ، مرةً تنتقل من وجهٍ خاص إلى وجهٍ عام ، ومرّةً من وجهٍ عام إلى وجهٍ خاص ، ألفاظ تشقى وألفاظ تسعد ، فاللغة لا تثبت على حالٍ ولا تجمد على وضعٍ ، وحركتها مستمرّة على تعاقب السنين ، ولعلّ الاستشهاد ببعض الأمور يوضّح لنا حياة الألفاظ أتمّ توضيح .

كنت أطالع الكامل للمبرّد ، فوجدت فيه أن حارثة بن بدر كان رجل بني تميم في وقته ، وقد غلب على زياد وغلب الشراب عليه ، فقيل لزياد إن هذا قد غلب عليك وهو مستهتر بالشراب ، أفلا تطرحه ، فلم يطرحه زياد لفضائل وآداب كان يراها فيه ، فلمّا مات زياد جفاه ابنه عبيد الله ، فقال له حارثة : أيها الأمير ! ما هذا الجفاء ، مع معرفتك بالحال عند أبيك أبي المغيرة ، فقال له عبيد الله : إنّ أبا المغيرة كان قد برع بروعاً لا يلحقه فيه عيب ، وأنا حَدَث ، وإنما أنسب إلى من يغلب عليّ ، وأنت رَجُل نديم الشراب ، إلى آخر هذا الخبر الذي يدلّ على عقل عبيد الله ، فالذي يهمنا في هذا المقام من الخبر كله إنما هو هذا المصدر : البزوع ، في المعجم : برع ويثلث ، براعة وبروعاً ، فاق أصحابه في العلم أو غيره ، أو تمّ في كل فضيلة وجمال ، فهو بارع ، وهي بارعة .

البراعة والبروع مصدر واحد ، ولكن البراعة غلبت على البروع ، فعاش هذا المصدر البروع حيناً من الدهر ثم حلّ محلّه أخوه المصدر الثاني : البراعة ، ودخلت البراعة في بعض علوم الأدب ، فقالوا : براعة الطلب وبراعة الاستهلال ، ولم يقولوا : بروع الطلب وبروع الاستهلال ، ولا يزال مصدر البراعة هو المستعمل في عصرنا ، وما أظن أن أحداً يميل إلى استعمال البروع بدلاً من البراعة ، ما عدا الذين يتوخون الحذلقة في الكتابة ، فيميلون عن ألفاظ مألوفة إلى ألفاظ غير مألوفة ؛ ولا ريب في أن الذين هم من هذه الطبقة في البيان يخرجون عن الطبع ويتكلفون ، والكلفة لم تكن محمودة في عصر من العصور ، غاية الألفاظ أن يفهمها الناس ، فاذا قلنا اليوم : البروع ، بدلاً من البراعة ، أشكل على القارئ المعنى واستنجد بالمعجم ليبحث عن معناها ، لا شك في أن استعمال البروع صحيح لا لحن فيه ، ولكن اللغة لها قوانين ، فما كل صحيح مستحسن ، فمن الألفاظ الصحيحة ما مات وحلّ محلّه لفظ لا يزال يعيش ، من هذا القبيل : البراعة والبروع ، على أن البروع ليست ثقيلة حتى تقوم مقامها أختها البراعة ، فهي على وزن الطلوع ، ومصدر الطلوع عاش حتى وقتنا هذا ، وما دامت الشمس تطلع فهو سيعيش ، أمّا مصدر البروع فلم يكتب له أن يعيش إلا في بطون المعجمات ، وهكذا نشهد في اللغة حياة الألفاظ وموتها .

وإذا انتقلنا في هذا العالم الغريب ، عالم اللغة ، من الآفاق التي حلّت فيها مصادر محلّ مصادر ، إلى الآفاق التي انتقلت فيها معاني الألفاظ من وجهٍ إلى وجهٍ شعرنا بحركة اللغة المستمرّة .

روى صاحب الكامل أبياتاً في ذكر الابن جاء فيها :

فنفسي فداؤك من غائبٍ ... إذا ما المسارح كانت جليدا

وقال المبرد في تفسير السارح : إنها الطرق التي يسرحون فيها ، واحدها المسرح .

في كتب اللغة : المسرح ، بالفتح ، المرعى ، والفعل سرحَ كمنعَ ، والمصدر السَّرْحُ ، وله معانٍ كثيرة ؛ وسواء أكان المسرح المرعى أم كانت المسارح الطرق التي يسرحون فيها إنّا نرى أن هذه المادّة قد توسّع عصرنا في معناها ، فاطلقها على مسمّى لم يكن له ذكر في الماضي ، فاذا قلنا في عصرنا : المسرح والمسارح ، عنينا بذلك مسمّى جاء به هذا العصر ، فالمسرح هو المكان الذي يتمّ عليه التمثيل ، وغلبت هذه المادة على هذا المعنى الحديث ، واشتقوا منها المسرحيات ، وهي الروايات التي تمثّل . لا ريب في أن المسارح بمعناها الأول لم تمت ، فهي لا تزال تعيش ، ولكنها لا تُفهم بهذا المعنى إلاّ إذا أُضيف إليها شيء ، فقلنا مثلاً : مسارح الغزلان أو مسارح النظر والخيال وما شاكل ذلك ؛ أمّا إذا قلنا : المسارح ، لا غير ، فلا نفهم من هذه المادّة إلاّ ما تقدّمت الإشارة اليه ، لا نفهم منها إلاّ المكان الذي يتمّ التمثيل عليه ، فهكذا نجد أن الألفاظ تنتقل على ترادف الأحقاب من معنى مقرّر إلى معنى حديث اقتضاه العصر .

وكما نجد أن بعض المصادر يغلب على بعضٍ وأن بعض الألفاظ ينتقل معناه من وجهٍ إلى وجهٍ فكذلك نجد أن طائفة من الألفاظ تشقى وطائفة تسعد ؛ فمن الألفاظ التي كانت سعيدة في ماضي دهرها تدلّ على معنى شريف ، ثم دار الدهر دورته فذهبت سعادتهـــا وصارت إلى الشقاوة لفظ الجرثومة .

في الأغاني أن اسماعيل بن يسار دخل على هشام بن عبد الملك ، فاستنشده وهو يرى أنه ينشده مديحاً له ، فأنشده قصيدته التي يفتخر فيها بالعجم ، ويعد : أن افتخر بكيري وسابور الجنود والهرمزان قال :

هناك إن تسألي تنبي بأنّ لنا جرثومة قهرت عزّ الجرائم

في اللغة : جرثومة الشيء ، بالضمّ ، أصله ، ولا ريب في أن الشاعر استعملها في شعره في مقام الدلالة على العزّ ، إلاّ أنها انحدرت على تراخي العصور من مقام رفيع إلى مقام دنيء ، فإن الجرثومة في عصرنا تدلّ على أصل الأذى والضرر وما شابه ذلك ، وقد نستغني عن إضافة الأذى والضرر إليها ، فاذا قلنا : فلان جرثومة من الجرائم بلغنا من ذمّه كل مبلغ ، على أن من معانيها في اللغة ، التراب المجتمع في أصول الشجر ، وهذا المعنى ليس فيه شيء من العزّ ، ولكن كيف كان الأمر فقد استعملت في القديم بمعنى رفيع وانحدرت في الحديث إلى معنى دنيء ، فشقيت بعد تقلّبها في أعطاف السعادة .

ولقد أصاب مادّة العصابة ما أصاب مادّة الجرثومة من الشقاوة ، لمّا قال حسّان في بعض شعره :

لله درّ عصابةٍ نادمتهم يوماً بجلّقَ في الزّمان الأوّل

لم يقصد بالعصابة إلاّ ملوك غسّان ، وما أدراك من هم ملوك غسّان وما هي مجالسهم وآدابهم في تلك المجالس ، فانحدرت لفظة العصابة من أفق الملوك إلى أفق السوقة ، ثم من أفق السوقة إلى أفق اللصوص وقطّاع الطرق ، فاذا قلنا : عصابة ، فانما نعني بها اللصوص وقطّاع الطرق ، فكثيراً ما نسمع في أحاديث بعض المجالس قولهم : عصابة لصوص ، أو عصابة من المستغلين أو أشباه ذلك .

وكما تنحدر بعض الألفاظ من أفق رفيع إلى أفق وضيع فكذلك ترتفع بعضها من معنى شقيّ إلى معنى سعيد ، من هذا القبيل لفظ الرّمَق وبعض مشتقاته ، في اللغة : الرمق ، محرّكةً ، بقيّة الحياة ، ومنه : عيش رمق ، ككتف ، ما يمسك الرّمَق ؛ وما في عيشه إلاّ رُمقة

بالضمّ ، أي بُلْغَة أو قليل يمسك الرمق . والرُّمُق ، بضمتين ، الفقراء ، المتبلغون بالرّماق للقليل من العيش ؛ وهو مرمَّق العيش : ضيّقه أو خسيسه ، دونه . من هذا كله يتبيَّن لنا أن هذه المادَّة وبعض مشتقاتها كانت تدلّ في الماضي على ضيق العيش وخساسته ، أمَّا في الحاضر فانها تدلّ على سعة العيش ، فانَّا نقول في دمشق ، في لغتنا العامَّة : فلان مرمَّق ، كمطلَّم ، أي عنده كل شيء ، عنده دار يسكنها ، وعنده عقار ومال وما ماثل ذلك ، فهو في عيشة راضية ، في سعة من العيش ، فهكذا نرى أن هذه المادَّة انقلبت على الأيَّام من معنى ضيق إلى معنى واسع .



وسواء أماتت مصادر أم عاشت مصادر ، وسواء أحافظت ألفاظ على أصول معانيها أم انتقلت من معنى إلى معنى ، وسواء أشقيت ألفاظ أم سعدت ألفاظ ، إنَّا نشعر بالحاجة الشديدة إلى معجم تفسَّر فيه معاني الألفاظ على اختلاف التاريخ ؛ فاللفظ الفلاني كان له في العصر الفلاني معنى ثم انتقل في عصر آخر إلى معنى آخر ؛ واللفظ الفلاني عاش في عصر ثم مات في عصر ؛ إلاَّ أن معجماً يشرح لنا الألفاظ بحسب تاريخها لا يسهل وضعه ولا يتمّ على أيدي أفراد من علماء اللغة ، فلا بدَّ له من معاونة الحكومات .

فلنتمتع الآن من مراقبة الألفاظ في آفاق حياتها .

شفيق جبري



أدب الفقهاء

- ٥ -

طبقة أخرى من الفقهاء

قدمنا في طالعة هذا البحث ما يفيد أن العلماء كلهم سواء لدى الفقهاء في هذا الشأن . وأن هؤلاء لا يخصون الفقهاء بضعف ملكة الشعر ، بل يعممون حكمهم على العلماء من أي طبقة كانوا ، نحاة أو أطباء أو فلاسفة أو غيرهم ، وإنما يعبرون بالفقهاء تغليباً لجانب الفقه على غيره من العلوم ، إذ كان أكثر العلماء من المشاركين في علم الفقه ، وكانت صفة الفقيه تطلق على العالم من أي صنف كان ، وفي المغرب والأندلس كانت تعتبر صلة تشريف ، فتطلق على كبار رجال الدولة من وزراء وحكام وغيرهم .. ولهذا فنحن نرى من المناسب قبل أن نلم بموضوعات أدب الفقهاء ، ذكر طبقة أخرى من العلماء غير الفقهاء الذين قالوا الشعر وأجادوا فيه ، لأن من ذكرناهم لحد الآن إنما يمثلون الفقهاء الأقحاح المختصين بالدراسات الفقهيـــة والعلوم الإسلامية في دائرتها الواسعة .

ابن دريد

فمن علماء العربية العالم اللغوي الشهير أبو بكر بن دريد صاحب كتاب الجمهرة في اللغة ، وكتاب الاشتقاق ، وكتاب الملاحن وغيرها ، قال الأنباري في نزهة الألباء : «كان من أكابر علماء العربية مقدماً في اللغة وأنساب

العرب وأشعارهم . وأخذ عنه أبو سعيد السيرافي وأبو عبد الله المرزباني . وكان شاعراً كثير الشعر فمن ذلك المقصورة المشهورة . ومنه أيضاً القصيدة المشهورة التي جمع فيها بين المقصور والممدود إلى غير ذلك . وقال محمد بن رزق بن علي الأسدي : كان يقال ان أبا بكر بن دريد أعلم الشعراء وأشعر العلماء » .

أما مقصورته فهي أشهر من نار على علم ، وقد أبان فيها عن تفننه ومقدرته الشعرية وضمّنها من بديع الحكم والأمثال ما جعلها أثراً أدبياً فريداً في اللغة العربية بحيث هبّ كثير من الأدباء لمعارضتها والنسج على منوالها حتى لنشأ من ذلك باب في الأدب العربي يمكن أن نسميه أدب المقصورة . ويقال انه أحاط فيها بأكثر المقصورة ، فهي إلى أغراضها الأدبية لها فائدة لغوية كبيرة . وأولها :

يا ظبيةً أشبهَ شيء بالمَها ترعى الخُزامى بين أشجار النقا
إمّا ترَيْ رأسيَ حاكى لونه طرةَ صبح تحت أذيال الدجى
واشتعل المبيضُّ في مسوده مثل اشتعال النار في جزْل الغضا
فكان كالليل البهيم حلّ في أرجائه ضوء صباح فانجلى
وغاض ماء شِرَّتي دهرٌ رمى خواطر القلب بتبْريح الجوى
وآض روضُ اللهوَ يبساً ذاوياً من بعد ما قد كان مجّاجَ الثرى
وضرّم النأي المُشتّ جذوةً ما تأتلي تسفع أثناء الحشا
واتخذ التسهيدُ عيني مألفاً لما جفا أجفانها طيفُ الكرى
فكل ما لاقيتـه مغتفـر في جنب ما أسأره شحطُ النوى

ومن حكمها :

مَن ظلم الناس تحامَوْا ظُلمه وعز عنهم جانباه واحتمى
وهُمْ لمن لان لهم جانبه أظلمُ من حيّات أنباث السفا

عبيدُ ذي المال وإن لم يطمعوا ... من غمره في جرعة تشفي الصدى
وهم لمن أملق أعداء وإن ... شاركهم فيما أفادَ وحَوَى
عاجمتُ أيامي وما الغِرُّ كمن ... تأزر الدهر عليه وارتدى
لا يرفع اللب بلا جَدٍّ ولا ... يحُطُّك الجهلُ إذا الجَدُّ علا
مَن لم يعظه الدهر لم ينفعه ما ... راح به الواعظ يوماً أو غدا
مَن قاس ما لم يره بما يرى ... أراهُ ما يدنو إليه ما نأى
مَن ملّك الحرصَ القيادَ لم يزل ... يكرع في ماء من الذل صَرى
من لم يقف عند انتهاء قدره ... تقاصرت عنه فسيحاتُ الخطا
من ناط بالعُجب عرى أخلاقه ... نيطت عُرى المقت إلى تلك العرى
والناس ألفٌ منهم كواحد ... وواحد كالألف إن أمر عنى
وللفتى من ماله ما قدمت ... يداه قبل موته لا ما اقتنى
وإنما المرء حديث بعده ... فكن حديثاً حسناً لمن وعى

وقد اعتنى بهذه المقصورة خلق من المتقدمين والمتأخرين ، وشرحوها وتكلموا على ألفاظها . قال ابن خلكان : « ومن أجود شروحها وأبسطها شرح الفقيه أبي عبد الله محمد بن أحمد بن هشام بن ابراهيم اللخمي السبتي وكان متأخراً ، وتوفي في حدود سنة سبعين وخمسمائة . وشرحها الإمام أبو عبد الله محمد بن جعفر المعروف بالقزاز صاحب كتاب الجامع في اللغة .. وشرحها غيرهما أيضاً » .

ومن شعر ابن دريد قوله في وصف الخمر :

وحمراء قبل المزج صفراء بعده ... أتت بين ثوبي نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفاً فسلطوا ... عليها مزاجاً فاكتست لون عاشق

ومنه في الغزل :

غراء لو جلت الخدود شعاعها ... للشمس عند طلوعها لم تشرق
غصن على دعص تأود فوقه ... قمر تألق تحت ليل مطبق

لو قيل للحسن احتكم لم يعدُها أو قيل خاطب غيرها لم ينطق
وكأننا من فرعها في مغرب وكأننا من وجهها في مشرق
تبدو فيهتف للعيون ضياؤها الويل حل بمقلة لم تطلق

وشعره كثير جمعه أحد فضلاء الهند في ديوان ونشره بعنايته . وتوفي ابن دريد سنة ٣٢١ هـ .

الزمخشري

ومنهم أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري جار الله العلامة الإمام في النحو واللغة والبيان والتفسير ، له التصانيف البديعة التي دلت على رسوخ قدمه في العلم بالعربية وأسرارها ، ومنها تفسيره العظيم المسمى بالكشاف في مجلدين ، أبرز فيه معاني القرآن وبلاغته بما لم يجاره فيه أحد ، وله كتاب المفصل في النحو أشهر من أن يعرّف ، وكتاب أساس البلاغة في اللغة ، وكتاب الفائق في تفسير غريب الحديث ، وكتاب المقامات بديع جداً تنكب فيه أغراض أصحاب المقامات المعروفة من الشحاذة والاحتيال وسلك نهج الحكمة والموعظة الحسنة . وكان يميل إلى الاعتزال ويشارك في الأدب بسهم وافر ، ومن شعره في العتب على الزمن :

وأخّرني دهري وقدّم معشراً على أنهم لا يعلمون وأعلمُ
ومُذْ أفلح الجهالُ أيقنت أنني أنا الميم والأيامُ أفلحُ أعلمُ

الأفلح مشقوق الشفة السفلى والأعلم مشقوق الشفة العليا ، ومن كان كذلك لا يقدر على النطق بحرف الميم ، وقد كنى الزمخشري بذلك عن حرب الدهر له وتقديم من هو دونه عليه .

ومن قوله في العلم المحيط :

العلم للرحمن جل جلاله وسواه في جهلاته يتغمغم
ما للتراب وللعلوم وإنما يسعى ليعلم أنه لا يعلم

أبو حيان الغرناطي

ومن النحاة أيضاً الشيخ أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي . كان إماماً في العربية لا يضاهى مشاركاً في العلم بالحديث والتفسير ؛ وله اليد الطولى في الأدب . ألّف البحر المحيط في تفسير القرآن في ثمانية مجلدات ، ألم فيه إلماماً وافياً بإعراب آيات الكتاب العزيز وتفسير ألفاظه اللغوية والاستشهاد على ذلك بكلام العرب . وشرح كتاب سيبويه وكتاب التسهيل لابن مالك ، وألف في القراءات السبع كتباً مفردة ، وكان يعرف اللغة التركية وألف فيها عدة كتب ؛ ويعتبر هو مؤسس نحوها ومُقعّده ، ولكتبه اليوم في تركيا قيمة علمية ، وقد اعتنى بها ونُشرت نشراً محققاً لظهور فائدتها واعتماد القوم عليها . كما ألف في اللغة الفارسية والحبشية وفي غير ذلك من المباحث الأدبية والتاريخية ، وله ديوان شعر كبير ما يزال مخطوطاً اشتمل على قصائد في موضوعات شتى ومقطّعات وموشحات بديعة النظم رقيقة المعنى :

من شعره الغزلي :

سبق الدمع بالمسيل المطايا إذ نوى من أحب عني نُقْلَهْ
وأجاد السطور في صفحة الخد ولمْ لا يُجيدُ وهو ابنُ مُقْلَه

وفيه تورية جميلة . ومنه :

ألا إن ألحاظاً بقلبي عوابثا أظن بها هاروت أصبح نافثا
إذا رام ذو وجد سلواً مَنَعْنَهُ وكُنَّ على دين التصابي بواعثا
وقيدن من أضحى عن الحب مطلقا وأسرعن للبلوى بمن كان رائثا

ومن نظمه المشهور :

عِداي لهم فضل علي ومنة فلا أذهب الرحمن عني الأعاديا
هم عرّفوني زلّتي فاجتنبتها وهم نافسوني فاكتسبتُ المعاليا

ومنه أيضاً :

يظن الغُمر أن الكُتْب تهدي أخا فهـم لإدراك العلوم
وما يدري الجهولُ بأن فيها غوامضَ حيرت عقل الفهيم
إذا رمتَ العلوم بغير شيخ ضللت عن الصراط المستقيم
وتلتبس الأمور عليك حتى تصير أضل من توما الحكيم

وأخبار أبي حيان وشعره أكثر من هذا الذي ذكرناه . ونحن ليس قصدنا الترجمة له ولا لغيره ممن ذكرناه أو نذكره حتى يلزمنا استيفاء أخباره والإلمام بأكثر شعره ، وإنما ننبه على عالميَّته ونورد أمثلة من شعره تثبت مقدرته الشعرية التي لا تتنافى ووصفَ العلم الذي قام به ، ولا يصح معها أن يقال في نظمه أنه شعر فقيه ، فاذا حصلنا على هذه النتيجة فذلك غاية ما نقصد إليه . وإذا كان ناقدنا الجزنائي قد حكم على شعر أبي الفضل ابن النحوي لمجرد بيت واحد من شعره كما سبق ذلك ، فان ما نرويه نحن من أبيات ومقطعات عديدة للشخص لَهُو أحرى أن يكون أوثق في الحكم وأدلّ على صحته وصوابه ؛ مع ما نحلل منها ونُبرزُ من محاسنها إذا اتّسع المجال لذلك . توفي أبو حيان سنة ٧٤٥ بمصر .

يعقوب الكندي

فيلسوف العرب أبو يوسف بن اسحاق بن الصباح من أبناء ملوك كندة ، قال سليمان بن حسان « ان يعقوب بن اسحق الكندي شريف الأصل ، بصري كان جده ولي الولايات لبني هاشم ونزل البصرة ، وضيعته هناك ،

وانتقل إلى بغداد وهناك تأدب وكان عالماً بالطب والفلسفة وعلم الحساب والمنطق وتأليف اللحون والهندسة وطبائع الأعداد وعلم النجوم ولم يكن في الإسلام فيلسوف غيره احتذى في تواليفه حذو أرسطوطاليس . وله تواليف كثيرة في فنون من العلم ، وخدم الملوك فباشرهم بالأدب ، وترجم من كتب الفلسفة الكثير . وأوضح منها المشكل ، ولخص المستصعب ، وبسط العويص » ذكره في عيون الأنباء . وكان الكندي إلى تبحره في العلم ورسوخ قدمه في الفلسفة يتعاطى الأدب ويقول الشعر الجيد فمن قوله متغزلاً :

وفي أربع مني حلّتْ منك أربعُ ... فما أنا أدري أيها هاج لي كربي
أوجهك في عيني أم الطعم في فمي ... أم النطق في سمعي أم الحب في قلبي

أنشدهما ابن قتيبة في بعض كتبه وقال : والله لقد قسمها تقسيماً فلسفياً .
وأنشد له الشيخ أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري اللغوي في كتابه الحكم والأمثال قوله في الحكمة وطبائع الناس :

أناف الذُّنابى على الأرؤس ... فغمّض جفونك أو نكّس
وضائل سوادك واقبض يديك ... وفي قعر بيتك فاستجلس
وعند مليكك فابغ العلو ... وبالوحدة اليومَ فاستأنس
فإن الغنى في قلوب الرجال ... وإن التعزز بالأنفس
وكائنْ ترى من أخي عُسْرة ... غنيٍّ وذي ثروة مفلس
ومن قائم شخصُه ميت ... على أنه بعدُ لم يُرْمَس
فإن تُطعم النفس ما تشتهي ... تُقيتْك (١) جميعَ الذي تحتسي

وهذه الأبيات في خفتها وسهولتها ، على ما تحويه من حكم عقلية وتجارب فلسفية ، تزري بكثير من الشعر الذي ينسب إلى شعراء ليس عملهم إلا الشعر

(١) في عيون الأنباء : تقيك وهو تصحيف .

ولا صنعة لهم إلا القريض . مما يثبت أن العلماء كثيراً ما ترجح كفتهم حتى في هذا الأدب الذي يدّعي بعضُ الناس أنه وقفٌ عليهم وأن بضاعةَ العلماء فيه مُزجاة . والبيت الأخير من القطعة يشفُّ عن علمِ صاحبه بالطب ويبعث على الإعجاب بصوغه لذلك المعنى في هذه الصورة وبهذه الألفاظ الفنية التي اكتست بحُسْنِ تأتيّه لها حلةَ البيان والوضوح . وقد لاحظ ابن قتيبة ما في البيتين السابقين من حسن المقابلة والتقسيم وأشار إلى أن ذلك نزعة فلسفية لم تزد الشعر إلا جمالاً ولطفاً ، ولا حاجة بنا إلى القول اننا لا نقصد هنا ذكر الشعر الفلسفي فذاك باب سنطرُقه عند تعرضنا لموضوعات شعر الفقهاء والعلماء ، وإنما قصدنا الشعر المنبعث عن العاطفة والتجربة المُعَاشة الذي يقوله عامةُ الشعراء ويُشاركهم فيه غيرهم من متأدبي أهل الفقه والعلم . ومن حسن الحظ أن فيلسوف العرب الأكبر الذي ضربناه مثلاً للفلاسفة الذين قالوا الشعر الجيّد ولم تقعد بهم الفلسفة عن بلوغ هذه الغاية ، كان من المجلّين في ذلك المجال والحائزين فيه قصب السبق كما رأينا .

أبو بكر بن زُهر

الطبيب الشهير ، كان من أهل بيت كلهم أطباء حكماء ، الرجال والنساء في ذلك سواء ، ومع أنه لم يكن في زمانه أحد أعلم منه بصناعة الطب ، فقد كان مشاركاً في علم الفقه والحديث ، وله معرفة واسعة بعلم الأدب والعربية ، كان يحفظ شعر ذي الرُّمة وهو ثلثُ اللغة كما قيل . وخدَم بطبه وأدبه الدولتين اللَّمْتُونية والمُوَحِّدية وحظي عند يعقوب المنصور حتى كان يُصرِّفه في كثير من شؤون الدولة لثقته به ولما خبَره من دينه وأمانته . وكان لا يصبر على فراقه ولا يرخص له بالسفر إلى إشبيلية لرؤية أهله وولده ، فسمعته ذات يوم ينشد هذه الأبيات يتشوق فيها إلى ولد له صغير : -

ولي واحدٌ مثلُ فَرْخِ القَطا صغير تخلّفتُ قلـبي لديه
وأفردتُ عنـه فيا وحشتي لذاك الشُّخَيْص وذاك الوُجَيْه
تشوّقـني وتشوّقتـه فيبكي عليّ وأبكي عليـه
وقد تعبَ الشوق ما بيننا فمنـه إليّ ومني إليـه

فبعث المهندسين إلى إشبيلية وأمرهم أن يختاطوا علماً ببيوت ابن زُهر وحارته وبنى مثلها بحضرة مراكش في أقرب وقت ونقل عيال ابن زهر إليها بعد فرشها بمثل فرشه واحتال عليه حتى أتى الحارة ورأى مثل داره فعجب لذلك وقيل له ادخل الدار فدخلها فاذا هو بأهله وولده الذي تشوق إليه فما كاد يملك نفسه من الفرح والسرور .

وحَرِيٌّ بمن كان في مثل علم ابن زُهر وأدبه أن يحظى بهذه الرعاية من ملك مثل المنصور الموحدي الذي خلد التاريخ أعماله ومآثره .

ومن شعر ابن زهر :

إني نظرت إلى المرآة إذ جُليتْ فأنكرت مقلتاي كلّ ما رأتا
رأيتُ فيها شُيَيْخاً لستُ أعرفُه وكنتُ أعرف فيها قبل ذاك فتى
فقلت أين الذي مثواهُ كان هنا متى ترحّل عن هذا المكان متى ؟
فاستجهلتنيَ وقالتْ لي وما نطقت قد كان ذاك ، وهذا بعد ذاك أتى
هوّنْ عليكَ فهذا لا بقـاء له أما ترى العشب يفنَى بعد ما نبتا ؟
كان الغواني يقلنَ يا أخيَ فقد صار الغواني يقلن اليوم يا أبتا

وفي هذه القطعة تصوير بديع للشيخوخة وتعبير بليغ عن الحسرة التي يجدها المرء في نفسه على شبابه الذاهب وعمره المنقرض . وما أحسن قوله شييخاً في هذا المقام بمقام الأسف على ما آلت إليه حاله ، فهو لا ينظر الآن إلى وقار المشيخة وحكمة التقدم في السن ، وإنما ينظر إلى ضعفه ونقصان مُنّته مما

يناسب ذلك إلا صيغة التصغير التي تبدو كأنها لم توضع إلا لهـذا المعنى . ومثله قوله : « كأن الغواني يقلن يا أُخَيّ » فان التصغير هنا للتحبيب والتقرب وهما أنسب بحالة الشباب التي كان عليها وأنكى في ملاحظة الفرق بينهما وبين الشيخوخة الفانية .

ويظهر أن تمكنه من الطب واللغة معاً كوّنا فيه إحساساً دقيقاً بتشخيص الحالة التي يريد وصفها واختيار اللفظ المطابق لها مطابقة فنية ، فلذلك رأيناه يستعمل التصغير أيضاً في الأبيات المتقدمة التي نظمها في التشوق لولده الصغير ، وذلك حين يقول : « فياوحشتي ، لذاك الشخيص وذاك الوجيه » ، ولا خفاء بحسن موقع التصغير هنا وجماله . وليقارن القارىء بينه وبين استعمال المتنبي له في مثل قوله : « لُيَيْلَتُنا المُنُوطَةُ بالتنادي » وقوله : « أذمّ إلى هذا الزمان أُهَيْله » ليزيد فضلَ معرفة بشاعرية صاحبنا .

ومن شعر ابن زهر في الخمريات :

وموسّدين على الأكفّ خدودَهم ... قد غالهم نومُ الصباح وغالني
ما زلتُ أسقيهم وأشرب فضلَهم ... حتى سكرتُ ونالهم ما نالني
والخمر تعلم حين تأخذ ثأرها ... أني أملتُ إناءها فأمالني

وهو في هذه الأبيات على ما عهد منه من لطف وأدب وحسن تصوير . قد نقل إلينا منظر هؤلاء الشَّرْب وقد نال منهم الشراب ، بجلاء ووضوح كأننا نراه ، وبين أنه كان ساقيهم فهو يقدمهم على نفسه لمكانتهم عنده ، ولا يشرب إلا بعدهم ، فاذا ذكر السُّكْر بدأ بنفسه وعبّر في حقهم بعبارة مهذبة هي الغاية في أدب المعاشرة ، ثم لطف ما شاء له اللطف حين أشار إلى الخمر وثأرها وكمّل الصورة بهذه الحركة التي جعلتها تنبض بالحياة والواقعية والتمثيل ، فهل يعلى على هذه الشاعرية ؟

ولابن زهر موشحات مشهورة يُغَنَّى بها وهي من أجود ما قيل في ذلك . ولعل أسيرها على الألسنة الموشح الذي يقول فيه :

أيها الساقي إليك المشتكى قد دعوناك وإن لم تسمع
ونديم همت في غرته وشربت الراح من راحته كلما استيقظ من سكرته
جذب الزق إليه واتكا وسقاني أربعاً في أربع

وهو يمثل حياة اللهو في الأندلس التي ما يزال مظهرها هو هذا إلى الآن .

ابن الياسمين

وهذا عالم رياضي راسخ القدم في العلم بالحساب والجبر . وهو مع ذلك له باع طويل في الأدب ونظم الشعر ، حتى إنك إذا سمعت شعره تقول لا صنعة له إلا النظم ، فاذا ثافنتَ كتُبه في الرياضيات قلت إنما يحسن هذا من انقطع إليه ولم تكن له همة في غيره .

وهو أبو محمد عبد الله بن محمد بن حجَّاج من أهل مدينة فاس ، عُرف بابن الياسمين ، والياسمين أمه . وكان من خدام المنصور الموحدي ومن جلسائه . له أرجوزة في علم الجبر شهيرة ، قرئت عليه وسمعت منه باشبيلية . وشرحها الكثير من أهل هذا العلم . وله أيضاً كتاب تلقيح الأفكار في العمل برسوم الغبار . . وفيه يذكر أصل الأرقام العربية المستعملة في المغرب وأختها المستعملة في المشرق ويُبيِّن أنها جميعاً من أشكال حروف الغبار وإن أُطلِقَ على الثانية اسمُ الأرقام الهندية وبقيت الأولى محتفظة بوصف الغُباري وهو كتاب نفيس جداً ما يزال مخطوطاً ،

ومن شعره الذي أنشده له ابن سعيد المغربي في الغصون اليانعة قوله وقد رأى زهر نارنج بظاهر مدينة مراكش :

جاء الربيع وهــــذا أولىَ البشائر منــــه
كأنمــا هو ثغـــــر قد جاء يضحك عنه
زهر لنارَنج دوح انظر إليــــه وصُنه
أليس حيّاكَ عرفٌ الذي جفــا من لدنه

وقد أورد له ابن سعيد أشعاراً كثيرة في المدح والهجاء وغيرها فلتُنظر في كتابه المذكور . وتوفي ابن الياسمين سنة ٦٠١ هـ .

الشريف الادريسي

الجغرافي الشهير أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس . كان جده ادريس من ملوك الحموديين بالأندلس . وولد هو بسبتة بعد استقرار سلفه بها عند انقراض دولتهم . وخرج سائحاً في شمال إفريقية وآسيا الصغرى ، واستدعاه روجار الثاني ملك صقلية فأقام عنده ، وألف له كتابه « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » كتاب شهير لم يؤلف مثله في الجغرافية في العصر الوسيط . وصنع كرة سماوية ودائرة أرضية من الفضة فُقدت في حروب صقلية . ويجمع العلماء على أن خارطة الإدريسي أضبط خارطة للكرة الأرضية وضعت بعد بطليموس ولا تزال المعلومات التي أعطاها الإدريسي في كتابه نزهة المشتاق عن عروض بعض البلدان وأطوالها صحيحة في جملتها لم تخالفها التحقيقات الجديدة إلا بالشيء اليسير . وكان للادريسي علم بالطب والنبات ، وله في ذلك كتاب الأدوية المفردة . وإلى هذا كانت له يد طولى في الأدب ونظم الشعر ومن قوله في شكوى الزمان :

إن عيباً على المشارق أن أر جع عنها إلى ذيول المغارب
وعجيب يضيع فيها غريب بعد ما جاء فكره بالغرائب
ويقاسي الظمأ خلال أناس قسموا بينهم هدايا السحائب

ومنه في الموضوع :

ليت شعري أين قبري ضاع في الغربة عمري
لم أدع للعين ما تشـ ـتاق في بر وبحر
وخبرت الناس والأر ض لدى خير وشر
لم أجد جاراً ولا دا راً كما في طي صدري
فكأني لم أسر إلا بتبييت أو بقفر

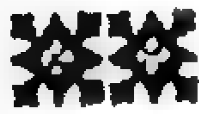
ولا حاجة إلى التنبيه على بلاغة هذه الأبيات والتي قبلها ، وتعبيرها عن حسرة الحرمان الذي لقيه الإدريسي في بلاده ومن بني قومه ، سواء في الشرق والمغرب ، فانها في غنى عن ذلك ولا يستطيع ناقد أدبي أن يقول فيها انها دون مستوى الشعراء المشهود لهم بالإجادة والإحسان ، وان كان قائلها عالماً مختصاً . وكانت وفاة الإدريسي ببلده سبتة في سنة ٥٦٠ هـ .

هؤلاء سبعة من العلماء ، ثلاثة منهم كانوا أئمة في علوم العربية من نحو ولغة وغيرها ، وبراعتهم في قول الشعر ترد على من يرى أن أهل المعرفة بعلوم العربية وبخاصة النحاة أضعف الناس شعراً وأقلهم إجادة فيه ، كما ترد على من يقول بقصور العلماء على العموم عن قول الشعر والتفوق فيه .
والأربعة الباقون كل واحد منهم متمكن مبرز في باب من أبواب المعرفة الإنسانية ، كالفلسفة والطب والحساب والجغرافية ، ولم يفته أن يسهم بحظه وافر في

الأدب والشعر . يكمّمُ أفواه المتقولين على أدب الفقهـــاء والعلماء بعامة ، ويثبت أن الأمر إنما هو همة واستمداد فمن توفر له ذلك فهو أسوةُ غيره من الأدباء والشعراء في الملكة الشعرية وأصالتها ، ولا يصح أن يُقَصِّر عنهم إلا فيما يقتضيه انقطاعُهم في قولِ الشعر من الإكثار وانصرافه إلى كفاياته الأخرى من الإقلال .

وقد اقتصرنا على هذا العددِ القليلِ علماً بأننا لو ذهبنا نستقصي كل من قال الشعر وأجاد فيه من العلماء لمّا وسعتنا المجلدات . ونحن إنما نضرب المثل ونسوق الشاهد ، وفيما ذكرناه على هذا الوجه كفاية .

عبد الله كنون



نظرات في

المعجم الوسيط

- ١٢ -

تاسعاً : تعريف الأعلام الجغرافية والتاريخية والشعوب (١)

الكلمة	تعريفها في المعجم الوسيط	الملاحظـــات
بَرَدَى	نهر دمشق الأعظم ، يخرج من قرية الزَّبَدَاني على خمسة فراسخ من دمشق مما يلي بعلبكّ .	كان لنهري النيل وبردى ، دون غيرهما من أنهار البلاد العربية الهامـــة ، مثل : الأردن (أو الشريعة) ودجلة والفرات (٢) والخابور ، حظّ تعريفها في المعجم الوسيط ، غير أن تعريف النّيل جاء مقتضباً ، بينما نقل تعريف بردى عن
النّيل	نهر مصر والسُّودان .	

(١) تضمنت الكلمة التي صُدّر للمعجم الوسيط بها أنه عندما طاب إلى مجمع اللغة العربية أن يسعف العالم العربي بمعجم حديث ، محكم الترتيب ، واضح الأسلوب ، مضاف إليه ملحق بالمشهور من أعلام الأشخاص والأماكن ، قرر المجمع العمل على إخراج المعجم المطلوب ، مغفلاً منذ البداية ملحق الأعلام المذكور ، قاصراً همّه على اللغة قديمها وحديثها فحسب ، ولكن للمعجم ، مع هذا ، لم يخل من تعريفات لعديد من الأعلام التاريخية والجغرافية ، وقد نقل أغلبها عن المعجمات القديمة ، وكان من المستحسن إعادة النظر في أكثر تلك التعريفات ، ليأتي ما يجب إثباته في المعجم الوسيط أكثر دقة ، وليحذف منه ما لا ينسجم هو وطبيعة المعجم اللغوية .

ونحن في هذه النبذة من نظراتنا في المعجم الوسيط سنأتي على ذكر جملة من التعريفات التي أوردها المعجم للأعلام الجغرافية والتاريخية وللأقوام والشعوب مع الملاحظات التي نراها .

(٢) كذلك أغفل المعجم الوسيط الإشارة إلى شطّ العرب ، بينما أورد في مادة (ر ف د) قوله : والرّافدان : دجلة والفرات .

معجم قديم بما فيه من إسهاب وبُعد عن الدقة ، لأن النهر في الحقيقة لا يخرج من قرية الزبداني ، بل هو ينبع من سهل يسمى باسم البلدة المذكورة ، وهي أبعد مما ورد في التعريف الذي ارتضاه المعجم الوسيط ، كما أن إقحام بلدة بعلبك في التعريف مفسد له ، إذ أين بعلبك من سهل الزبداني !

لقد كان من المستحسن ، إذا ما أريد إثبات التعريفين المذكورين في المعجم الوسيط ، أن يكونا كما يلي :

بَرَدى : نهر دمشق الذي يروي غوطتها ، ينبع من سهل الزبداني إلى الشمال الغربي من دمشق ، وبعد أن يدخلها ينتهي في غوطتها الشرقية ، وطوله يقرب من ٧٠ كلم .

النّيل : نهر إفريقية الكبير ، يخرج من أواسطها ويروي السودان فمصر إلى أن ينتهي بالبحر الأبيض المتوسط ، ويبلغ طوله ٦٥٠٠ كلم تقريباً .

الزَّمْزَمُ من المياه : الزُّمازم . و — الزَّمزامُ . وزمزمُ : بئرٌ مشهورة بمكة عند الكعبة يُتبرَّك بها ويشرب ماؤها وينقل إلى الجهات .

ورد هذا التعريف في المعجم الوسيط في مادة (ز م ز) وهو في المعجمات القديمة في مادة (ز م م) ، وأكثرها اقتصر في التعريف على القول ، كما في القاموس : زَمْزَمُ : بِئرٌ عند الكعبة .

وهي غير منصرفة للعلمية والتأنيث .
[مادة ز م ز]

وفي « متن اللغة » : الزَّمْزَم : ما كان بين الملح والعَذْب ، وبه سمي البئر عند الكعبة المشرَّفة .

إن تعريف المعجم الوسيط فيه تزيد يستحسن أن لا يرد في معجم حديث ، ما دام التبرك بماء زمزم ليس من الدِّين في شيء ، وكان من الأفضل أن يكون التعريف كما يلي :

زَمْزَمُ : بئر بمكة عند الكعبة : يشرب الحجاجُ ماءَها وقد ينقلونه معهم إلى بلادهم . وهي غير منصرفة للعلمية والتأنيث .

عَرَفَةُ . جبلٌ قريب من مكة . ويوم عرفة : التاسع من ذي الحجة . وعرفاتُ : موقفُ الحجاج على اثني عشر ميلاً من مكة .

جاء في أكثر الأمهات . كاللسان والمحكم : عَرَفة وعرفات : موضعٌ بمكة . أي أن الكلمتين اسم لموضع واحد هو جبل مكة المعروف .

إن التعريف الذي أورده المعجم الوسيط ، يوحي بأن عرفة وعرفات موضعان أولهما اسم جبل وثانيهما من مناسك الحج . لهذا كان من المستحسن صياغة التعريف صياغة تزيل اللبس المذكور ، فيقال مثلاً :

عَرَفَةُ وعرفاتُ : جبل قرب مكة ، يقف عليه الحجاج يوم التاسع من ذي الحجة .

القَطَّمُ جبلٌ في شرقيّ القاهرة بمصر. [مادة ق ط م]

ذكر ياقوت جبل المقطم في معجمه في مادة (م ق ط) وقال: والذي يتصوَّر عندي أن هذا اسم أعجمي ...

وأنا لم أعثر على نص يجزم بأن الكلمة عربية، فإن كانت كما قال ياقوت، وجب نقلها في المعجم الوسيط من مادة (ق ط م) إلى مادة (م ق ط).

رَابغ وادٍ بين الجُحفة ووَدّان، على بعد عشرة أميال من الجحفة فيما بينها وبين الأبواء.

عُكاظ سوقٌ للعرب كانوا يتعاكظون فيها، وهي موضعٌ بين نَخْلة والطّائف، كانت تقوم هلالَ ذي القَعْدَة وتستمر إلى العشرين منه.

في تعريف كل من رابغ وعكاظ في المعجم الوسيط بعض الغرابة والتزيد، وكان من المستحسن أن يكون التعريفان كما يلي:

رَابغ: وادٍ بين مكة والمدينة قرب البحر، وهو من مواقيت الإحرام عند الحجاج.

عُكاظُ: سوقٌ للعرب قُرب مكة، كانوا يجتمعون فيها فيتناشدون ويتفاخرون وكانت فيها وقائع.

القُلْزُم بلد قديم خرب وبني في موضعه السُّويس. وبحر القُلْزُم: البحر الأحمر.

كان المعجم الوسيط في غنى عن إثبات كلمة القلزم، خاصة إنه أغفل كلا من السويس والبحر الأحمر.

الأَطْلَسُ مجموع مصورات جغرافية .
وأطلقه القدماء على شماليّ
إفريقية . ويصوَّر حديثاً
على هيئة جبّار يحمل
السماء أو الكرة الأرضية .
(د) .

[مادة أ ط ل]

المعروف أن كلمة « أطلس » تطلق على سلسلة الجبال الممتدة من تونس حتى المغرب في شماليّ إفريقية (١) ، وكان الإغريق يعتقدون أن السماء تستند على تلك الجبال ، ومن هنا كانت الأسطورة الإغريقية التي يُزعم فيها أن الإله « أطلس » عُوقب بحمل الأرض على كتفيه .

ومنذ القرن السادس عشر الميلادي استخدم رمز الإله « أطلس » للدلالة على مجموعة المصورات الجغرافية . وفي العصر الحديث تطلق الكلمة على أي مجموعة من الصور أو المخططات البيانية الخاصة بعلم أو فن من الفنون .

لقد كان من المستحسن أن يكون تعريف الكلمة في المعجم الوسيط كما يلي :

الأَطلس : اسم سلسلة الجبال الممتدة من تونس حتى المغرب في شماليّ إفريقية .
و ـــ في الأساطير الإغريقية : اسم إله يحمل الأرض على كتفيه .
و ـــ اسم يطلق على مجموعة من المصورات الجغرافية أو المخططات البيانية .

(١) إلى هذه الجبال ينسب المحيط الذي أطلق العرب عليه اسم « بحر الظلمات » فهو « المحيط الأطلسي » لا « الأطلنطي » كما يحلو لبعض الكتاب والصحفيين تسميته .

بَغْدَاد مدينة السلام ، على نهر دجلة ، وكانت حاضرة الدولة العباسية ، وهي حاضرة العراق الآن .

[مادة ب غ د]

عَمَّان مدينة شامية هي الآن عاصمة الأردن .

[مادة ع م ن]

القاهرة قاعدة الجمهورية العربية المتحدة بناها المعز لدين الله الفاطميّ شرقيّ النّيل وهي اليوم أعظم مدينة في الشرق .

[مادة ق هـ ر]

عرّف المعجم الوسيط من عواصم الأقطار العربية كلاً من بغداد وعمّان والقاهرة ، بينما أغفل ، دون سبب مقبول ، غيرها من المدن الهامة مثل دمشق وصنعاء وبيروت .

ونلاحظ على التعريفات التي أوردها المعجم ما يلي :

٢ — تفاوت هـــذه التعريفات من حيث المعلومات ، وكان ينبغي رسم حدود لها ، أي وضع خطة ، يتم التعريف ضمنها .

٢ — استعمال المعجم ثلاث كلمات هي : حاضرة وعاصمة وقاعدة للدلالة على معنى واحد ، وهذا غير محمود ، وكان من المستحسن تجنب ذلك .

٣ — ذكر كلمة (الأردن) وحدها في تعريف مدينة عمّان، وهذه الكلمة قاصرة جغرافياً وتاريخياً عن الدلالة على الوضع الراهن للقطر الأردنيّ .

٤ — إهمال الإشارة في تعريف (بغداد) إلى أن داليها قد تعجمان ، كما هو مذكور في أصح المعجمات ، وكان من المستحسن إثبات مثل هذه الإشارة .

الأُمُّ	. . . وأمُّ القرى : مكة .
القريتان	مكة والطائف ، وفي التنزيل . . .
المدينةُ	اسم يثرب مدينة الرسول ﷺ . غلبت عليها .
القُدْسُ	أورشليم .
المقدِسُ	بيت المقدِس : حَرَمُ القدس .
المُقَدَّسَة	الأرض المقدَّسة: المباركة. و — أرض فلسطين
إيلياء	بيت المقدِس .
	[مادة أ ي ل]
البَصْرة	مدينة كبيرة في العراق .
النَّاصِرَة	قرية بالجليل من فلسطين ينسب إليها المسيح عليه السلام .

لم يخل المعجم الوسيط ، من تعريف لبعض المدن العربية الشهيرة ، كما هو واضح من التعريفات التي نقلناها ، ونحن نلاحظ عليها الأمور التاليـــة :

١ — غمـــوض الخُطَّة التي رُسمت للمعجم الوسيط من حيث إثبات اسم البصرة مثلاً وإغفال الكوفة ، أو إثبات المدينة وإغفال يثرب في (ث ر ب) ، وكذلك الإشارة إلى مكة دون إثباتها في مادة (ب ك ك) أو (م ك ك) ، وهكذا بالنسبة إلى مدن كثيرة كانت المعجمات القديمـــة تشير إليهـا .

٢ — إثبات كلمة (إيليـــاء) الاسم القديم لبيت المقدس دون ضرورة في معجم لغوي وسيط ، ثم إغفال الإشارة إلى أن الكلمة قد تأتي مقصورة ، كما في القاموس المحيط .

٣ — تعريف القدس كبرى مدن فلسطين ، ومدينة المسجد الأقصى بالقول بأنها (أورشليم) الاسم الذي يطلقه اليهود على المدينة .

الحِجاز	من بلاد العرب : ما بين تِهامةَ ونجد .
تِهامةُ	أرض منخفضةٌ بين ساحل البحر وبين الجبال في الحجاز واليمن .
نَجْدُ	قسم من الجزيرة العربية بين الحجاز والعراق ، أكثرَ شعراء العربية القولَ في طيب ترابه ، وجودة هوائه ، وحُسن نباته .
الشأْمُ	(وتخفف الهمزة) الإقليم الشماليُّ الغربيّ من شبه جزيرة العرب .
لُبْنانُ	جبل بالشام . و — أحد الأقطار العربية ، أكثره جبالٌ وبعضُه سهل ، وهو (جغرافيّاً) جزء من الشام .
عُمان	إقليم في الجنوب الشرقي من بلاد العرب على خليج فارس وبحر الهند. (يُصرف ولا يصرف) .

عرَّف المعجم الوسيط أسماء بعض الأقطار العربية دون البعض الآخر ، بلا أي ضابط ولا تماثل في الوصف ودقة المعلومات ، وفي التعريفات التي نقلناها نلاحظ أموراً كثيرة أهمها :

١ — نقل ما كان يحسن إغفاله في مثل المعجم الوسيط ، كوصف بلاد نجد .

٢ — تسمية الخليج الذي يقع عليه إقليم عُمان بخليج فارس ، وهو خليج عربيّ بأكثر شطآنه .

٣ — الإشارة إلى البلاد العربية ، بصيغ مختلفة فهي تارة بلاد العرب ، وأخرى الجزيرة العربية ، وثالثة شبه جزيرة العرب ، وكان من المستحسن أن تكون التعريفات أكثر دقة .

المَغْرِبُ بلاد المغرب : البلاد الواقعة في شمالي إفريقية في غربي مصر وهي لُوبيا ، وتونس ، والجزائر ، ومراكش . ومملكة المغرب اليومَ : الجزء الواقع في أقصى بلاد المغرب في غربي الجزائر ، ويحدُّها البحر الأبيض شمالاً والمحيط الأطلسي غرباً .

٤ — تعريف البلاد المغربية مع شيء من التوسع بالنسبة إلى غيرها من البلاد العربية .

٥ — وأخيراً نلاحظ أن المعجم الوسيط أثبت اسم الدولة الليبية بالواو ، كما كان القدامى يكتبون اسمها ، غير أن ياقوت أثبت الكلمة في معجمه بالتاء المربوطة ، فقال : لُوبِيَةُ .

الحَسَى السَّهل من الأرض يستنقع فيه الماء . و — الرمل المتراكم تحته صلابةٌ فإذا نزل المطرُ منعَ الرملُ حرَّ الشمس أن يَنشفَه ، ومنعتهُ الصلابةُ أن يغور ، فإذا حُفِر وجهُ الرمل عن ذلك الماء نبعَ بارداً عذبا ، كما يحدث في إقليم الأحساء في شرقي جزيرة العرب . (ج) حِسَاء ، وأحْسَاء . [مادة ح س و ، ح س ى]

قال ابن فارس في مقاييس اللغة : الحاء والسين والحرف المعتل أصلٌ واحدٌ ، ثم يشتق منه ، وهو حَسْو الشيء المائع كالماء واللبن ... والحِسْيُ : مكانٌ إذا نُحِّيَ عنه رملُه نبع ماؤه ...

وقال ابن سيده في المحكم : الحِسْيُ ؛ السَّهْل من الأرض يَستنقِعُ فيه الماء ... وحكى ابن الأعرابيّ في حِسْيٍ : حَسىً ، بفتح الحاء مِثال قَفاً ، والجمع من كل ذلك أحساء وحِساء .. والجَسَى وذو حُسَى مقصوران : موضعان .

وقال ابن منظور في اللسان ، بعد كلام طويل : والحَسَى وذو الحُسَى مقصوران : موضعان ... قال الأزهري : وقد رأيت بالبادية أحساءً كثيرة من هذه الصفة ، منها أحْساءُ بني سَعْدٍ بحذاء هَجَر ...

وقال الفيروزابادي في القاموس : الحَسْيُ ويكسر كإلى سهلٌ من الأرض يَستنقع فيه الماء ، أو غليظٌ فوقَه رملٌ يجمعُ ماءَ المطر وكلَّما نزحتَ دلواً أجَمّتْ أخرى ... وأحساءُ بني سعدٍ بحذاء هَجَر ، وهو أحساء القرامطة ...

من هذه الأقوال المنتقاة من المعجمات الموثوق بها ، يبين أن المعجم الوسيط لم يختر التعريف الجدير إثباته فيه ، فقد نقل تعريفاً مطولاً ، في جوانبه نقص غير بسيط .

لقد كان من المستحسن أن يكون التعريف كما يلي :

الحَسْي والحِسْي : السَّهل من الأرض يَستنقعُ فيه الماء . و ـــ كلُّ مكان إذا نُحّيَ عنه رملُه نبع ماؤه . والحَسَى وذو حُسَي : موضعان في جزيرة العرب . (ج) حِسَاءٌ وأحْساءٌ . والأحساء : مواضع كثيرة في بلاد العرب ، منها أحساء بني سعد في شرقي جزيرة العرب .

الغُوطة مجتمع النبـــات والماء . ومنه غُوطتا دمشق .	أكثر ما وردت غوطة دمشق في الشعر القديم كان بلفظ التثنية ، ولعلهم كانوا يقصدون بالغوطتين ـ كما هو الحال اليوم من الوجهـة الإدارية ـ الغوطة الشرقية والغوطة الغربية ، أو الشمالية منها والجنوبيـــة ، ولكن ليس في الواقع الجغرافي أو التاريخي ، إلا غوطة واحدة هي : كل ما أحاط بدمشق من قرى شجراء ، وكان من الأرض المطمئنة التي تروى من نهر بردى [1] .
أناضول ـ أناطُول : ومعناها: الشرق. وتطلق الآن على الأراضي الواقعة شرقي البحر الأبيض المتوسط ، وهي جزء من الجمهورية التركية . الحَبَشَةُ الحَبش . و ـــ بِلادُ الحُبْشانِ ، وهي في إفريقية الشرقية . السِّنْدُ بلادٌ تتاخِمُ الهندَ . . . فارِسُ بلادُ الفُرْسِ . [مادة ف ر س]	أورد المعجم الوسيط في ثناياه أسماء عدة أقطار غير عربية ، وقد نقلنا بعض ما عثرنا عليه منها ، مسجلين الملاحظات التالية : ١ ـ أورد المعجم لفظة أناضول بصيغتين ، دون ضرورة لإثباتها ، وذكر معناها دون بيان في أي لغة ذلك المعنى ، والأناضول : كلمة إغريقية تعني (شروق الشمس) وكانت تطلق على البلاد الواقعة في شرقيّ بلاد اليونان . ٢ ـ التعريفات التي أثبتها المعجم غير متكافئة من حيث المعلومات ، وبعضها قاصر عن إفادة المراجع . ٣ ـ وردت إشارة إلى بلاد الهند في تعريف السند ثم أغفلت في مادة (هـ ن د) . وذكرت النسبة إلى (الصين) مثلاً وأغفلت كلمة (الصين) نفسها .

(١) انظر « غوطة دمشق » تأليف محمد كرد علي ص ١٤ الطبعة الثانية دمشق ١٩٥٢ م .

الأُقيانُس البحـــر العظيم يحيط بالقارّات . (د) .

أثبت المعجم الوسيط لفظة (أقيانس) الدخيلة في مادة (أ ق ي) دون أن يشير إلى الكلمة العربية التي تُغني عنها وهي : المحيط ، رغم أنه أثبتها في مادة (ح و ط) بتعريف مماثل لتعريف الكلمة الأولى .

المُحيط العظيم من البحار يُحدِق باليابسة . (محدثة) .

ومما يلاحظ في تعريف كلة (المحيط) استعمال المعجم كلة (اليابسة) كناية عن الأرض ، دون أن يشير إلى هذا المعنى في مادة (ي ب س) .

القارّةُ الواسع المطمئنُّ من الأرض . و ـــ قِسمٌ من أقسام الأرض الخمسة ؛ وهي إفريقيا ، وآسيا ، وأوربا ، وأمريـــكا ، وأستراليا . (مو) . [مادة ق ر ر]

أثبت المعجم الوسيط في مادة (ق ر ر) المعنى المولد لكلمة (قارّة) ، وجاء بالتعريف المدرسي الذي يعتبر القارات خمساً ، ثم أورد أسماء هذه القارات منتهية بالألف ايحاءً منه بأن رسم تلك الأسماء بالألف أولى ؛ فماذا صنع المعجم نفسه في المواد الأخرى ؟ إنه لم يلتزم بخطة أو بقاعدة معينة ، كما يتضح من الملاحظات التالية :

أنْتَارَكْتِيكا هي القارّة الجامـــدة الجنوبية ، كُشِف عنها حديثاً ، وهي جـــزيرة عظيمة ، أكبر مساحة من أوربة ، وتحيط بالقطب الجامد الجنوبيّ . ويمتـد بعض أجزائها شمالاً إلى

أولاً : — أثبت المعجم في مادة (أ ن ت) اسم القارة السادسة التي كُشف عنها حديثـــاً محيطةً بالقطب الجامد الجنوبيّ . ثم أثبت في مادة (أ م ر) اسم قارّة أمريكة في نبذتين تبعاً لقسميها

نحو خط عرض ٦٣ الجنوبيّ حيث تقرب من أمريكة الجنوبية . وتظهر كهضْبة يُغطيها الجليد دائمًا ، إلا أطرافها فتظهر أراضيها صيفاً . النسبة إليها أنْتارَكتيّ .

[مادة أ ن ت]

أُورُبَّة إحدى القارات السبع ، وأصغرها مساحة ، ما عدا أُستراليا ، وهي في الجزء الشمالي الغربيّ من الدنيا القديمة، بين خطيّ العرض ٣٧ و ٧١ الشَّماليَّيْنِ . وتفصل بينها وبين آسيا جبال أُورال وجبال القُوقاز ، والبحر الأسود. وبينها وبين إفريقيَّة البحر الأبيض المتوسط ، وفي غربها المحيط الأطلسيّ ، وفي شماليّها المحيط الجامد الشماليّ . ومعظم أراضيها في المنطقة المعتدلة ،

الجنوبيّ والشماليّ ، مما يجعل عدد القارات سبعاً ، خلافاً لما ورد في مادة (ق ر ر) وإن كان هذا يتفق مع المعلومات التي تثبتها بعض كتب الجغرافية الحديثة !

ثانياً : — جاء في تعريف قارّة أوربَّة أنها إحدى القارات السبع ، وكان من الواجب القول بأنها إحدى القارات الخمس انسجاماً مع ما ورد في مادة (ق ر ر) ، وكل هذا يدلّ على أن تعريف القارّات في المعجم الوسيط يفتقر إلى إعادة النظر فيه .

ثالثاً : — رسم المعجم الوسيط أسماء كل من أمريكة وإفريقية وأوربّة بالتاء المربوطة في كثير من المواد ، بينما رسمها في مواد أخرى بالألف ، وهذا من العيوب التي يجدر بالمعجم أن يكون خالياً منها .

وعتد بعض أجزائها الشمالية إلى المنطقه الجامدة .
النسبة إليها أوربّيّ .
[مادة أ و ر]

أسيا أعظم القارات اتساعاً ، بين خطي العرض الشماليين ١٫٥ ، ٧٨٫٥ ما عدا جزائر الهند الشرقية ، وتمتد من المنطقة الحارة إلى المنطقة الجامدة الشمالية . ويعيش فيها نحو نصف سكان العالم .
النسبة إليها : أسْيَويٌّ .
(مج) . قد تنطق آسيا بالمد ، والنسبة إليها : آسِيٌّ وآسيَوَيّ .
[مادة أ س ي]

نلاحظ في تعريف القارّات أن المعجم الوسيط ، اتجه اتجاهاً جغرافياً بحتاً ، فهو يذكر مثلاً خطّي العرض التي تقع القارّة بينهما ، بل إنه ذهب في تعريف أستراليا إلى الإشارة إلى (مدار الجَدي) وكان من المستحسن أن يقتصر المعجم على المعلومات الأقرب إلى طبيعته اللغوية .

ومما يلاحظ في تعريف (آسيا) إغفال الإشارة إلى ما يطلق عليه اسم (آسيا الصغرى) .

أستراليا أصغر القارّات . وهي بين المحيطين الهندي والهادي ، وفي الجنوب الشرقي من آسيا ، وتمتد

بين خطي العرض ١٠ ، ٣٩ الجنوبيين ، ويقسمها مدار الجدي قسمين متساويين تقريباً ، معظمها في المنطقة المعتدلة الجنوبية. النسبة إليها ، أستراليّ .

[مادة أ س ت]

إفريقيّة ثانية القارات اتساعاً ، يقع أكثرها في المنطقة الحارة ، وهي بين خطي العرض ٣٧ الشماليّ و ٣٥ الجنوبيّ ، وفي جزئها الشمالي الشرقي يجري نهر النيل ويقع القُطْر المصريّ. والنسبه إليها : إفريقيّ .

[مادة أ ف ر]

أثبت المعجم الوسيط كلمة (إفريقية) في مادتي (أ ف ر) و (ف ر ق) ، وفي المادة الثانية أوردها بصيغتين ، وكان من المستحسن الاكتفاء بإثباتها في المادة الأولى ، على أنه يمكن أن يُحال في مادة (ف ر ق) إلى التعريف الوارد في مادة (أ ف ر) .

ونلاحظ على التعريفات المذكورة ما يلي :

أولاً : — إن وصف إفريقيّة بأنها (ثانية القارات اتساعاً) لا ينسجم مع اعتبار القارات خمساً ، لأن أفريقية تصبح الثالثة بين القارات بعد أمريكة بقسميها .

ثانياً : — إن كلمة (شرقيّ) الواردة في التعريف الأول المذكور في مادة (ف ر ق) وردت سهواً على ما يظهر وصحتها (غربيّ) .

إفريقيا إحدى قارّات الأرض الخمس ، وتقع شرقيّ آسيا وجنوبيّ أوربّة .

إفريقيــة تُطلق على الجزء الشمالي من قارّة إفريقيا المطلّ على البحــــر الأبيض غربيّ مصر .

[مادة ف ر ق]

ثالثاً : — إن ذكر (إفريقية) بصيغتين في مادة (ف ر ق) يوحي بأن إفريقيــة إذا رسمت بالتاء المربوطة انصرفت إلى شماليّ إفريقية ، وهذا التفريق لا سند له من الحقيقة ، ويناقض إثبات المعجم نفسه الكلمة في مادة (أ ف ر) وفي مواد أخرى بالتاء المربوطة .

إن مصدر هذا التفريق الذي تبناه المعجم الوسيط في مادة (ف ر ق) ، ما ورد في بعض المعجمات القديمة من أن إفْريقيَّة ـ بتشديد الياء الثانية ـ تطلق على البلاد الواقعة غربيّ مصر ، ولكن هذا القول كان بسبب الجهل بمدى امتداد القارة جنوباً ، حتى أن صاحب القاموس مثلاً قال : وإفْريقية بلادٌ واسعةٌ قُبالةَ الأندَلُس . بينما ذكر ياقوت في معجمه : إفْريقيَّة : اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقليـــة وينتهي آخرها إلى قبالة جزيرة الأندلس . .

والأقوال التي وردت في المعجمات القديمة لا تكفي ليثبت معجم حديث ، لا بسبيل الرواية ، بل على أساس الواقع ، أن كلمـــة إفريقية تطلق على الجزء الشماليّ من القارة فقط ، إذ لا بدّ في عصرنا الحاضر ، إذا أُريد المعـــنى المذكور من القول : إفريقية الشمالية أو شماليّ إفريقية ، كما يقال : إفريقيـــة السوداء أو الإستوائية ، وإفريقية الشرقية وإفريقية الجنوبية .

أمْرِيكَةُ الجَنوبِيــــةُ : عُـرِفت كأمريكةَ الشماليـةِ منذ نحو أربعة قرون ونصف قرن. وهي بين المحيطين : الأطلسيّ والهادىء ، وفي جنوبيّ أمريكة الشمالية ، وبين خطّي العرض ٨ الشماليّ و ٥٥ الجنوبيّ . وهي على شـــكل مثلث كبير تقريباً ، رأسه إلى الجنوب ، وجزؤها الشمالي في المنطقة الحارة .

[مادة أ م ر]

أمْرِيكَةُ الشَّمالية هي الأرض التي كُشِفَ عنها منذ نحو أربعة قرون ونصف قرن ، بين المحيطين الأطلسيّ والهاديء، وفي شمالها المحيط الجامد الشماليّ . وهي كذلك على بشكلٍ مثلث كبيرٍ تقريباً ، ...

هذان التعريفان لقارّة أمريكة وردا في المعجم الوسيط متتــــاليين في مادة (أ م ر) ونلاحظ عليهما ما يلي :

أولاً : — إن الطابع الجغرافي يغلب على التعريفين المذكورين ، وكأنهما وضعا لموسوعة جغرافية إبتدائية ، وليس لمعجم لغوي وسيط .

ثانياً : — في تعريف كل جزء من أمريكة شبهُ إحالة إلى تعريف الجزء الآخر ، ومن المستحسن تجنب مثل هذه الإحالة في المعجم الوسيط .

ثالثاً : — لم يلاحظ واضـــع التعريفين ، التعريف المدرسيّ لكلمة (قارّة) في المعجم نفسه ، إذ اعتبرت فيه القارات خمساً ، فجاء التعريفان وكأنهما لقارتين مستقلتين . وكان من المستحسن الاكتفاء بتعريف واحد لقارة أمريكة يُشار فيــــه إلى أنها تتكون من قسمين : شماليّ وجنوبي .

رأسه إلى الجنوب ، وتقع بين خطّي العرض ١٠ و ٨٣ الشماليين ؛ وتمتدّ من المنطقة الحارّة إلى المنطقة الجامدة الشمالية . والنسبة إليها أمريكي شماليّ .

[مادة أ م ز]

رابعاً : — أشير في التعريفين إلى زمن كشف أمريكة على طريقة الأخبار ، والواجب في المعاجم تحديد التاريخ المراد إثباته بما لا يؤثر فيه تقادم العهد على المعجم .

لقد كان من المستحسن أن يكون تعريف (أمريكة) في المعجم الوسيط ، على الشكل التالي :

أمْريكةٌ : إحدى قارّات الأرض ، وثانيتها اتساعاً ، كشف عنها في نهاية القرن الخامس عشر الميلاديّ ، وسمّيت باسم أحد روّاد البحر الإيطاليين . النسبه إليها (أمريكيّ) وأمريكة مؤلفة من جزأين كبيرين :

الأول : أمريكة الشمالية ....

والثاني : أمريكة الجنوبية ....

(يتبع)

عدنان الخطيب



محمد بن سلام

- ١ -

حياته

أبو عبد الله محمد بن سلاّم (١) بن عُبيد الله بن سالم (٢) الجمحي (٣) . يكتفي أكثر المؤلفين بنسبة الجمحي (٤) ، ومنهم من يزيد بعدها : مولى أو مولى لهم أو مولى قدامة بن مظعون الجمحي (٥) .

---

(١) كل المصادر ، ومنها مايقف عند اسم الأب : ابن أبي حاتم ٢ : ٣ : ٢٧٨ اللغوي ٦٧ ، ابن النديم ١٧١ ، القفطي ٢ : ١٤٣ ، الصفدي ٣ : ١١٤ .
نص على تشديد اللام من سلاّم ابن الأثير ٥ : ٢٧٥ ، ابن منظور والزّبيدي في (سلم) .

(٢) المرزباني ٢٠٧ أ ، الزُبيدي ١٩٧، الخطيب ٥ : ٣٢٧ ، ابن الأثير ـ لباب ١ : ٢٣٦ ، القفطي ٢ : ١٤٣ ، الذهبي ـ ميزان ٣ : ٦٦ (= ٣ : ٥٦٧ ط البابي) البغدادي ـ ايضاح ٢ : ٨ .
وردت « عبيد الله » على « عبد الله » في ابن الانباري ط . مصر ٢١٦ ، ط. بغداد ١٠٩ ؛ ابن تغري بردي ٢ : ٢٦٠ ، العسقلاني ٥ : ١٨٢ ـ وهو من التصحيف . ولم يذكر الذهبي ـ ميزان والعسقلاني سالماً ؛ وورد « سالم » على « سلام » لدى ابن تغري بردي ـ وهو وهم .

(٣) ابن أبي حاتم ٢ : ٣ : ٢٧٨ ؛ اللغوي ٦٧ ، ٦ ، ٢٨ ، ٥٨ ؛ المرزباني ٢٠٧ أ ابن النديم ١٧١ ؛ السمعاني ١٣٤ ب ؛ ابن الأثير ٥ : ٢٧٥ ، لباب ١ : ٢٣٦ ؛ ياقوت ١٧ : ٢٠٤ ؛ الصفدي ٣ : ١١٤ ؛ العسقلاني ٥ : ١٨٢ .

(٤) اللغوي ، ابن النديم ، ابن الأثير ، القفطي ، الذهبي ـ الميزان .

(٥) الخطيب ٥ : ٣٢٧ ، السمعاني ١٣٤ ب ، الذهبي ـ ميزان ٣ : ٦٦ ، الصفدي ٣ : ١١٥ ؛ ابن تغري بردي ٢ : ٢٦٠ .

وجمح من قريش (١) وقدامة صحابي من المهاجرين الأولين استعمله ابن الخطاب على البحرين ، ثم جلده لما قامت عليه الشهادة بشربه الخمر . توفي – وهو في الثامنة والستين – عام ست وثلاثين للهجرة (٢) .

وواضح من سياق هذا التاريخ أن مولى قدامة هو سالم جدّ سلاّم ، ولا يمكن أن يكون محمداً نفسه كما فهم عدد غير قليل من المؤلفين والباحثين المحدثين (٣) ، وكما يتبادر إلى ذهن من لم يستحضر وقائع التاريخ ولم يعلم أن محمد بن سلاّم معاصر لحفيد قدامة بن مظعون (٤) وأنه ولد بعد وفاة قدامة بأكثر من قرن .

(١) ينظر الزبيري ٢٨٦ ، ابن دريد ١١٧ ، ابن حزم ١٥٠ ، ابن الأثير – لباب ١ : ٢٣٦ ، القلقشندي ٢١٨ ، العسقلاني – الإصابة ٣ : ٢١٩ . والنسب – بدئة –: بنو جمح : بطن من هصيص من قريش من العدنانية ، وهم بنو جمح بن عمرو بن هصيص .

(٢) ينظر ابن سعد ٣ : ٤٠١ ، الزبيري ٢٨٦ ، ابن دريد ١١٧ (و ٢١٨) ابن حزم ١٥٢ ، السيرافي ١٣ ، ابن خلدون ٢ : ٩٠٧ ، ١٠٥٥ ، الفيروزابادي (قدم) ، الذهبي – سير ١ : ١١٦ (ويذكر أنه شرب الخمر يتأول ، مستدلاً بقوله تعالى : ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جُناح فيما طعموا ..) .

(٣) درج أكثر الباحثين على القول : « محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم مولى قدامة بن مظعون ، وهم يقصدون الى أن محمداً هو مولى قدامة ، ولم يحاول أيّ منهم تحقيق المسألة ، ومنهم من نص على أن محمداً مولى قدامة مثل البستاني – دائرة ٣ : ١٩٥ ، وقالت مجلة الأزهر : « .. وولاؤه لقدامة بن مظعون الجمحي » . وورد في الزُبيدي ١٩٧ : « محمد بن سلاّم بن عبد الله بن سالم الجمحي مولى محمد بن زياد مولى قدامة .

(٤) ابن سلام ٥٣ : « أخبرني عمر بن موسى الجمحي عن أخيه قدامة بن موسى » ، ٢٠٩ : « أخبرني أهل العلم من أهل المدينة أن قدامة بن موسى بن عمر بن قدامة ابن مظعون الجمحي ... » .

وكان المرزباني أكثر المؤرخين ـ فيمن رأينا ـ دقة إذ قال . « أبو عبد الله البصري محمد ابن سلاّم وهو سلاّم بن عبيد الله بن سالم مولى عثمان بن مظعون الجمحي (٢) » .

إن كلمة « مولى » زالت على مر الزمن ، ولم تعد تذكر إلى جوار محمد بن سلاّم حتى لكأنه جمحي صلبية ؛ وقد يفهم أنه عربي من سياق خبر أورده أبو الطيب اللغوي (المتوفى عام ٣٥١) وقد يتحدث عن دواعي تأليفه كتاب « مراتب النحويين » ويبين جهل الناس وتخليطهم : « حتى يظن قوم أن القاسم بن سلام البغدادي ومحمد بن سلام الجمحي صاحب الطبقات أخوان ! ولقد رأيت نسخة من كتاب « الغريب المصنّف » على ترجمته : تأليف أبي عبيد القاسم بن سلاّم الجمحي ، وليس أبو عبيد بجمحي ولا عربي ؛ وإنما الجمحي محمد ، مؤلف كتاب « طبقات الشعراء » (٣) .

---

(٢) المرزباني ٢٠٧ أ .

(٣) اللغوي ٦ .

ويبدو أن هذا الوهم بقي على الزمن ، فقد ورد في سماع (من القرن السادس) في آخر النسخة الدمشقية لكتاب الأموال ص ٦١٥ ـ ٦١٦ : « سمع جميع كتاب الأموال على الجهة الكاتبة فخر النساء شهدة .. بحق سماعها عن أبي الفوارس طراد ابن محمد بن علي الزينبي على ابن البادي عن أبي حامد الهروي عن علي بن عبد العزيز البغوي عن أبي عبيد القاسم بن سلاّم الجمحي : الشيوخ أبو الفضل يحي ... وكان الفراغ منه في شعبان سنة ٥٦٧ » .

وأبو عبيد القاسم بن سلام : طلب العلم وسمع الحديث ودرس الأدب ونظر في الفقه وألف كثيراً . ومن كتبه « الغريب المصنف » و « غريب الحديث » و « غريب القرآن » ... والأموال ـ أبوه رومي من أهل هراة .
كان القاسم معاصراً لمحمد بن سلام ، فقد توفي بمكة سنة ٢٢٢ (وقيل ٢٣ وقيل ٢٤) في خلافة المعتصم .

ولنا أن نتصور أن جدّ محمد (أو جد سلاّم) قد أقام في البصرة مبكراً ، أيام قدامة بن مظعون (١) أو بعد « مجرء عمر مناضباً » ؛ وأن محمداً وُلد في البصرة ، ولطالما لقّب بالبصري (٢) . ولا يتكون النسب بسهولة ومن دون صلة متينة .

أما تاريخ هذه الولادة فلم ينص عليه من ترجموا له ؛ ويمكن أن يُقرّب بعام أربعين ومئة للهجرة (٣) .

— كانت المصادر القديمة قلما تقول : ابن سلام ، وانما تخصص فتقول : « محمد بن سلام » و « القاسم بن سلام » ، ولا بد من أن يكون السبب في ذلك دفع اللبس . ينظر عن القاسم : اللغوي ٩٣ ، الزبيدي ١٣٨ ، ابن الأنباري ٩٣ ، ياقوت ١٦ : ٢٠٤ ، الخطيب ١٢ : ٤٠٣ ، ابن خلكان ٣ : ٢٢٥ ... زيدان ٢ : ١١٧ . وفي مقدمة كتابه « الأموال » ترجمة له منقولة عن الذهبي في تاريخ دول الإسلام وله بين مخطوطات مكتبة شيخ الإسلام بالمدينة : الغريب المصنف ويقع في ٢١٨ ورقة وغريب الحديث ويقع في ١٢٠ ورقة .

(١) لقدامة بن مظعون إقامة في البصرة ، ينظر السيرافي ١٣ .

(٢) المرزباني ٢٠٧ أ ، الخطيب ٥ : ٣٢٧ ، السمعاني ١٣٤ ب ، ابن الأنباري ١٠٩ ، ابن أبي حاتم ٢ : ٣ : ٢٧٨ ، ياقوت ١٨ : ٢٠٤ ، ابن الأثير ٥ : ٢٧٥ ، القفطي ٣ : ١٤٣ ، الصفدي ٣ : ١١٥ ، الذهبي ـ ميزان ٣ : ٦٦ ، ابن تغري بردي ٢ : ٢٦٠ ، العسقلاني ٥ : ١٨٢ ، البغدادي ٢ : ٨ ، ...

(٣) اعتماداً على ما رواه المرزباني ٢٠٧ أ عن الحسين بن فهم من أن ابن سلام قدم بغداد سنة ٢٢٢ ومات سنة ٢٣٢ بعد عشر سنوات ، وما رواه الخطيب عن الحسين نفسه ٥ : ٢٢٩ ، من أن عمر محمد كان آنذاك ٨٢ سنة وأعيدت الرواية لدى السمعاني ١٣٤ ب ، وابن الأنباري ١٠٩ ـ ١١٠ ، وياقوت ١٨ : ٢٠٤ ـ ٢٠٥ (دون أن ينص على الخطيب ، ولعله أخذها عن كتاب ابن الأنباري . وذكر ياقوت أن عمر محمد كان اثنتين وسبعين ، ولا بد من أن يُردّ ذلك إلى وهم الناسخين) وممن نقل عن الخطيب ابن أبي أصيبعة ٢ : ١٣٤ .

ويبدو أن الباحثين يعتمدون هذا الخبر اذ يحددون تاريخاً لولادة محمد بن سلام . ونص الأستاذ شاكر جازماً (ص ١١) على أن مولده بالبصرة سنة ١٣٩ .

وقد تهيأت للناشئ الصغير بيئة صالحة تمدّه لمكان مرموق في العلم والأدب ؛ فقد كان أبوه « سلاّم » ذا حظ في العلم والأدب وعلى صلة وثيقة بعلماء عصره وأدبائهم (١) . وربما كان مَن سواه من أفراد أسرته مثله (٢) ؛ وربما كان هذا الأب يطمح إلى أن يرى من ولده من يحتل منزلة بارزة ، وأنه كان يعمل على أن يهيئ له من الفرص ما لم يتهيأ له ؛ فليس عبثاً أن ينصرف ابنه عبد الرحمن إلى الحديث (٦) وأن ينصرف ابنه الآخر (محمد) إلى الحديث وغيره .

وكانت البصرة (٣) آنذاك مدينة علم وأدب وفكر تضم أعلاماً كباراً في كل فن ، وكان للرواية نصيب موفور ونهضة جبارة ، ولا غرو ، فقد كان هذا الفن العجيب في إبّانه ، وقد حل البلدة - وهي القريبة من البادية - عـــدد من الفصحاء ، وقام فيها « المِرْبَد » ، ونشأ مَنْ مهّد الطريق لأكابر الرواة ؛ ولم يكن عبثاً أن تتفتح عينا الناشئ الصغير محمد ابن سلاّم فترياً شيخاً جليلاً يملأ الأسماع والأبصار ويلهج بذكره كل لسان ، ذلكم أبو عمرو بن العلاء (٤) .

(١) ابن سلام ١٣ ، ١٤ ، ٢١٤ ، ٣١٢ ، ٣٧٤ ، ٤٧٩ ، ٤٨٢ ، ٥١٠ ، ٥٣٨ ، ٥٥١ ، ٥٧٨ ، ٥٩٢ .

(٢) كان الحباب بن محمد بن شعيب بن صخر الجمحي زوجَ بنت سلاّم ، وقد أنجبا الفضل (أبا خليفة الجمحي) .

(٣) ينظر بلاّت ، العلي ، الحاجري ، زكي .

(٤) أبو عمرو بن العلاء (وقيل زبان بن العلاء) .. التيمي المازني . قال عنه ابن الأنباري ص ١٥ : « العلم المشهور في علم القراءة واللغة العربية وكان من الشأن بمكان .. أخذ النحو عن نصر بن عاصم الليثي وأخذ عنه يونس بن حبيب البصري والخليل بن أحمد وأبو محمد علي بن المبارك اليزيدي . وكان يونس بن حبيب يقول : لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله في كل شيء كان ينبغي أن يؤخذ بقول عمرو بن العلاء كله في العربية ...

ولد عام ٧٠ (وقيل ٦٨ ، وقيل ٢٦٥) وتوفي عام ١٥٤ (وقيل ١٥٩ ، ١٥٧ ، ١٥٦) .

ينظر عنه السيرافي ، اللغوي ، ابن النديم ، الزُبيدي ، ابن الأنباري ، ياقوت ، ابن خلكان ... دائرة المعارف الإسلامية .

ولم تكن البصرة بمعزل عن الكوفة ، ولم يكن علم المدينتين بالمفصول ، وقصد حمّاد الراوية البصرة فجاءه خلف الأحمر فسمع منه ، فكان خلف أول من أحدث السّماع في بلده (١) ، ثم قصدها المفضل الضبّي (٢) والكسائي (٣) .

وإذ كانت المدينتان في أوج عزّهما العلمي قامت بغداد وشرعت تجتذب وتجمع وتغري ، وذاع عنها ما لقيه العالم الفلاني والأديب الفلاني لدى هذا الخليفة أو ذاك الوزير من حظوة وجاه ومال .

كانت هذه البيئة تهز نفس الفتى وتدفعه إلى أن يتلقى ويحصل ويصل .... وهكذا كان . وما عليه أكثر من أن يحضر هذه الحلقة أو تلك ، ويسمع على هذا الشيخ أو ذاك ، كما يشاء ، فليس أيسر من سبيل المعرفة . فاذا أحسّ من نفسه ميلاً معيّناً الى فن معيّن استجاب ، وإذا لمس فيها إعجاباً بأستاذ معيّن لزم ذلك الأستاذ قدر ما يريد وأفاد منه قدر ما يستطيع .

ولا بد من أنه كان يصحب أباه مبكراً ، ولا بد من أنه بدأ يتلقى العلم مذ نعومة الأظفار ، فانه بعد أن بدأ ما يجب أن يبدأ به من القراءة والكتابة وألمّ بما يلزم أن يُلِم به من أصول النحو مال إلى الحديث — أو طُلب إليه أن يتجه وجهته — ولكنه — كما يبدو — لم يجد في الحديث «ضالته» ، ولم يرد أن يقصر عليه عمره فأكبّ على الأدب والأخبار واللغة والنحو ، وعُني — أكثر ما عُني — برواية الشعر .

---

(١) ابن الأنباري ٣٧ ، ياقوت ١١ : ٧٦ .

(٢) ابن سلام ٢١ . « كان من أكابر الكوفيين وأخذ عنه أبو زيد الأنصاري من البصريين لثقته — ابن الأنباري ٣٥ » . توفي سنة ١٦٨ .

(٣) السيرافي ٤٤ ، الزجاجي ٢١ ، وفي ابن الأنباري ٤٣ : « .. خرج إلى البصرة ولقي الخليل بن أحمد وجلس في حلقته ... ومات الخليل وجلس في موضعه يونس .. فجرت بينهما مسائل أقرّ له يونس فيها وصدّره في موضعه » . توفي أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي سنة ١٨٢ ...

وهكذا كان مشايخه كثيرين ، وكان أن روى عن « جم غفير » - وإن كنّا لا نعد كل من روى عنه شيخاً من شيوخه (١) لأن ذلك يخرج بنا عن طبيعة الأشياء ويوقعنا فيما لا عدّ له ولا حصر . وليس غريباً - بعد ذلك - أن يكون كبار شيوخ محمد بن سلاّم كبار شيوخ البصرة . وهم : حماد بن سلمة ، ويونس بن حبيب ، وخلف الأحمر (أبو مُحرِز خلف ابن حيّان) ، وأبو عُبيـــدة مَعْمَر بن المثنى ، والأصمعي (عبد الملك بن قُرَيْب) ، وأبو زيد الأنصاري (سعيد بن أوس) (٢) .

كان حماد بن سلمة شيخ أهل البصرة في الحديث والعربية والفقه ، وكان فصيحاً مفوّهاً ... (٣) أخذ عنه يونس .

وهو أول من تذكره المصادر من شيوخ محمد بن سلام في الحديث . وقد توفي عام ١٦٧ هـ (وقيل ١٦٩) وابن سلاّم في حدود السابعة والعشرين ؛ ولكنه مذ هذه السن « ابيضّت لحيته ورأسه » (٤) .

ويونس أكثر الشيوخ أثراً في ابن سلاّم وهو « من أكابر النحويين البصريين » (٥) و « إمام نحاة البصرة في عصره ومرجع الأدباء والنحويين في المشكلات » (٦) . أخذ عن أبي عمرو بن العلاء وحماد بن سلمة وغيرهما

(١) كما فعل الأستاذ شاكر ١٢ .

(٢) ترد أكثر أخبارهم لدى : السيرافي ، ابن النديم ، اللغوي ، الزبيدي ، الخطيب ، ابن الأنباري ، ياقوت ، القفطي ، ابن خلكان ، السيوطي ... دائرة المعارف الإسلامية ، زيدان ، الرافعي (٣ : ٣٦٠ ..) - وفي تواريخ وفياتهم اختلاف .

(٣) ياقوت ١٠ : ٢٥٤ .

(٤) كما يروي ابن أخته أبو خليفة ، الخطيب ٥ : ٣٢٩ ، العسقلاني ٥ : ١٨٣ وغيرهما .

(٥) ابن الأنباري ٣١ .

(٦) ياقوت ٢٠ : ٦٤ .

« وقد سمع من العرب كما سمع مَن قبله »(١) وكانت « حلقته بالبصرة ينتابها أهل العلم وطلاب الأدب وفصحاء الأعراب والبادية »(٢) ووفودهم(٣). وله قياس في النحو ومذاهب يتفرد بها(٤). وقد روى عنه سيبويه وأكثر، وسمع منه الكسائي والفرّاء وأبو عبيدة معمر بن المثنى وخلف الأحمر وأبو زيد الأنصاري وغيرهم(٥).

« وكان .. عالماً بالشعر نافذ البصر في تمييز جيده من رديئه، عارفاً بطبقات شعراء العرب حافظاً لأشعارهم يُرجع إليه في ذلك كله(٦) ».

لم يُرَ أبذل منه لعلم(٧). قال أبو عبيدة معمر: اختلفت إلى يونس أربعين سنة أملأ كلّ يوم ألواحي من حفظه »(٨). و « قال أبو زيد الأنصاري النحوي: جلست إلى يونس بن حبيب عشر سنين، وجلس إليـــه قبلي خلف الأحمر عشرين سنة »(٩).

ومن تصانيفه: معاني القرآن الكبير، معاني القرآن الصغير، كتاب اللغات، كتاب الأمثال، كتاب النوادر(١٠).

---

(١) السيرافي ٢٧، ابن الأنباري ٣١، ياقوت ٢٠ : ٦٤.
(٢) السيرافي ٢٧، ابن الأنباري ٣٢، ياقوت ٢٠ : ٦٤
(٣) ابن النديم ٦٩.
(٤) السيرافي ٢٧، ابن الأنباري ٣١، ياقوت ٢٠ : ٦٤.
(٥) السيرافي، ابن النديم، ابن الأنباري، ياقوت.
(٦) ياقوت ٢٠ : ٦٥.
(٧) ابن سلام (عن أبي زيد) في الزبيدي ٤٨.
(٨) اللغوي ٢١، ياقوت ٢٠ : ٦٥، ابن خلكان ٦ : ٢٤٢.
(٩) ياقوت ٢٠ : ٦٥، ابن خلكان ٦ : ٢٤٢.
(١٠) ينظر ابن النديم ٦٩، ياقوت ٢٠ : ٦٧، ابن خلكان ٦ : ٢٤٢.
جاء لدى ابن النديم: النوادر الكبير والنوادر الصغير، وورد لدى ابن خلكان: معاني القرآن الكريم — وصحيحه الكبير.
ولم تصل الينا كتب يونس.

روى عنه محمد بن سلاّم الكثير ، وعن طريقه اتصل بعلم أبي عمرو ابن العلاء ، وقد دل في رواياته عنه على قربه منه . ولا غرو فقد كان أبوه قريباً منه عهد التبيل إليه على ابنه (١) ، وكان الفتى يجد عند أستاذه ضالته فكانت صلته به صلة ملازمة واختصاص فكان يشهد مجالسه ، وكان يونس نفسه يزوره (٢) .

وقد طالت الملازمة واتصلت ؛ فقد توفي يونس سنة اثنتين وثمانين ومئة وقد قارب المئة أو تعداها ــ وكان محمد بن سلام قد جاوز الأربعين من عمره .

كان محمد بن سلام من أصغر تلاميذ يونس سناً ، فأفاد من هؤلاء التلاميذ في حياة شيخه ، وتلمذ لهم بعد وفاته ــ وفي تلاميذ يونس من فيهم .

و خلف الأحمر « أعلم الناس بالشعر » (٣) . وهو معلم الأصمعي ومعلم أهل البصرة (٤) . قال ابن سلاّم : « أجمع أصحابنا أنه كان أفرس الناس ببيت شعر ، وأصدق لساناً . كنا لا نبالي إذا أخذنا عنه أو أنشدنا شعراً أن لا نسمعه من صاحبه » (٥) توفي عام ١٨٠ هـ (وقيل ١٨٩ ..)

و أبو عبيدة « كان أجمع الناس للعلم ، وأعلمهم بأيام العرب وأخبارها » (٦) . قال عنه الجاحظ : « لم يكن في الأرض خارجي ولا إجماعي أعلم بجميع العلوم من أبي عبيدة » (٧) . توفي عام ٢٠٩ هـ (وقيل ٢٠٨ ... ، ٢١٣) .

(١) ابن سلام ١٤ .
(٢) الزبيدي ٥٠ .
(٣) اللغوي ٤٦ .
(٤) ياقوت ١١ : ٧٦ .
(٥) ينظر ابن سلام ٢١ .
(٦) ينظر اللغوي ٤٤ : « .. ومع ذلك فانه ربما أنشد البيت فلم يُقم وزنه حتى يكسره ويُخطىء إذا قرأ القرآن نظراً .. » ؛ ٤٥ : « وكان يميل إلى مذهب الاباضية من الخوارج وكان يبغض العرب » .
(٧) ابن الأنباري ٦٨ .

و الأصمعي « صاحب النحو واللغة والغريب والأخبار والملح »(١) . قال الأخفش : « لم أدرك أحداً أعلم بالشعر من خلف الأحمر والأصمعي »(٢) . وقد « تعلم نقد الشعر من خلف الأحمر »(٣) .

توفي عام ٢١٤ هـ (وقيل ٢١٥ ..)

وأبو زيد « صاحب العربية في البصرة » « أخذ عنه أكابر الناس »(٤) . وكان يروي عن علماء الكوفة ، ولا يُعلم أحدٌ من علماء البصريين بالنحو أخذ عن أهل الكوفة إلا أبا زيد ، فانه روى عن المفضل الضبي »(٥) . كانت حلقته ينتابها الناس وكان كثير السماع من العرب .

توفي عام ٢١٥ هـ .

وهكذا أفاد محمد بن سلاّم من خيرة علماء عصره وفي شتى مناحي معرفتهم ومختلف مجالسهم ومناظراتهم ومناقشاتهم . يلزم هذا ، ويحضر حلقة ذاك ، ولا تفوته الفوائت ؛ وتهيأ له ـ بذلك ـ أن يروي عن خلق كثير ، وأن ترد في أخباره أسماء أعلام عديدة ، لم نخص بالذكر منهم إلا الأهم في حياته ، وإلاّ فهناك الآخرون والآخرون ، وحسبك أن تعلم من هؤلاء الآخرين : الخليل بن أحمد الفراهيدى ، وسيبويه ؛ وانه أفاد من علماء الكوفة الذين وردوا البصرة وحسبنا أن نذكر منهم المفضل الضبي والكسائي .

(١) ابن الأنباري ٧٤ .
(٢) ياقوت ١١ : ٦٧ .
(٣) اللغوي ٤٦ .
(٤) اللغوي ٤٢ .
(٥) ابن الأنباري ٨٦ .

ولا بد من أنه أفاد من أعراب كانوا يفدون إلى البصرة أو يلتقون في المربد . ومن تكررت روايته عنه على وجه يلفت النظر : « أبو الغراف » (١) ،

بلغ محمد بن سلاّم منزلة الشيوخ وروى عنه كثيرون في شتى مجالي المعرفة ، وبين هذا الكثير من كان تلميذاً أو بمنزلة التلميذ ، وأشد هؤلاء صلة به ونقلاً عنه وحفظاً لآثاره ابن أخته أبو خليفة الفضل بن الحُباب الجمحي .

وقال أبو الطيب اللغوي : « روى عنه ـ أي عن ابن سلام ـ أبو حاتم والرياشي والمازني والزيادي وأكابر الناس » (٢) . وهؤلاء من معدودي علماء البصرة . وأبو حاتم هو سهل بن محمد بن عثمان السجستاني ؛ والرياشي هو أبو الفضل العباس بن الفَرَج ؛ والمازني هو أبو عثمان بكر بن محمد ؛ والزيادي هو إسحاق بن سفيان (٣) .

ولم يقف تلاميذ ابن سلاّم والرواة عنه عند حدود البصرة فلقد كان له تلاميذ في بغداد ، لأنه عاش في هذه المدينة عدداً من السنين (أخريات أيامه) .

---

(١) لانعرف عن « أبي الغراف » شيئاً يذكر . جاء في المرزباني ـ معجم ـ عمرو : أبو الغراف السلمي عمرو بن مرثد ، شاعر معروف سندي ، وهو القائل يرد على ربيعة الرقي قوله يمدح يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ويهجو يزيد بن أسيد (السلمي) :

لشتان مابين اليزيدين في الندى يزيد سليم والأغر بن حاتم

وهي أبيات . فهجا أبو الغراف ربيعة واليمن . ينظر ابن الجراح ٤٥ ، ٤٦ ، ابن سلام بدلالة فهرس أعلامه .

(٢) اللغوي ٦٧ .

(٣) وردت أكثر أخبارهم لدى السيرافي ، ابن النديم ، اللغوي ، الزبيدي ، ابن الأنباري ، القفطي ، ياقوت . .

وفياتهم متقاربة ، في حدود الـ ٢٥٠ : أبو حاتم ٢٤٨ (وقيل ٢٥٤ ، ٢٥٥) ، الرياشي قتله الزنج عام ٢٥٧ ، المازني ٢٥٠ (وقيل ٢٤٧) ، الزيادي ٢٤٩ .

كان لا بد له من قصد بغداد ـ ملتقى كبار العلماء ومقر الأجلاء ـ فألم بها (١) وحدثته نفسه باطالة الإقامة فيها ولكن عوائق حالت دون ذلك ولم تتحقق رغبته إلا سنة اثنتين وعشرين ومائتين ـ وهو في الثانية والثمانين فسكنها وحضر مجالسها ، وعقد فيها مجالسه ، فلقد كان شيخاً وله جلالة ومهابة في نفوس الناس من الخاصة والعامة والعلماء والأجلاء (٢) .

مرض محمد بن سلام في بغداد ـ وربما كان ذلك منذ وصوله ـ مرضاً شديداً كاد يودي بحياته . وقد روى الحسين بن فهم تفصيل الحال فقال : « قدم علينا محمد بن سلام سنة اثنتين وعشرين ومائتين فاعتل علة شديدة ، فما تخلف عنه أحد ، وأهدى إليه الأجلاء أطباءهم . وكان ابن ماسويه ممن أهدي إليه ، فلما جسه ونظر إليه قال له : ما أرى من العلة كما أرى من الجزع ! فقال : والله ما ذاك لحرص على الدنيا مع اثنتين وثمانين سنة ؛ ولكن الإنسان في غفلة حتى يوقظ بعلة ، ولو وقفت بعرفات وقفة وزرت قبر رسول الله ﷺ زورة وقضيت أشياء في نفسي ، لرأيت ما اشتد علي من هذا قد سهل . فقال ابن ماسويه : فلا تجزع ، فقد رأيت في عرقك من الحرارة الغريزية وقوتها ما إن سلمك الله من العوارض بلغك عشر سنين أخرى » (٣) .

(١) ينظر المرزباني ٢٠٧ أ « قال ابن سلام كنت ببغداد فمررت بأبي نواس .. »
(٢) ابن حاتم ٢ : ٣ : ٢٧٨ .
(٣) الخطيب ٥ : ٣٢٩ وعنه بنص أو بغير نص : السمعاني ، ابن الأنباري ، ياقوت ، ابن أبي أصيبعة .
وقد روى الخبر المرزباني ٢٠٧ ب ـ ٢٠٨ ا فقال : « قال الحسين بن فهم قدم علينا محمد بن سلام سنة اثنتين وعشرين فاعتل فلم يبق أحد إلا عاده وجاء بطبيب ، فجاء ابن ماسويه فرآه جزعاً فقال له : أكثر ما في علتك جزعك ـــ

والخبر يدل على جلال منزلة محمد بن سلاّم ، وفي ورود اسم ابن ماسويه أكثر من دلالة ، لأن ابن ماسويه طبيب الخلفاء العباسيين منذ أيام هارون الرشيد ، وان الخليفة الواثق كان مشغوفاً به ضنياً »[١] وانه « كان معظّماً ببغداد جليل القدار »[٢] ، بجلسه « أعمر مجلس .. بمدينة السلام لمتطبب أو متكلم أو متفلسف يجتمع فيه كل صنف من أصناف الأدب »[٣] .

— فقال : ليس ذاك بحرص على الدنيا مع هذه السن ولكني كنت أحب أن أقف بعرفات سنة فأزور قبر رسول الله ﷺ زورة . ولو فعلت ذلك لرأيت ما اشتد علي من هذا قد هان . قال : فلا تجزع فان في عراك من قوة الحرارة ما ان سلمك الله من العوارض بلغك عشر سنين » .

وليلاحظ أن المعتصم انتقل الى سرّ من رأى سنة ٢٢١ هـ .

والحسين بن فهم — كما جاء لدى الخطيب ٨ : ٩٢ — ٩٣ : « الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن فهم بن محرز بن ابراهيم أبو علي . سمع خلف بن هشام البزار ويحيى بن معين ومصعبا الزبيري ومحمد بن سعد كاتب الواقدي ومحمد بن سلام الجمحي وأبا خيثمة ... وكان ثقة عسراً في الرواية متمنعاً إلا لمن أكثر ملازمته كان يسكن الجانب الشرقي ناحية الرصافة .. كان حسن المجلس .. مفتناً في العلوم كثير الحفظ للحديث .. ولأصناف الأخبار والنسب والشعر والمعرفة بالرجال فصيحاً متوسطاً في الفقه ، يميل إلى مذهب العراقيين . مات في شهر رجب من سنة ٢٨٩ . وعن الخطيب نقل العسقلاني — ميزان ٢ : ٣٠٨ .

ولا بد أن يكون في تاريخ الولادة الذي ذكره المصدران عن رواية على لسان الحسين نفسه من أنه قال : ولدت في شهر رمضان من سنة ٢٢١ خطأ يرجع الى الناسخين أو أن يكون قوله : « قدم علينا محمد بن سلام سنة اثنتين وعشرين ومائتين » يرويه عن آخر وأنه لم يسمع محمد بن سلام — والأول أولى .

(١) ابن أبي أصيبعة . وابن ماسويه هو أبو زكريا يوحنا ، ينظر عنه ابن النديم ، ابن أبي أصيبعة ، القفطي (أخبار الحكماء ..) ... دائرة المعارف الاسلامية .

(٢) القفطي — الحكماء ٣٨٠ .

(٣) ابن أبي أصيبعة ٢ : ١٢٤ .

وذكر القفطي المجلس ص ٣٨١ — ٣٨٢ فقال : « كان يعقد مجلساً للنظر ويعمر ذلك المجلس بعلم هذا الشأن أتم عمارة ويجري فيه من كل نوع من العلوم القديمة بأحسن عبارة واجتمع إليه أهل العلوم والأدب . وكان يدرّس ويجتمع إليه تلاميذ كثيرون » .

وقد نجا ابن سلام من مرضه ، وعاود طلاّب العلم قصده للإفادة ، وعاود هو حضور المجالس ، وزاد عدد تلاميذه والمستمعين إليه والآخذين عنه ؛ وكان أشدهم به صلة وأكثرهم عنه رواية : أحمد بن يحيى ثعلب .

كان ثعلب شاباً ولكنه نابغة ، وكان يقول : « طلبت العربية واللغة في سنة ست عشرة ومائتين ، وابتدأت بالنظر في « حدود » الفرّاء وسنّي ثماني عشرة سنة ... »(١) .

روى ثعلب لقاءه محمد بن سلاّم فقال : « أتيتُ محمد بن سلام ، لما قدم من البصرة ، لأقرأ عليه الأشعار والأخبار التي يرويها ؛ فلما عرّفني برّني وأكرمني ، فقال لي : أسألك عن أبيات ؟ فقلت له : سل . فقال : ما معنى قول الفرزدق :

تكاد آذانها في الماء تقصمها بيضُ اللاغيم أمثال الخواتيم

فقلت : يصف حميراً تشرب ، وأراد الحلقوم والمريء ويروى : « تقصفها » ، أراد : من شدة جُوعها تضرب فتكاد تنقصف .

... شبّه جوعها بالخواتيم ، وأراد أنها من شدة العطش لما وردت الماء انغمست جحافلها في الماء حتى يكاد الماء يبلغ آذانها .

---

(١) القفطي ١ : ١٣٩ ، وتمام الخبر « ... وبلغت خمساً وعشرين سنة وما بقي عليّ مسألة للفراء إلاّ وأنا أحفظها وأحفظ موضعها من الكتاب ، ولم يبق شيء من كتب الفرّاء في هذا الوقت إلا قد حفظته » ؛ وينظر ياقوت ٥ : ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٩ وفيه : « ... وكنت أعنى بالنحو أكثر من عنايتي بغيره ، فلما أتقنته أكببت على الشعر والمعاني » ، وينظر الزبيدي ١٠٠ ، وفيه : « ... وصنف الكتب وله ثلاثة وعشرون سنة » .

قال : فما تقول في قول علقمة :

سلاءة كعصا النّهدي غُلّ لها ذو فيئة من نوى قُرّان معجوم

قلت : يعني فرساً ، شبّهها بشوك النخلة لإرهاف صدرها وتمام عجزها كذلك خلقة الشوكة .

يقول خلقتها خلقة الشوكة . وهذا يُستحب في الإناث ...

وعصا النهدي : أي كأنها عصا نبع ، لاندماجها وملاستها ، وإنما خص « نهداً » لأن النبع ينبت في بلادها ، فهم أصحاب عصي لا تفارقهم ، فعصيّهم ملس ، فأراد أنها فرس ملساء .

وغُلّ لها ، أي أدخل لها في باطن حافر أو في موضع النسور ، وإنما شبّه النسور بالنوى لأنها صلاب ، وأنها لا تمس الأرض لأن الحافر مقعّب .

وذو فيئة : ذو رجعة ، وهو أن يؤكل النوى ، ثم يُفت البعر فيستخرج النوى فتعلفه الإبل مرة أخرى ، ولا يكون ذلك إلا من صلابته ...

ومعجوم ، أي انه نوى الفم ، وهو أصلب ما يكون . معجوم ، معضوض .

وقرّان : موضع كثير النخل .

قل : فما تقول في قول جرير :

فلا يضغمنّ الليثُ عكلا بغِرّة وعُكلٌ يشمون الفريس المنيّبا

قلت : يقول إن عكلا تخافني أن أهجوهم كما تخاف الغنمُ الأسد ؛ وذلك لأن الأسد إذا أثّر في شاة من الغنم فرّت الغنم إذا شمّت فريسته . والضغم : الأخذ بشدة . حذرهم شعره وهجاءه ؛ فيقول هي تجزع من هجائي إذا هجوت غيرهم فكيف إذا أوقعته بهم .

فقال لي : إقرأ ما شئت . وجعل يعجب »[1] .

ويدل هذا المجلس على أمور كثيرة ، منهـا هدوء الشيخ وتواضعه وأدبه ـ إن شئت ، ولم يكن كمن يريد أن يفرض نفسه بكل سبب ؛ ومنها أنه أنموذج لأساليب امتحان « الكفاءة » الذي يحدد الخطوة التي يخطوها الأستاذ بعده ؛ ومنها نبوغ ثعلب ـ وقد ظهر عالماً ، وجهد أن يبدي كل مكنونه فعل التلميذ « المتفوق » ؛ وإذا كان ثعلب على هذا العلم وسعى لأن يتلمذ على ابن سلام ، ففي ذلك ما يدل على مكانة ابن سلام وشهرته في « الشعر والمعاني » .

كان ثعلب ثقة ديّناً مشهوراً بصدق اللهجة والمعرفة بالغريب ورواية الشعر ، مقدّماً بذّ الشيوخ وهو حدث[2] ؛ لم يتحدث أحد عنه وعن شيوخه إلاّ ذكر محمد بن سلاّم[3] .

(١) الزجاجي ٩٤ .
ومن حواشي محقق الزجـاجي : ان بيت الفرزدق لم يرد في ديوانه ؛ وبيت علقمة في ديوانه (الوهبية ١٢٩٣) ص ١٣١ والمفضليات (ط . دار المعارف ١٣٦١) ص ٤٠٤ ، وبيت جرير في ديوانه (ط . الصاوي ١٣٥٣) ص ١٤ .
وينظر عن بيت جرير : ثعلب ـ المجالس ٢ : ٥٠٠ ، ابن سلام ٣١٧ ، ٤٦٩ .

(٢) ابن الأنباري ١٥٨ .

(٣) ولد ثعلب سنة مائتين وتوفي سنة إحدى وتسعين ومائتين . وهو أبو العباس أحمد ابن يحيى بن زيد ابن سيّار ـ مولى بني شيبـان ، إمام الكوفيين في النحو واللغة في زمانه . أخذ عن محمد بن زياد الأعرابي وعلي بن المغيرة الأثرم وسلمة ابن عاصم ومحمد بن سلاّم الجمحي والزبير بن بكار وأبي الحسن أحمد بن إبراهيم وعبيد الله بن عمر القواريري .
وأخذ عنه أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش وابن عرفة وابن الأنباري وأبو عمرو الزاهد ، وأبو موسى الحامض وابراهيم الحربي .
من كتبه « معاني الشعر » ، ومما طبع له « الفصيح » و « المجالس » .
ينظر عنه الخطيب ٥ : ٢٠٤ ـ ٢١٢ ، اللغوي ٩٥ ـ ، الزبيدي ١٥٥ ـ ، ابن الأنباري ١٥٧ ـ ، ياقوت ٥ : ١٠٢ ـ ١٤٦ ، القفطي ١ : ١٣٨ ، ابن خلكان ١ : ٨٤ ـ ٨٧ ... ومقدمة عبد السلام محمد هارون على المجالس .

عاش ابن سلاّم بعد مرضه عشر سنين ـ كما قال له ابن ماسويه ـ إذ « وافق كلامه قدراً » « ومات سنة اثنتين وثلاثين ومائتين » ـ على رواية المرزباني والخطيب عن الحسين بن فهم ـ أحد تلاميذ ابن سلاّم .

وورد هذا التاريخ في مصادر أخرى [١] ، وبين هذه المصادر الأخرى ما ربط بين سنة الوفاة وحادث معروف فقال : « كان ذلك في السنة التي مات فيها الواثق وبويع المتوكل بن المعتصم » [٢] ـ وهذه السنة ثابتة ، هي سنة ٢٣٢ ، بل إن الشهر منها معروف وهو ذو الحجة [٣] ،

وفي رواية أخرى أوردها المرزباني والخطيب ـ كذلك ـ عن عبد الباقي ابن قانع [٤] أن ابن سلاّم توفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين [٥] . وقد نقلتها عن الخطيب مصادر أخرى ـ كما نقلت عنه الرواية الأولى [٦] ، ووردت وحدها في مصادر أخرى لم تشر إلى المرزباني أو الخطيب بشيء [٧] .

(١) ابن الأنباري ١١٠ ، ياقوت ١٧ : ٢٠٥ ، القفطي ٢ : ١٤٤ ، الصفدي ٣ : ١١٥ .

(٢) ابن الأنباري ، ياقوت .

(٣) ابن الأثير ، حوادث ٢٣٢ : « توفي الخليفة لست بقين من ذي الحجة » .

(٤) لدى الخطيب ١١ : ٨٨ ـ ٨٩ : ولد سنة ٢٦٥ وتوفي سنة ٣٥١ . سمع الحارث بن أبي أسامة ومحمد بن مسلمة الواسطي وابراهيم بن الهيثم البلدي وأحمد ابن اسحاق الوزان وعلي بن محمد بن أبي الشوارب وعبيد بن شريك البزاز وابراهيم ابن اسحاق بن الحسن . روى عنه الدارقطني والمرزباني .. كان من أهل العلم والدراية والفهم ورأيت عامة شيوخنا يوثقونه ، وقد كان تغير في آخر عمره .

(٥) المرزباني ٢٠٨ أ ، الخطيب ٥ : ٣٢٩ .

(٦) القفطي ٢ : ١٤٥ ، الصفدي ٣ : ١١٥ ، الذهبي ـ ميزان ٣ : ٦٧ (= ٣ : ٥٦٨) .

(٧) ابن الأثير ٥ : ٢٧٥ ، ابن كثير ١٠ : ٣٠٨ ، الحنبلي ٢ : ٧١ .

وليس من السهل البت أو ترجيح إحدى الروايتين على الأخرى ؛ وربما كان عام ٢٣٢ هـ أدق ـ إذا كان لا بد من التمييز .

أما مكان الوفاة فليس في رواية الحسين بن فهم ما يقطع بأنه بغداد ، أما رواية ابن قانع فصريحة في ذلك إذ تقول : « توفي محمد بن سلاّم الجمحي ببغداد »[(١)] . ولم تشغل المصادر الأخرى نفسها بهذا الموضوع ، وذكر الزبيدي أنه « البصرة »[(٢)] ـ ولا بد من أن تكون الرواية الأولى أصح .

وخلف محمد بن سلام من الأبناء ـ فيمن خلّف ـ ولداً اسمه « عَوْن » ، روى عن أبيه أشياء[(٣)] ؛ وترك من العلم والرواية والمؤلفات ثروة جليلة دل عليها القليل الذي وصل إلينا منها .

(يتبع) الدكتور علي جواد الطاهر



(١) للرزباني ٢٠٨ أ ، وفي الخطيب ٥ : ٣٢٩ : « أنبأنا محمد بن أحمد بن رزق أخبرنا محمد بن عمر بن غالب حدثنا موسى بن هارون وأخبرنا السمسار أخبرنا الصفار حدثنا ابن قانع قالا : مات محمد بن سلام في بغداد ... » وممن تبع الخطيب القفطي ٢ : ١٤٥ ، ياقوت ١٧ : ٢٠٥ .

(٢) الزبيدي ١٩٧ ، وفي القفطي ٣ : ١٤٥ « وذكر الزبيدي .. » .

(٣) ابن سلام ٥٤٣ (الأغاني ٤ : ٢٤٦) ، شاكر ١٤ .

وفي الخطيب ٥ : ٣٢٩ : « حدث أبو خليفة الفضل بن الحباب فقال : « سمعته ـ أي سمعت ابن سلام ـ يقول : أتيت ثلاثة أهلين : تزوجت وأطفلت فماتوا ثم فعلت مثل ذلك فماتوا ، ثم فعلت الثالثة فماتوا . وها أنا ذا في الرابعة ولا أولاد» . ووردت الرواية لدى القفطي ٢ : ١٤٤ : « ... وها أنذا في الرابعة ولي أولاد » وهي أوجه . ولعل مرد الخطأ في رواية الخطيب : الناسخ .

نظرة في

معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

للدكتور ا . ل . كليرفيل

نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط
ومحمد صلاح الدين الكواكبي
(لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب من جامعة دمشق)

استدراك وتعقيب

— ١١ —

رقم المصطلح		رقم المصطلح	
٦٢٣٢	تهلّم	6232	Gélification

وأرجح تجمُّد . فقد جاء في شرح هذه اللفظة في معجم غارنيسه ودولامار (١) ما يأتي : التخثر (التجلط) الكتلي لأحد المحاليل الغروانية بتكوّن شبكة صلبة على غاية من الدقة تحوي سائلاً في فُرَجها .

هذا وإن مجمع اللغة قد أقر ترجمة لفظة (Gélatine) بهلام في بعض المواضع وأقر تعريبها بجيلاتين في بعضها الآخر . وأقر استعمال لفظة تجلتُن وجلتنة ترجمة للفظة (Gelatinization) وهي طبعاً غير (Gélification) التي لا يصح ترجمتها إلا بالتجمد .

(١) M. Garnier et V. J. Delamare.—Dictionnaire des Termes Teschniques de Médecine

6233 Gélose, agar — agar غيراء ، آغار ـ آغار ٦٢٣٣

وأرجح تعريب اللفظة بجيلوز بعد أن خصصت لفظة غيراء ترجمة لـ (Colle) ومنه اشتقاق لفظة غرواني ترجمة لـ (Colloïde) . هذا وإن مادة الجيلوز تستخرج من طحالب البحر مما يميزها من الغيراء .

6234 Gélose — ascite غيراء بالسقْي ٦٢٣٤

6235 Gélose à l'esculine غيراء بالأسكولين ٦٢٣٥

6236 Gélose glucosé غيراء غلوكوزي ، غراء بسكر العنب ٦٢٣٦

6237 Gélose glycérinée غيراء مُغَلْسَر ٦٢٣٧

6238 Gélose inclinée غيراء مائل ٦٢٣٨

6239 Gélose lactosée au tournesol bleu غيراء بسُكَّر اللبن (لاكتوزي) بصبغة عباد الشمس (العَبْثَم) الأزرق ٦٢٣٩

6240 Gélose nutritive غيراء مُغذ ٦٢٤٠

6241 Gélose — sérum غيراء بالمَصْل ٦٢٤١

وأرجح ترجمة الألفاظ تباعاً كما يلي : جيلوز بالسقْي ، وجيلوز بالأسكولين ، وجيلوز غلوكوزي ، وجيلوز غليسريني ، وجيلوز مائل ، وجيلوز لكتوزي بعباد الشمس الأزرق ، وجيلوز مغذ ، وجيلوز بالمصل .

6247 Gène تكوّن ، حدوث ، نسل ٦٢٤٧

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة بجينة وترجمتها بورثة أيضاً ، وجاء في التعريف : إحدى الوحدات الوراثية في الصبغي (الكروموسوم) وهي المظهرة لصفة ما في الحيوان أو النبات البالغ

6248 Gène (ayant rapport au) بالتكوّن(ذو علاقة)بالتّسل ٦٢٤٨

وأرجح بالمنشأ (ذو علاقة أو صلة) دون التّسل كقولنا في ترجمة (endogène) داخلي المنشأ أو المصدر .

6249 Gêne إزعاج ، زعج ، عسر ٦٢٤٩

وضيق وصعوبة أيضاً .

6250 gêne à la mastication زعج ، عسر البلع ٦٢٥٠

وأرجح صعوبة البلع .

6256 Génératif, ive تكويني ٦٢٥٦

وتوليدي أيضاً ، إذ سبق للجنة أن ترجمت لفظة (Générateur) بمولّد (اللفظتان ٦٣٥٤ و ٦٣٥٥) .

6257 Genêt à balai رتم (وزال) ٦٢٥٧

وجاءت اللفظة معرّبة بجينستا في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي وذكر في تعريفها : تطلق الكلمة الفرنسية على أنواع الجنستا والرتم والوزّال وجميعها من القرنيات الفراشية .

6258 Génétique علم إصلاح النسل ٦٢٥٨

6259 Génétique, génésique خلقي إنسالي ٦٢٥٩

6260 Génétique pathologique خلقي مرضي ٦٢٦٠

إن ترجمة اللفظة الأولى بعلم إصلاح النّسل حصراً غير صحيح ، لأن للفظة معنى أعم وهو علم الوراثة أو النّسل (١) وأقر مجمع اللغة ترجمتها بعلم الوراثة

(١) جاء في معجم غارنيه ودولامار (M. Garnier et V. J. Delamare) في ترجمة اللفظة الأولى ما يلي : هو العلم الذي يبحث في جميع الظواهر والأمور المتعلقة بالنسل ، ويبحث بشكل خاص في تحديد نواميس الوراثة الطبيعية والمرضية في الإنسان .

وجاء في التعريف : العلم الذي يبحث في انتقال الصفات من جيل إلى آخر ، وتفسير الظواهر المتعلقة بطريقة هذا الانتقال . أقول وإن من مدلول الكلمة علم إصلاح النسل أيضاً .

أما اللفظة الثانية فهي تدل على النسبة إلى الجينة أو الورثة (١) السابقة (اللفظة ٦٢٤٧) فتصبح ترجمتها جيني أو ورثي . وأما اللفظة الثالثة فترجمتها بورثي مرضي .

٦٢٦٧ مِثال الخِلْقة ، مِثال التولد Génotype , idiotype 6267

٦٢٦٨ ذو علاقة بمثال الخِلْقة وصلة Génotypique 6268

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة الأولى بطراز جيني — طراز الجنس . وجاء في الشرح ما يلي :

١ — طراز كائن حي يعرف بتركيبه الوراثي .

٢ — طراز الجنس : طراز النوع الذي يجتمع فيه معظم صفات الجنس .

وتصبح ترجمة اللفظة الثانية ما يتعلق بطراز الورثة ، والجينة وبطراز الجنس .

٦٢٧٠ رُكبة حنفاء Genou cagneux , genu valgum 6270

---

(١) وجاء في معجم بلاكستون (Blakiston's) في شرح اللفظة أن لها المعاني التالية : (١) ماله صلة بطراز الانسال والنمو (٢) ماله صلة بالورثات (٣) ما ينشأ عن الورثات . وجاء في المعجم نفسه في تفسير (Genetics) بصيغة الجمع ما يلي : فرع علم الأحياء الذي يبحث في ظواهر الوراثة واختلافاتها ، كما أنه يهدف إلى البحث عن أسباب التشابه والتباين بين الوالدين ونسلها ، وتشملاً بين جميع المخلوقات فيما يختص بصلة الوارث والمورث .

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بالصكك ولا شك بأنها أفضل (١) .

6271 Genou du corps calleux ٦٢٧١ رُكبة الجسم الثفني

وأقر مجمع اللغة : ركبة الجسم الجاسئ وأراها أفضل (٢) .

6272 Genouillé, ée, géniculé, ée, coudé, ée ٦٢٧٢ رُكبي

رُكبي ومُنعطِف ترجمة لِ (Coudé) وقد أهملتها اللجنة .

6275 Genu recurvatum ٦٢٧٥ رُكبة مقوّسة للوراء

وأرجح رُكبة مُعْوَجّة أو مُتحجِّنة (٣) ، ويقصد باللفظة الركبة التي تبدي تشوهاً يجعلها تنعطف إلى الأمام جزئياً .

---

(١) في اللسان : والصكك اضطراب الركبتين والعرقوبين من الإنسان وغيره ، والنعت رجل أصكّ ، صكّ يصكّ صككاً فهو أصك وصك وقد صككت يا رجل . إلى أن قال عن ابن الأعرابي : في قدميه قَبَل ثم حَذَف وفي ركبتيه صكك وفي فخذيه فجَج .

في اللسان : الحَذَف في القدمين إقبال كل واحدة منهما على الأخرى بإبهامها وكذلك في الحافر في اليد والرجل ، وقيل هو ميل كل واحدة من الإبهامين على صاحبتها حتى يرى شخص أصلها خارجاً وقيل هو انقلاب القدم حتى يصير بطنُها ظهرَها وقيل هو ميل في صدر القَدَم وقد حَنِف حَنَفاً ورجل أحنَفُ وامرأة حنفاء . وقال أيضاً : الحَنَف أن تُقبل إبهام الرجل اليمنى على أختها من اليسرى وأن تُقبل الأخرى اليها اقبالاً شديداً الخ .

(٢) في اللسان : جَسَأ الشيء يجسأ جسوءاً وجساءة فهو جاسئ صَلُب وخَشُنَ . في اللسان : الثَّفِنة من البعير والناقة الركبة وما مس الأرض من كِرْكِرته وسعداناته وأصول أفخاذه ، وفي الصحاح : هو ما يقع على الأرض من أعضاء إذا استناخ وغَلُظ كالركبتين وغيرهما ... إلى أن قال ثَفِنت يده إذا غلُظت من العمل .

(٣) في اللسان : حَجَنَ العود يحجِنه حَجْناً وحَجّنه عطفه . والمَحجَن والحُجْنة والتحجن اعوجاج الشيء .

6279 Germe, V. agent — جرثومة ، رُشيم ، بَزْر ٦٢٧٩
germe aérobie V. aérobie (germe) — انظر عامل مرضي

6280 Germe de blé — رُشيم القَمْح ٦٢٨٠

6281 Germe de céréales — رُشيم الحبوب ٦٢٨١

6282 Germe dentaire — رُشيم السن ٦٢٨٢

6283 Germe morbide, germe pathogène — جرثوم مرضي ، جرثوم مُمْرِض ٦٢٨٣

لقد جاءت ترجمة اللفظة في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي جرثومة فقط وجاء في التعريف : تطلق الكلمة الفرنسية في معناها المحدود على جنين البزرة وفي معناها الشامل على الأجسام العضوية التي تولد كائناً حياً كالبوغ والمكروبات والبكتريات التي تعيش وتولد أحياء شبيهة بها .

أما مجمع اللغة العربية فقد أقر ترجمة اللفظة بما يلي من الألفاظ : الحُيَيّ (ج الحييات) والجرثومة والبُذَيرة (ج البذيرات) والبذرة (ج بذور) والشطأ والأصل (في الحيوان والنبات) .

ولا أرى أن لفظة الرُشيم (١) ولا الشطأ (٢) تفيان بالمعنى المقصود والأفضل الاقتصار على ترجمة اللفظة بالحُيي والجرثومة والأصل وجنين البذرة ، وجرثوم ممرض للفظه الأخيرة .

---

(١) في اللسان : والرَّشَم بالتحريك والرَّوشم أول ما يظهر من النبت يقال فيه رَشَم من النبات ، وأرشمت الأرض بدا نبتها ، وأرشم الشجر أخرج ثمره كالحمص وعن إبن الأعرابي وأرشم الشجر وأرمش اذا أورق .

(٢) في اللسان : الشَطأ فرخ الزرع والنخل وقيل هو ورق الزرع ، وفي التنزيل : كزرع أخرج شطأه أي طَرَفه وجمعه شُطوء .

٦٢٨٤ جُرْثوم التَّدَعُّص Germe de putréfaction 6284

وأرجح جرثوم التفسخ اللفظة الشائعة .

٦٢٨٩ مُكوِّن الرُّشَيْم (مبيض المثقوبات) Germigène (ovaire des trématodes) 6289

وأرجح مُكَوِّن البُذَيْرة (مبيض المُتَقَّبات) كما أقر مجمع اللغة اللفظة الأخيرة .

٦٢٩٠ رشيمي ، بَزْري ، إنتاشي ، نَتشي Germinal, le 6290

وأقر مجمع اللغة جرثومي فقط ، كما أن لفظة نَتَشي لتوجب الالتباس (١) .

٦٢٩١ مُنْتِش Germinatif, ve 6291

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بمُنْبِت (٢) .

---

(١) في اللسان : النَّتَش البياض الذي يظهر في أصل الظفر والنَّتْش النَّتف للَّحم ونحوه والمِنْتاش المنقاش . الليث : النتش إخراج الشوك بالمِنْتاش وهو المِنقاش الذي يُنْتَف به الشَّعر ، قال : والنَّتْش جذبُ اللحم ونحوه قرصاً ونهشاً . قال أبو منصور : والعرب تقول المِنْقاش مِنتاخ ومِنْتاش .
ونَتَشْت الشيء بالمِنتاش أي استخرجته . وأنتش النباتُ وذلك حين يخرج رؤوسه من الأرض قبل أن يُعْرِق ، ونَتَشه ما يبدو منه ، وأنتشَ الحبُّ ابتلَّ لضرب تَنَشَّه في الأرض بعد ما يبدو منه أول ما ينبت من أسفل وفوق ، وذلك النبات النَّتَش .
وأقر مجمع اللغة في ترجمة (Germinal epithelium) الواردة في مصطلحات علوم الأحياء (المجلد الرابع من مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع يوليه ١٩٦٢) لفظتي ظِهارة جرثومية وطلائية جرثومية وجاء في التعريف : نسيج ظهاري (طلائي) يدخل في تركيب الغدة التناسلية وتكوّن خلاياه الخلايا التناسلية .

(٢) وردت اللفظة في ترجمة الطبقة المنبتة (Germinative layer) في مصطلحات علوم الأحياء وجاء في التعريف : وهي الطبقة القاعدية في الظِّهارة الطبقية (الطلائية الطبقية) والتي تكوّن خلايا الطبقات الأخرى وقد تسمى أيضاً طبقة مالبيجي .

6305 Glacial, ale متجمّد ٦٣٠٥

والصحيح ترجمة اللفظة بالجليدي أو الجمدي نسبة إلى الجليد أو الجمد(١)، وتخصيص لفظة تجمّد ترجمة لـ (Gélification)(٢) ، وعلى ذلك فقد ورد في الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي (Glacial, icy) وجاء في شرح اللفظة في معجم بلاكستون (Blakiston's) ما يلي : ما يشبه الجليد في منظره كحامض الخل الجليدي (gl. acetic acid) وحامض الفسفور الجليدي (gl. phosphoric ac.) . وسبق للجنة أن استعملت لفظة تجمّد ترجمة لـ (Congé ation) (اللفظة ٣٠٥٢) وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بثلجي في ترجمة لفظة (Glacial plants) بنباتات ثلجية وجاء في الشرح : نباتات تعيش وسط الثلوج في الأقطار القطبية الباردة .

كما انه أقر ترجمتها أيضاً بالجليدي في حامض الخل الجليدي (Glacial acetic acid) وجاء في الشرح : هو حامض الخل الصرف وسمي كذلك لأنه يتجمد إذا انخفضت درجة حرارة الجو عن درجة ١٦،٨ م° .

6307 Glaireux, euse, muqueux, euse mucilagineux, euse مُناطي ، مُخاطي ، لُعابي ٦٣٠٧

(١) في اللسان : والجليد ما يسقط من السماء على الأرض من الندى فيجمد وأرض علودة أصابها الجليد وجُلِدَت الأرض من الجليد ، والجليد ما جَمَدَ من الماء وسقط على الأرض من الصَّقيع فجمد .
وفي اللسان أيضاً : الجَمَد بالتحريك الماء الجامد . الجوهري الجَمْد بالتسكين ما جَمَد من الماء وهو نقيض الذوب .

(٢) الصفحة ٧٦ من هذه المجلة .

وأرجح ترجمة اللفظة الأولى بآحي لأنها النسبة إلى الآح (بياض البيض) كما جاء في معجم غارنيه ودولامار[١] (M. Garnier et V. J. Delamare) واللفظة الثالثة بصمغي[٢] لتخصيص لفظة لعابي ترجمة لـ (Salivaire). هذا ولا أرى مسوغاً لاستعمال مناطي لهذا المعنى[٣].

6315 Glande hémolymphatique غدة دَموية لنفاوية ٦٣١٥

غدة دموية لمفية كما أقرها مجمع اللغة.

6316 Glande lacrymal غُدَّة دَمْعيَّة ٦٣١٦

(2) Conduits lacrimaux (٢) قِسمات ، مَجارٍ دَمْعيَّة

وأقر مجمع اللغة قنوات دمعية.

(4) Points lacrimaux (٤) نِقاط دَمْعيَّة

وأرجح الفوهات الدمعية وفاقاً للترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي[٤] لكي لا يلتبس الأمر بقطرات الدمع.

6322 Glande pinéale, épiphyse cérébrale غُدَّة صَنوْبرية ، مُشاشة دِماغية ٦٣٢٢

وأرجح الاكتفاء بالغدة الصنوبرية لأن لفظة (épiphyse) تعد من مترادفاتها واستعمال لفظة مُشاشة[٥] مما يدعو الى الالتباس.

---

(١) لقد جاء في المعجم المذكور في شرح لفظة (Glaire) ما يلي: (اشتقاق اللفظة من الآح) سائل شبه بلا لون لزج كآح البيض وأكثف من المخاط تفرزه الأغشية المخاطية في بعض الحالات المرضية.

(٢) الصفحة ٥٠١ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة.

(٣) في اللسان: المَغْط مد الشيء يتمطيه وخص بعضهم به مد الشيء اللين كالمُصران والوتر، مَغَطه يَمْغَطه مغطاً فامَّغط وامتغط.

(٤) (Lacrimal openings)

(٥) الصفحة ٥٦٣ من المجلد الأربعين من هذه المجلة.

6330 Glandes cardiaques, fundiques, du grand cul-de-sac غُدَد سُدفية ، قعرية،غُدَد الرّتج الكبير ٦٣٣٠

وأرجح غدد الفؤاد (١) وغدد الجيب الكبير كما أقرها مجمع اللغة .

6354 Glandes vulvo — vaginales de Bartholin كَيْثن (غدد فرجية مِهْبَلِيَّة) غدد برطولين ٦٣٥٤

أقول غُدَد برطولن الفرجية المهبلية ولا أرى لفظة كَيْثن تعني هذه الغدد(٢) .

6357 Gliose تَشَعُّب اللحمة العَصَبية ٦٣٥٧

والصحيح الفساد اللُّحمي العَصَبي أو الفساد الدبقي (٣) العصبي قياساً على ما أقره مجمع اللغة من ترجمة (Néphrose) بالفساد الكلوي. ودرجت على استعمال الداء الكلوي (٤) ترجمة للفظة ويمكن القول الداء اللحمي العصبي أو الدبقي العصبي . لأن ما يعنى باللفظة كما جاء في شرح معجم بلاكستون (Blakiston's) : تكاثر الدِّبْق العصبي (Neuroglie) في الدماغ أو في النخاع الشوكي بحيث يحل محل النسيج العصبي الأصيل ، أو التهابه الخفيف ، منه الموضع ومنه المنتشر ، ويعد الفساد الدبقي في الحبل الشوكي أولى العلامات المبكرة للتغير الطارىء على النخاع في تكهف النخاع (Syringomyélie) .

6365 Globulie عدد الكريراوات (الكريات الحمْر) ٦٣٦٥

وأرجح عدد الكريات الحمر ؛

(١) الصفحة ٦٣٣ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في اللسان : الكَيْـثن لحمة داخل فرج المرأة ابن سيده : الكَيْـثن لحم باطن الفرج والركب ظاهره .

(٣) الصفحة ١٢٢ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٤) الصفحة ١٠٠ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

٦٣٦٦ كُرَيّين، كريّين المَصْل Globuline, sérum-globuline 6366

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة بـ غلوبولين أو جلوبولين وجاء في الشرح: أحد بروتينات الدم لا يذوب في الماء وإنما تذوبه محاليل الأملاح المعتدلة .

٦٣٦٨ كُبَيْبَة Glomérule, pelote 6368

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بكُبَّة نقلاً عن اللسان .

٦٣٦٩ التهاب كُبَيْبات الكليّة Gloméruloaéphrite 6369

وأقر مجمع اللغة التهاب كلوي كبيبي وكُلاء كبي في موضع آخر ، وأرى الأولى أفضل .

٦٣٧٠ ذات الشّين، ذُباب تسه تسه Glossine, mouch tsé tsé 6370

وأقر مجمع اللغة العذّام(١) النشّوامي . وترجمها الأمير مصطفى الشهابي في معجم الألفاظ الزراعية بشَذَاة وجاء في الشرح : (ج . شذا اقتبسها من المخصص وهي تدل على ذبابة بعينها كما انها اسم عام للذباب . وكان مجمع مصر سماها العَذّام على حين أن العَذّام هو العضّاض أو البرغوث ، جنس حشرات من فصيلة الذُباب ورُتبة ذوات الجناحين تنقل إلى الإنسان أو الحيوان الذي تلسعه طائفة من المثقبيات (Trypanosomes) وهي طفيليات تحدث بالملسوع أمراضاً كمرض النوم وغيره) ولا شك أن شذاة أفضل من عذّام إذا لم نعربها بغلوسينا وعندي هو الأرجح .

٦٣٧٢ زَرْدَمة ، مِزْمار Glotte 6373

وأقر مجمع اللغة مِزْمار (في الحنجرة) فقط وجاء في الشرح فتحة

(١) في اللسان : عَذَمَ يَعْذِم عَذْماً عضّ وفرس عَذِمٌ وعَذومٌ عضوضٌ ، والعَذْمُ العض والأكل بجفاء يقال فرس عَذومٌ للذي يَعْذم بأسنانه أي يكدِمُ . قال ابن بري العَذْم بالشفة والعض بالأسنان .

الحنجرة في البلعوم وهي اللفظة الشائعة وتفضل على زَرْدَمة (١) .

٦٣٧٧ سُكَّريات ، ماآت الفحم — 6377 Glucides, hydrate de carbone

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بالجلوسيدات أو الغلوسيدات ، وماآت الكربون (٢) .

٦٣٧٩ سُكَّريد — 6379 Glucoside

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة بجلوكوزيد أو غلوكوزيد وجاء في الشرح : مادة معقدة تعطي الجلوكوز عند تحللها بالماء وتوجد في كثير من النباتات ومن أمثلتها جلوكوزيد الأمجدالين في اللوز المر والمشمش والساليس في الصفصاف.

٦٣٨١ دابُوق ، غِراء نباتي — 6381 Gluten, colle végétale

وأرجح تعريب اللفظة الأولى بغلوتين .

٦٣٨٢ تَحَلّوُن الدم ، حلاوة الدم — 6382 Glycémie, glycohémie

٦٣٨٣ تَحَلّوُن الدم (مبلغ) — 6383 Glycémie (taux de la)

وأرجح ترجمة اللفظة الأولى بسُكَّرية الدم أو غلوكوزيته بعد أن أقر تعريب غلوكوز ، والثاني بغلوكوزية الدم أو سكريته (مبلغها أو مداها) .

٦٣٨٤ عَصيدات — 6384 Glycérés

وأفضل تعريب اللفظة بغليسريات بعد أن أقر تخصيص لفظة عصيدة ترجمة لِـ (Athérome) (٣) .

---

(١) في اللسان : زَرْدَمَه خَنَقَه وزَرْدَبَه كذلك . وزَرْدَمَة عصر حلقه والزَّرْدَمة الغَلْصَمة وقيل هي فارسية وقيل الزَّردمة من الإنسان تحت الحلقوم واللسان ، واللسان مركبٌ فيها . وقيل الزَّرْدمة الابتلاع والازدرام الابتلاع .

(٢) الصفحة ٦٣٣ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) الصفحة ٧٨ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .

٦٣٨٥ عصيدات النشا — 6385 Glycérés d'amidon

وأرجح غليسريات النشا .

٦٣٨٦ حُلوين (غليسرول) — 6386 Glycérine

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة بجلسرين أو غلسرين ولا شك أنه أفضل .

٦٣٨٨ غليكوجين ، مُكَوِّن سكر العنب — 6388 Glycogène

٦٣٨٩ تكوّن سكر العنب — 6389 Glycogénie

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة الأولى بجليكوجين (النّشا الحيواني) وجاء في التعريف : مادة متعددة التسكر توجد في الأنسجة الحيوانية . وتصبح ترجمة اللفظة الثانية تولد الغليكوجين أو تكوّنه .

٦٣٩٠ بيلة سُكّرية ، تعَلْسُن البول — 6390 Glycosurie, meliturie

وأقر مجمع اللغة البول السكري وجاء في التعريف : وجود السكر في البول ، وعندي البيلة السكرية أفضل [١] .

٦٣٩٣ .. سِلْعَة — 6393 Goitre

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة بالجُوتر وهو أفضل [٢] إذ ليس للفظتي السّلعة والجَدَرة الدارجتي الاستعمال في سورية أن تدلا على المعنى المقصود .

---

(١) الصفحة ٤٧٥ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في اللسان : السِّلعة بكسر السين الضّواة وهي زيادة تحدث في الجسد مثل الغُدة وقال الأزهري هي الجَدَرة تخرج بالرأس وسائر الجسد تمور بين الجلد واللحم إذا حركتها وقد تكون لسائر البدن في العنق وغيره وقد تكون من حمّصة إلى بطيخة . في اللسان أيضاً : والجَدَرُ والجدَر سِلَعٌ تكون في البدن خلقة وقد تكون من الضرب والجراحات واحدتها جَدَرة وجُدَرَة وهي الأجدار . وقيل الجُدَر إذا ارتفعت عن الجلد وإذا لم ترتفع فهي نَدَب . وقد يدعى النّدب جُدَراً ولا يدعى الجُدَر ندباً . وقال اللحياني الجُدَرُ السِّلَع تكون بالإنسان أو البُثور الناتئة واحدتها جُدَرة . الجوهري الجدَرة خُراج وهي السِّلعة والجمع جَدَر .

6395 Goitre aigu, goitre épidémique — ٦٣٩٥ سِلْعَة حادة أو سارية

غوتر حاد أو وبائي .

6396 Goitre colloide — ٦٣٩٦ سِلْعة شَبْغَرِيَّة

غوتر غرواني كما أقرها مجمع اللغة .

6404 Goitre provenant d'une glande thyroïde accessoire de la racine de la langue — ٦٤٠٤ سِلْعة ناشِئة من غدة درقية مُلْحَقَةٍ في العَقَدة (جذر اللِّسان)

وأرجح غوتر ناشئ عن غدة درقية ثانوية في أصل اللسان ،

6407 Goitreux, goitreuse — ٦٤٠٧ مَسْلوع ، مَسْلوعة

6408 goitreux, euse — ٦٤٠٨ سِلْعي

وأرجح مصاب بالغوتر أو مصابة بالغوتر في اللفظة الأولى وغوتري وغوترية في الثانية .

6411 Gomme tumeur gommeuse V. syphilome — ٦٤١١ صَمْغ ورم صَمْغي انظر ورم إفرنجي

وأقر مجمع اللغة التورم الصمغي ـ الصمغة . وجاء في الشرح : تورم يظهر في الدور الثالث من أدوار الزهري الوراثي ويتقرح إذا كان في الجلد أو في الغشاء المخاطي .

6412 Gomme adragante, tragacanthe — ٦٤١٢ كَثيراء

وأرجح صمغ الكثيراء . والكثيراء أو اسطراغالُس (Astragalus) كما جاء في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي من فصيلة القرنيات الفراشية ، ويصدر صمغ الكثيراء عن النوع المعروف بالصمغي (A. gummifer) .

٦٤١٥ صمغ الصنوبر الأصفر Gomme - gutte 6415

والصحيح صمغ الغرسينا (١) .

٦٤١٧ صمغ صمغروري ، صمغ راتينجي ، مغتفر Gomme - résine 6417

وأرجح الاكتفاء بصمغ راتنجي فقط (٢) .

٦٤٢٨ بوري (نوع من السمك) Goujon 6428

لا أظن بصلة هذا النوع من السمك بالطب وبالاتيان على ذكره في هذا المعجم الطبي . وما هو صحيح ان في جانب في هذا المعنى الذي تشير إليه اللفظة الفرنسية معنى آخر ورد في معجم لاروس القرن العشرين وهو إطلاق اللفظة على أداة تشبه المسمار يثبت بها قطعتا العظم المكسور ، لذا أرجح ترجمة اللفظة بمسمار .

٦٤٢٩ نخطة (نزلة قصبية في الخيل) (بيطرة) Gourme, étranguillons (vit.) 6429

وجاء في ترجمة اللفظة في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي :

(١) لقد جاء في معجم لاروس القرن العشرين ان هذا الصمغ الراتنجي (Gomme-résine) يستخرج من الشقوق المجراة على لحاء الشجر المعروف بـ (Garcinie de Hanbury) وجاء في ايضاح الشجرة الأخيرة ان اسمها منسوب إلى العالم غرسن (Garcin) وهي من فصيلة الكلوزيات (Guttifères) وهي تنبت في كمبوديا (Cambodge) من الهند الصينية وفي سيلان . وجاء في معجم بلاكستون (Blakiston's) ان هذا الصمغ الراتنجي يستعمل مسهلاً .

(٢) في اللسان : والصمغرور الصمغ الدقيق الملتوي وقيل هو الصمغ عامة وقيل الصماريخ صمغ جامد يشبه الأصابع وقيل الصمغرور الطلة من الصمغ والغع .

في اللسان : المغافير والمغافر صمغ شبيه بالناطف ينضحه العرفط فيوضع في ثوب ثم ينضح بالماء فيشرب واحدها مغفر ومغفر ومغثور ومغفور ومغفار ومغفير والمغفوراء الأرض ذات المغافير .

ـَغرْم . نزلة سارية وفي شرحهـا : الأولى معربة . مرض مكروبي سارٍ يصيب جهاز التنفس . فاذا كان الداء مميتاً (١) كما يتضح من شرح اللسان فان لفظة نحطة أفضل .

٦٤٤٢ نِقْرِس مع رواسب كلسية 6442 Goutte avec tophi

وترجمت اللجنة لفظة (tophi) بصيغة الجمع و (tophus) بصيغة المفرد برواسب رملية (اللفظة ١٣٤٨٨) أيضاً . واللفظة مشتقة من اليونانية بما يدل على الطين الليّن ، ويعنى بها طيناً الراسب المؤلف من أورات الصود (Urate de soude) والمستقر حول أحد المفاصل أو في عمود الأذن في المصابين بالنقرس . ودرجت على ترجمة اللفظة بالجَنَد (ج . أجناد) (٢) .

٦٤٤٨ نِقْرِسي (جراحة) 6448 Gouttière (chir.)

والصحيح نِقْرِسي ترجمة لِ (goutteux, euse) اللفظة التي سقطت من النص الفرنسي وهو غلط مطبعي لم يصوَّب . ولفظة (gouttière) ترجمتها ميزاب أو ميزابة .

٦٤٤٩ ميزاب سني (مُضْغَة) 6449 Gouttière dentaire (em.br.)

وأقر مجمع اللغة الحَزّ (٣) السني ترجمة لِ (Dental groove) في الانكليزية.

٦٤٥٣ قَسِمة (مجرى الدَّمع في الفك العلوي) 6453 Gouttière lacrymale (du maxillaire supérieur

---

(١) في اللسان : النَّحْطة داء يصيب الخيل والإبل في صدورها لا تكاد تسلم منه .

(٢) في اللسان : الجَنَد الأرض الغليظة وقيل هي حجارة تشبه الطين .

(٣) في اللسان : الحزّ الفرض في الشيء الواحدة حزّة وقد حَزَزْت العودَ أحزّه حزّاً والحزّ فرض في العود والمِسْواك والعظم غير طائل .

٦٤٥٤ قَسِيمة العظم الظُّفْري — 6454 Gouttière lacrimale de l'unguis

تدل لفظة قَسيمة (١) على مجرى الدمع أي القناة التي يجري فيها الدمع ، بينما المقصود من اللفظتين المذكورتين هو الميزاب أو الأصح الأخدود الذي يحوي مجرى الدمع . لذا فقد أقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بأخدود مقابل لفظة (sulcus) الانكليزية وتصبح ترجمة اللفظة الأولى الأخدود الدمعي (للفك العلوي) والأخدود الدمعي للعظم الظُّفْري أو العظم الدمعي كما أقره مجمع اللغة ترجمة للفظة الانكليزية (Ossis lacrimalis) .

٦٤٥٥ ميزابة شمية ، حُفَيْرة شمية (مُضْغة) — 6455 Gouttière olfactive, fossette olfactive (embr.)

وأرجح ميزاب شمي وحفرة شمية (أجنة) بعد أن خصصت لفظة ميزابة ترجمة لِـ (Gouttière) المستعملة في تعبير العظام (اللفظة ٦٤٤٨) .

٦٤٥٦ ميزابة ابتدائية (مُضْغة) — 6456 Gouttière primitive (embr.)

وأقر مجمع اللغة الأخدود البدائي ترجمة للفظة الانكليزية (Primitive groove) .

٦٤٥٧ ميزابة تنفسية ، تخطيط الشجرة التنفسية (مضغة) — 6457 Gouttière respiratoire ébauche de l'arbre respiratoire (embr.)

وأقر مجمع اللغة البُرْعمة التنفسية ولا شك أنها أفضل لأنها تدل على أن شجرة التنفس ستنشأ منها .

---

(١) في اللسان : القَسِمات مجاري الدمع والوجوه واحدتها قَسِمة وجاء أيضاً وقيل القَسِيمة ما بين العينين روي ذلك عن ابن الأعرابي وقال أيضاً القَسِيمة والقَسَمة ما فوق الحاجب ، وفتح السين لغة في ذلك كله .

٦٤٥٨ ميزابة فقرية — 6458 Gouttière vertébrale

وأقر مجمع اللغة الأخدود الفقاري ترجمة لِ (Vertebral groove) .

٦٤٥٩ ميزابة (الفمين العلوي والسفلي) الدهليزية — 6459 Gouttière vestibulaire (de la bouche, supérieure et inferieure)

الحزّ السِّنخي الشفوي (العلوي والسفلي) كما جاء في الترجمة الانكليزية(١) وهو الأصح كما ان الأصل الفرنسي لم تَرِد فيه لفظة الفم بصيغة المثنى أو الجمع بل المفرد مع فاصلة بعدها .

٦٤٦٤ حبَّة صفراء ، حثْرة الفُطر الشعاعي — 6464 Grain jaune, granu-lation actinomycotique

وأرجح حبَّة صفراء تحبب(٢) الفطر الشعاعي . فمن الشائع ترجمة (granulation) بالتحبب وقد أقر مجمع اللغة هذه الترجمة في جملة مواضع كلفظة محبَّب لِ (granulated) وحبيبة (granule) مما يغني عن استعمال الحثرة (٣) .

٦٤٧١ دَسَم — 6471 Graisse

وأقر مجمع اللغة الدهن (٤) وهي الأفضل .

---

(١) (Alveolabial groove superior and inferior)

(٢) الصفحة ٤٧٥ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) في اللسان : حَثِر العَسَلُ حَثَراً تحبب وهو عَسَل حاثر وحَثِير ، وحَثِر الدِّبس حثراً تخثَّر وتحبب .

(٤) وردت ترجمة اللفظة بشَحم في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي وجاء في التعليق عليها : وربما سموه دُهناً في أيامنا هذه على حين ان الدهن في اللغة عصير النباتات الدهنية . أما الزَّيت فعصير الزيتون وحده المقابل (Huile) والشحم هذا مادة صلبة تذوب بسهولة تكون في جسم الإنسان والحيوان وما نسميه شحماً في الشام أي (suif) هو شحم الأمعاء .

6478 Graisseux, euse ٦٤٧٨ دَسِم

دهني كما أقرها مجمع اللغة .

6479 Gram - négatif, ve ٦٤٧٩ غرام ، سَلبي

وأقر مجمع اللغة سلبي لجرام (لا يصطبغ بباقع جرام) .

6480 Gram - positif, ve ٦٤٨٠ غرام — ايجابي

وأقر مجمع اللغة إيجابي لجرام (لا يصطبغ بباقع غرام) .

6483 Grande veine lymphatique ٦٤٨٣ الوَريد اللنفاوي الكبير

وأقر مجمع اللغة المَسْلَك اللَّمْفي الأيمن ترجمة للفظة الانكليزية (Lymphatic duct right) وأراها أفضل لأنه ليس وريداً بالمعنى الصحيح .

6488 Granulations du trachome ٦٤٨٨ حُبيبات الحُثار

وأقر مجمع اللغة حبيبات الحَثَر ولعلّ التعريب بالتراخوما أفضل .

6490 Granule ٦٤٩٠ حَثَر حُبَيبة

وأقر مجمع اللغة حُبَيبة فقط .

6492 Granulé, ée ٦٤٩٢ مُحَثَّر مُحبَّب

مُحبَّب كما أقرها مجمع اللغة .

= في اللسان : الدَّسَم الوَدَك وفي التهذيب كل شيء له وَدَك من اللحم والشحم وشيء دَسِم وقد دَسِمَ بالكسر يَدْسَم فهو دَسِم وتَدَسَّم . والدَّسَم الوَضَر والدنس .
في اللسان : الشَّحم جوهر السِّمَن والجمع شحوم والقطعة منه شحمة .
في المعجم الوسيط عما أقره مجمع اللغة : الدُّهن مادة في الحيوان والنبات دَسِمة جامدة في درجة الحرارة العادية فاذا سالت كانت زيتاً .
الزَّيت في المعجم الوسيط عما أقره مجمع اللغة أيضاً : دُهْن الزَّيتون ويُطلق على دُهن غيره مقيداً بالإضافة وغيرها فيقال زيت الخِروع والزيت الحار . والزَّيت المعدني : زيت يستخرج من باطن الأرض والزيت العطري زيت طيار له رائحة يوجد في أوراق النبات وزهره ج زيوت .

6493 Granulée (saccharure) مُحَثّرات (سُكَّرية) ٦٤٩٣
مُحَبَّبات سُكَّرية

وأرجح محبَّبات (مسكَّرات).

6497 Granulome ulcéreux ورم النواحي التناسلية ٦٤٩٧
des parties génitales, الحبيبي القَرْحي
granulome inguinal vénerien

والجزء الثاني من اللفظة الفرنسية أهملته اللجنة ولم يأت ذكره في الأصل الفرنسي. وترجمته الورم الحبيبي المِغبني الزهري.

6498 Granulopénie, قِلّة الكُرَيضات ذات الحبيبات، ٦٤٩٨
granulocytopénie قِلّة الكريضات المُحَبَّبة

وأقر مجمع اللغة قِلّة الخلايا المُحَبَّبة. وجاء في تعريف هذه الخلايا: كريات الدم البيض التي توجد فيها حُبَيبات يتباين تقبلها للأصباغ في الخلايا المختلفة.

6499 Graphique, courbe, مُخَطَّط، مُنحَنٍ، رسم خطي ٦٤٩٩
tracé linéaire, représentation عرض مُصَوَّر
graphique

وأرجح ترجمة هذه الألفاظ بما يلي: خط بياني أو بياني فقط، منحني، مُخَطَّط، وإراءة بيانية.

6501 Grassette, pinguécula وَدَقة، حَثَر دُهْني مأقي ٦٥٠١
pinguicula (شحاذ)

وما يعنى باللفظة الافرنجية نقلاً عن معجم (M. Garnier & V. J. Delamare):
ناتئ صغير بلون إلى الصفرة لا يتعدى حجمُه حجم العدسة يستقر في الملتحمة وحشي حافة القرنية ولا يتألف من الدُّهن بل من كتلة من الخلايا الظهارية

أو من النسيج الضام ، وعليه فليس للفظة ودقة (١) ولا الحثر الدهني المأقي (٢) أن تدل الدلالة ذاتها ، كما أن لفظة الشحاذ العامية تدل على ما يعرف بالجُدْجُد أو الظبظاب (٣) أو الشعيرة (orgelet) . لذا أرجح ترجمة اللفظة بمدلولها الظاهري بشُحيمة أو دُهينة لأن كلاً من لفظتي (grassette) و (pinguécula) تعني تصغير الشحمة أو الدُّهن .

٦٥٠٨ حالة الحَمْل — 6503 Gravidisme

وأرجح الحَمْلية قياساً على ترجمة الألفاظ المماثلة كالبركنسونيـــة (parkinsonisme) ونحوها .

٦٥٢٠ طعَّم ، أبَّر — 6520 Greffer

وأقرَّ مجمع اللغة رقَّع .

٦٥٢١ طُعْم ، لَقَح — 6521 Greffon

وأرجح طُعْم وغَرْز كما جاء في معجم الألفاظ الزراعية لتخصيص اللقَح واللقاح ترجمة للفظة (Vaccin) .

٦٥٢٦ مِخْلب زَنْدي ، يَدٌ مِخْلَبِيَّة — 6526 Griffe cubitale, main en griffe

وأقر مجمع اللغة قَفْع اليد . وجاء في الشرح : تشوه في اليد ينتج عن ضمور في عضلاتهـا .

---

(١) في اللسان : الوَدْقة والوَدَقة نقطة في العين من دم تبقى فيها شَرِقة وقيل هي لحمة تنتأ فيها وقيل هو مرض ليس بالرَّمد تَرِم منه الأذن وتشتد منه حمرة العين والجمع وَدَق . وَدِقَت عينه فهي وَدِقة يقال في عينه وَدَقة خفيفة إذا كانت فيها بَثْرة أو نقطة شرقة بالدم .

(٢) وليس موضع الشحَيمة في المأق بل في الجانب المقابل منه والمأق كما جاء في اللسان : المؤق والمأق حرف العين الذي يلي الأنف وان الذي يلي الصدغ يقال له اللحاظ .

(٣) في المخصص الجُدْجُد والظَّبْظاب البثرة تخرج في الجفن . اقول ان ما تدعوه العامة بالجُنجُل محرف من الجُدْجُد .

٦٥٢٧ مِخْلب أصابع القدم — 6527 Griffe des orteils

قفاء القدم .

٦٥٣٧ كَبِد ضخمة كستناوية — 6537 Gros foie marroné
(سرطان الكبد الندي) — (Carcinome du foie)

كبد ضخمة قسطلية (١) كرسينومة الكبد كما أقرها مجمع اللغة .

٦٥٤٣ حَبَل مُجْلي — 6543 Grossesse ampullaire

وأقر مجمع اللغة تعريب لفظة (Ampule) بأمبولة فتصبح الترجمة الحَبَل الأمبولي أو البوقي .

٦٥٤٦ حَبَل خارج الرحم ، حبل مهاجر — 6546 Grossesse ectopique, extra - utérine

وأقر مجمع اللغة الحَمْل المنتبذ . جاء في الشرح ما يلي :

الحمل خارج الرحم : هو الذي يحدث في البوق أو المبيض أو في التجويف البريتوني .

والحمل المنتبذ : هو الذي يحدث في أحد المواقع السابقة مضافاً اليه الحمل في جدار الرحم أو في قرن ناتئ من الرحم .

٦٥٤٨ حَبَل مُتئم — 6548 Grossesse gémellaire

٦٥٥٠ حَبَل عديد — 6550 Grossesse multiple

وأقر مجمع اللغة الإتآم وجاء في الشرح : الحمل بأكثر من حميل واحد .

٦٥٥٣ جسُم ، عظُم ، كبُر — 6553 Grossir

وسمِن أيضاً .

---

(١) في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي : قسطلة (Marron) وجاء في الشرح : (كستنة الكلمة الفرنسية تطلق على ثمرة أصناف زراعية بجودة من القسطل والقسطل هو الكستنا في الشام وأبو فروة في مصر .

٦٥٥٨ مجموعة غوليد Groupement aldéhyde .6558

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة بألدهيد وهو أفضل .

٦٥٦٩ مجموعة فُصْفوريل Groupement phosphoril 6569

مجموعة فسفوريل كما أقرها مجمع اللغة

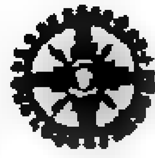
٦٥٧٢ صَنَّف بحَسَب الأنواع Grouper par type 6572

وأرجح صَنَّفَ بحَسَب النماذج تاركاً لفظة نوع ترجمة لِـ (Espèce) كما فعلته اللجنة (اللفظة ٥٢٢١) .

٦٥٨٥ شِفاء عَفْوي Guérison spontanée 6585

شِفاء تِلقائي كما أقره مجمع اللغـــة .

(للبحث صلة) الدكتور حسني سبح



الغزالي في دمشق والقدس

(١)

لا تزال إقامة الغزالي في دمشق والقدس مفتقرة إلى تحقيق ، رغماً عن كثرة ما كتب عن حياته وعن مؤلفاته في اللغة العربية وفي اللغات الأوربية . ولا يزال بعض الكتاب في الشرق والغرب يكرر ما جاء عن هذه الإقامة في كتاب « المنقذ من الضلال » ، على اختصاره وغموضه . دون تحقيق أو تفصيل . ولم نقف على بحث خاص بإقامة الغزالي في ديار الشام ونتائجها ، حتى في الكتاب الذي ضمّ مجموعة الخطب والمقالات التي ألقت بمناسبة الذكرى المئوية التاسعة لميلاده . ومقالتنا هذه هي محاولة في هذا السبيل .

كان الغزالي في الثامنة والثلاثين من عمره عندما ترك التدريس في المدرسة النظامية في بغداد ، وأعلن عزمه الخروج إلى الحج . قال في المنقذ : « فلم أزل أتردد بين تجاوب شهوات الدنيا ودواعي الآخرة قريباً من ستة أشهر أولها رجب سنة ثمان وثمانين وأربعمئة . . . وأظهرت عزم الخروج إلى مكة ، وأنا أدبر في نفسي سفر الشام . . . ففارقت بغداد . . . ثم دخلت الشام ، وأقمت به قريباً من سنتين ، لا شغل لي إلا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة ... وكنت اعتكف مدة في مسجد دمشق ، أصعد منارة المسجد طول النهار ، وأغلق بابها على نفسي . ثم رحلت منها إلى بيت المقدس ، [فكنت] أدخل كل يوم [مسجد قبة] الصخرة ، وأغلق بابها على نفسي . ثم تحركت في

داعية فريضة الحج ، والاستمداد من بركات مكة والمدينة ، وزيارة رسول الله تعالى عليه السلام ، بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله عليه . فسرت إلى الحجاز . ثم جذبتني الهمم ودعوات الأطفال إلى الوطن فعاودته ... »[١]

لم يكن الغزالي مؤرخاً ، ولم يلتزم في الكتابة عن إقامته في ديار الشام وسفره إلى الحجاز التسلسل التاريخي . فقوله « أقمت به قريباً من سنتين » قد يكون إشارة إلى كل مدة إقامته في الشام قبل الحج وبعده ، وقد لا يكون كذلك . وزاد الأمر لبساً قوله ، بعد ذكر العودة إلى الوطن وإيثار العزلة : « فدمت على ذلك مقدار عشر سنين » . فهل هذا يشير إلى مدة العزلة بعد العودة فقط ، أو إلى مدتها كلها من ترك التدريس في نظامية بغداد إلى العودة إليه في نظامية نيسابور ؟ ولكن الذي يعنينا في هذا البحث هو تاريخ العودة إلى بغداد ، فهذا التاريخ مهم لإثبات مدة الإقامة في ديار الشام .

والروايات في ذلك متضاربة . يقول السبكي[٢] نقلاً عن خطيب نيسار عبد الغفار[٣] الفارسي الذي عرف الغزالي ، إن هذا أقام في الشام « قريباً من عشر سنين » . وجاء مثل ذلك في رواية نقلها السبكي عن الذهبي عن ابن عساكر[٤] . ويمكن الاعتراض على كل من الروايتين : فالأولى عن معاصر ، ولكنها وردت في كتاب عاش مؤلفه بعد الغزالي بنحو قرنين ، ولا ذكر لراو بين المعاصر الراوي والمؤلف الناقل . أما الرواية الثانية

---

(١) المنقذ من الضلال (مطبعة عطايا بالقاهرة ـ تعليق وتصحيح محمد محمد جابر ، من علماء الأزهر) ، ص ٤٧ ـ ٤٩ .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى (مطبوعة القادري الحسني . القاهرة ، ١٣٢٤) ، ج ٤ ، ص ١٠٧ .

(٣) خطيب نيسابور عبد الغافر (المجلة)

(٤) تاريخ دمشق (مخطوط القاهرة رقم ٤٩٢) ، ورقة ٣٤٣ ، كما نقل في كتاب « مؤلفات الغزالي » لعبد الرحمن بدوي (القاهرة ، ١٩٦١) ، ص ٥٠٠ .

فهي عمّن كان أقرب إلى عهد الغزالي من السبكي ، ولكنها مجروحة ، لأنها تناقض رواية معاصر ثقة وهو أبو بكر بن العربي (١) الذي يقول إنه سمع من الغزالي في بغداد في جمادى الثانية سنة ٤٩٠ . وهذه الرواية الثانية تناقض أيضاً ما ذكره ابن الأثير (٢) تحت حوادث سنة ٤٨٨ هـ ، قال : « وفيها توجه الإمام أبو حامد الغزالي إلى الشام ... وفي هذه السفرة صنف إحياء علوم الدين ، وسمعه منه الخلق الكثير في دمشق ، وعاد إلى بغداد بعد ما حج في السنة التالية ، وسار إلى خراسان » .

فشهادة ابن العربي ، ورواية ابن الأثير ، تزيل كل منها الغموض من قول الغزالي « أقمت به قريباً من سنتين » وتثبت أنه عاد إلى بغداد في أوائل سنة ٤٩٠ هـ . ويؤكد ذلك ما جرى في بلاد الشام في السنتين التاليتين . ففي ٤٩١ هـ استولى الفاطميون على القدس ، وكانت حتى تلك السنة في يد السلاجقة . وكان الفاطميون يطمعون في بسط سلطانهم على الشام ، بل على العراق أيضاً ، والقضاء على الخلافة العباسية التي كانت حينئذٍ تحت حماية سلاطين السلاجقة .

فاذا ذكرنا أن الغزالي كان سنياً شافعياً ، وانه كان من أشد أخصام الباطنية ، جاز لنا أن نشك في رغبته الإقامة في بلاد زال عن بعضها سلطان أوليائه السلاجقة ، وبعضها الآخر كانت تهدده جيوش الفاطميين . أضف إلى ذلك أن الصليبيين اجتاحوا معظم ديار الشام في سنة ٤٩٢ ، وان

(١) القواصم والعواصم (مخطوط القاهرة رقم ٢٢٠٣١) ، ورقة ٧ ب : كما نقل في كتاب بدوي المذكور ، ص ٤٦ . وقد طبع كتاب ابن العربي في الجزائر وفي القاهرة بعنوان « العواصم من القواصم » .

(٢) كتاب الكامل في التاريخ (طبعة ليدن ، ١٨٦٤) ، ج ١٠ ص ١٧٢ .

جيوشهم دخلت القدس في رجب من تلك السنة ، وارتكبت فيها من الفظائع ما قل أن سجل التاريخ نظيره . فهل يعقل أن يبقى الغزالي مختاراً تحت حكم غير المسلمين ؟ ومع هذا فلا أثر للحروب الصليبية فيما وصل إلينا من كتابات الغزالي ، فهل شهد سقوط القدس وبقي ساكتاً ؟ هذا أمر يصعب تفسيره ، حتى إذا سلمنا أن الغزالي كان حينئذٍ إما في العراق أو في خراسان ، وأن أخبار النكبة وصلته بعد أشهر من وقوعها . فان قيل إن الغزالي وأمثاله من المتصوفة قد اعتبروا ضياع القبلة الأولى عقاباً سماوياً للمسلمين الذين حادوا عن طاعة الله في دينهم ودنياهم ، قلنا لا نجد أثراً لهذا الرأي في كتابات المتصوفة ، أي انهم لم يعظوا الناس بضرب المثل على الأقل .

ومهما يكن سبب سكوت الغزالي فانه يمكننا بناء على ما تقدم أن نقبل شهادة ابن العربي ، وان نحسبها أكثر الروايات انطباقاً على الحوادث التاريخية ، وان نعتمد عليها أكثر من الاعتماد على غيرها ، لأنها جاءتنا من معاصر ثقة سجلها في كتاب له ، ولم تنقل إلينا رواية عن آخرين عاشوا بعد زمن الغزالي .

(٢)

أوّلَ الناس في عهد الغزالي تركه التدريس وسفره إلى الشام تأويلاً مختلفاً ، وقد رد هو عليهم بأن السبب الذي حمله على ذلك لم يكن إلا دينياً . وخاض بعض الكتاب في أيامنا يؤولون ذلك بما يتطلب الشك في صدق الغزالي ، وهو أمر لا مسوغ له في سيرته قبل ترك التدريس وبعده . فمثلاً زعم باحث غربي (١) أن الغزالي فقد ثقة ولاة الأمور ، وكان يجدر بصاحب هذا الرأي

(1) D. B. Macdonald, "The life of al-Gazzali with Special Reference to his Religious Experience and Opinions" in the Journal of the American Oriental Society, XX (1899), P. 98

أن يقبل تأكيد الغزالي أن سفره لم يكن « لاستشمار من جهة الولاة » . وزعم باحث شرقي (١) أن الغزالي هرب خوفاً على حياته من غلاة الباطنية ، وكان يجدر بصاحب هذا الرأي أن يعلم أن سفر الغزالي لم يكن فجأة بل بعد إعلان عام وانه لم يكن خلسة بل علناً ، وان الغزالي لم يتخذ رفيقاً للسفر سوى تلميذه أبي طاهر بن المطهر الشيباني (٢) . فهل كان الغزالي في مأمن من الباطنية في الشام أو في الطريق إليها ، إذا لم يكن في مأمن منهم في بغداد ؟

ولكن ما هو « السبب الديني » الذي جذب الغزالي إلى الشام ، بل ما سبب قوله « أظهرت عزم الخروج إلى مكة ، وأنا أدبر في نفسي سفر الشام » ؟ ثم ما الذي جعله يذكر بعض التفاصيل عن إقامته في دمشق وفي القدس ، ولا يقول شيئاً عن زيارة مكة والمدينة ؟ ليس في مؤلفات الغزالي التي بين أيدينا ما يساعدنا على تفصيل الجواب ، فمثلاً لا نجد في بحث أسرار الحج في كتاب « إحياء علوم الدين » شيئاً عن اختبارات مؤلفه الشخصية ، وكتابه المخصص للاختبارات الشخصية وهو « المنقذ من الضلال » لا يزيدنا علماً . وقد ألفه الغزالي بعد أن جاوز الخمسين ، أو بعد أكثر من عشر سنين من عودته من بلاد الشام ، وبعد أن ذاع صيته في العالم الإسلامي .

إن « السبب الديني » المباشر الذي جذب الغزالي إلى الشام هو نية الحج ، ولكنه قال إنه عزم « المقام بالشام » ، ولم يقل إنه عزم المقام بالحجاز .

(1) Farid Jabra, " la Biographie et l'Oeuvre de Ghazali reconsiderées à la lumière de Tabaqat de Sobki" in Mélanges de l'Institut Dominicain d'Etudes Orientales du Caire, I (1954), P. 91 — 94

(٢) اتحاف السادة المتقين (وهو شرح كتاب احياء علوم الدين) للسيد محمد المرتضى الزبيدي (القاهرة ، ١٣١١) ، ج ١ ، ص ٤٤ .

فما هو السبب الديني الحقيقي الذي جعله يفضل الشام على العراق بل على الحجاز ؟ كان العالم الإسلامي في عهده وحدة علمية دون أن يكون وحدة سياسية ، وكان طلبة العلم والعلماء يجوبون هذا العالم من خراسان إلى الأندلس وبالعكس ، طلباً للاستفادة والإفادة ، فكان كل أهل العلم عالماً متعلماً معلماً . وفي رأينا الذي سنثبته بالبرهان التاريخي فيما يلي أن الغزالي جاء الشام طلباً للاستفادة من شيخ ذاع صيته في الزهد والعلم في كل ديار الشام ، وانتشر منها إلى العراق . وكان هذا الشيخ حينئذٍ حوالى الثمانين والغزالي لم يبلغ الأربعين ؛ فلم يكن في سنه على الأقل ما يمنع أن يطلب العلم عند من كان في سن أبيه . أضف إلى ذلك أنه عندما ترك التدريس في بغداد ، عزم على الزهد في الدنيا والسير في طريق الآخرة ، ولعل صيت الزاهد الشامي قد بلغه فرغب في لقائه والاستفادة منه .

وهذا الشيخ الزاهد هو أبو الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي النابلسي ، شيخ علماء المذهب الشافعي في ديار الشام[1] . تلقى العلم في القدس وغزة وصور ودمشق وغيرها ، ثم علّم في القدس وصور ودمشق . قال أحد أهل العلم عنه : « صحبت إمام الحرمين أبا المعالي الجويني [وهو أستاذ الغزالي] بخراسان ، ثم قدمت العراق فصحبت أبا اسحق الشيرازي [سلف الغزالي في المدرسة النظامية] ، فكانت طريقته عندي أفضل من طريقة أبي المعالي ، ثم قدمت الشام فرأيت الفقيه أبا الفتح فكانت طريقته أحسن من طريقتيهما جميعاً . »[2]

(١) راجع الملحق في آخر هذه المقالة .
(٢) طبقات السبكي ، ج ٤ ، ص ٢٨ . وترد القصة عينها في معجم البلدان لياقوت (طبعة وستنفلد ، ١٨٦٦) ، ج ١ ، ص ٦٠١ .

يروى أن الغزالي جاء إلى مسجد دمشق في زي صوفي ، وجلس في الركن الذي اعتاد الشيخ نصر أن يجلس فيه للتدريس ، فلما التف حوله بعض الطلبة سألهم « ما فعل الشيخ نصر المقدسي ؟ » فقالوا إنه توفي في ذلك اليوم ، وإنه أوصى أن يخلفه أعجمي وصفه يطابق ما رأوا في الغزالي . ومع أن تفاصيل هذه القصة ليست كلها صحيحة إلا أنها ذات مغزى ، وهو أن الغزالي وجد في الشيخ نصر قدوة فيما كان ينشده من الزهد في الدنيا . (أمّا الذي خلف الشيخ نصر على التدريس فهو أحد تلامذته : إمّا نصر الله أبو الفتح المصيصي [١] أو جمال الإسلام أبو الحسن السلمي [٢]) .

هذا في القصص المتواترة . أما كتب التاريخ ففيها ما يؤكد أن الغزالي أخذ عن الشيخ نصر . قال السبكي : « كان الغزالي يكثر الجلوس في زاوية الشيخ نصر المقدسي بالجامع الأموي المعروفة اليوم بالغزالية نسبة إليه ... وصرّح شيخنا الذهبي بأن الغزالي جالس نصراً . » [٣] وأوضح من ذلك ما جاء في ابن شهبة [٤] وابن العماد الحنبلي [٥] ومجير الدين [٦] أنه « لما قدم الغزالي إلى دمشق اجتمع به واستفاد منه . » قد يكون هذا النص المختصر الوارد في ثلاثة كتب مختلفة من أصل واحد ، ولكن السيد مرتضى [٧]

---

(١) طبقات السبكي ، ج ٤ ، ص ١٠٤ .

(٢) اتحاف السيد مرتضى ، ج ١ ، ص ٤٥ .

(٣) السبكي ، ج ٤ ، ص ١٠٤ .

(٤) طبقات الشافعية (مختارات نشرها وستنفلد في غوتنغن سنة ١٨٣٧) ، ص ٥ من النص العربي و ص ٣٣ — ٣٤ من الترجمة الألمانية :
Die Academie der Araber und ihre pehrer

(٥) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (القاهرة ، ١٣٥٠) ، ج ٣ ، ص ٣٩٥ .

(٦) كتاب الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل (القاهرة ، ١٢٨٣) ، ج ١ ، ص ٢٦٤ .

(٧) الاتحاف ، ج ١ ، ص ١٩ .

يقبله دون تردد . فعند ذكره أساتذة الغزالي يذكر الشيخ نصر أستاذاً له في علم الحديث ، وهو أمر غير مستغرب لما عرف عن الغزالي من قلة التمكن في هذا العلم .

بناء على ما تقدم يصح القول ان الغزالي اعتبر الشيخ نصر قدوة له في حياة الزهد ، وانه اتخذه أستاذاً في علم الحديث على الأقل . ولكن اتصالهما كان قصير الأمد . فالغزالي كما ثبت لنا ترك بغداد في ذي القعدة من سنة ٤٨٨ ، وعاد إليها قبل جمادى الثانية من سنة ٤٩٠ هـ . فاتصاله بالشيخ نصر كان معظمه في سنة ٤٨٩ هـ ، وهي السنة التي حج فيها الغزالي ، وزار فيها القدس والخليل . فالثابت عند كل من أرخ حياته أن الشيخ نصر توفي في محرم سنة ٤٩٠ . وقد تكون وفاته من الأسباب التي حملت الغزالي عند عودته من الحج أن يقرر مغادرة ديار الشام عائداً إلى بغداد .

(٣)

ذكر ابن الأثير ، على ما نقلناه أعلاه أن الغزالي صنف كتاب « إحياء علوم الدين » في أثناء رحلته ، وأن الناس سمعوه منه في دمشق . ويشهد ابن العربي أنه سمع الغزالي في بغداد يقرأ للناس من كتاب سماه « إحياء علوم الدين » . فيفهم من كلام ابن الأثير أن الكتاب كله كان مكتوباً ، ولكن لا يفهم ذلك قطعاً من كلام ابن العربي . هذا مع أنه لا يستبعد أن الغزالي استمد البركة والإلهام فكتب بعض كتابه في القدس وبعضه في دمشق وبعضه في الحجاز . ولكن لا برهان على أن الكتاب كما نعرفه الآن كان تاماً عند عودة الغزالي إلى بغداد . والشك في ذلك ظاهر من احتياط مجير الدين الذي عاش بعد الغزالي بأربعة قرون : « ويقال انه صنف في القدس إحياء علوم الدين . »

أقام الغزالي في القدس في الزاوية أو المدرسة الناصرية بباب الرحمة من أبواب الحرم الشريف ، وقد سميت بهذا الاسم نسبةً إلى الشيخ نصر الذي علم فيها قبل هجرته إلى دمشق ، وقد عرفت فيما بعد بالغزالية (١) . ولعل الغزالي اختارها من زوايا القدس ومدارسها بناء على توجيه الشيخ نصر ، أو رغبةً من التلميذ في تتبع آثار أستاذه . والذي يؤخذ من نص صريح أن الغزالي كتب وهو في القدس « الرسالة القدسية في قواعد العقائد » ، وأنه بعد ذلك أدمجها في الجزء الأول من الإحياء أي في الفصل الثالث من كتاب قواعد العقائد (٢) : « وإذ رأينا أن نقتصر بكافة العوام على ترجمة العقيدة التي حررناها ، وانهم لا يكلفون غير ذلك في الدرجة الأولى ، إلا إذا كان خوف تشويش لشيوع البدعة ، فيرقى في الدرجة الثانية إلى عقيدة فيها من لوامع الأدلة مختصرة من غير تعمق . فلنورد في هذا الكتاب تلك اللوامع ولنقتصر على ما حررناه لأهل القدس وسميناه الرسالة القدسية في قواعد العقائد ... »

وهذه الرسالة كاملة في ذاتها (٣) ، ويشير إليها كاتبها في غير موضعها من الإحياء بقوله : « كتاب الرسالة القدسية » (٤) . وقد راجعنا ثلاث نسخ

(١) الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي (مطبوعة جعفر الحسني . دمشق ، ١٣٦٧) ، ج ١ ، ص ٤١٣ — ٤١٥ ، وطبقات السبكي ، ج ٤ ، ص ١٠٤ .
(٢) إحياء علوم الدين (القاهرة ، ١٣٣٤) ، ج ١ ص ٩٣ .
(٣) توجد نسخ مخطوطة مختلفة من الرسالة القدسية في المكاتب في الشرق والغرب . راجع كتاب بدوي المذكور ، ص ٢٦ — ٢٧ وراجع أيضاً :
Maurice Bouyges, Essai de chronolegie des OEuvres de al-Ghazali (Beirut, 1959), P. 108 .
(٤) زعم القس غاردنر في كتيب عن الغزالي نشره في مدراس سنة ١٩١٩ ان الرسالة لم تكتب لأهل القدس ، وانها كتبت في السنة الأولى من اقامة الغزالي في بغداد (ص ٣٨ ، ١١١) وهذا الزعم بشقيه باطل بناء على الحقائق التي مر ذكرها .

مخطوطة . أما الأولى فهي من كتاب الإحياء وفيه الرسالة ، وهي مؤرخة سنة ٦١٠ هجرية ، وموجودة في مكتبة مدرسة الدراسات الشرقية بجامعة لندن تحت رقم ٢٦٥٧٤ ، وأما الثانية فهي من الرسالة على حدة ، وهي مؤرخة سنة ٧٧٩ هجرية وموجودة في دار الكتب في القاهرة تحت رقم « مجاميع ٦٦ » ، وأما الثالثة فهي من كتاب الإحياء وفيه الرسالة ، وهي مؤرخة سنة ١١٦٠ للهجرة ، وموجودة في مكتبة جامعة لندن المذكورة تحت رقم ٤٥٨١٨ .

ونجد على صفحة العنوان في مخطوطة القاهرة كلمة بخط الناسخ هذا نصها : « وهي الرسالة التي كتبها لأهل القدس ، ثم أودعها كتاب قواعد العقائد ، وهو الثاني من كتب الإحياء ... » . وفي آخر هذه المخطوطة ، وبخط غير خط الناسخ ، توجد هذه الكلمة : « وفرغ من تصنيفه في المسجد الأقصى ، مجيباً لالتماس أهله ، وراجياً أن يناله بركة دعاء سكانه ... »

وتنتهي الرسالة في مخطوطة جامعة لندن المؤرخة سنة ١١٦٠ للهجرة بكلمة كأنها من الغزالي نفسه ، وهذا نصها : « وقد فرغت من تصنيفه في المسجد الأقصى ، مجيباً لالتماس أهله ، وراجياً لأن تنال بركته وبركة دعاء سكانه ... » . وفي الهامش ، وبخط الناسخ نفسه ، هذه الكلمة : « وقد فرغت من الرسالة القدسية التي أودعتها في هذا الفصل في المسجد الأقصى ، مجيباً لالتماس أهله ، وراجياً لأن تنال بركته وبركة دعاء سكانه ... »

إن الضمير في « تصنيفه » قد يعود تقديراً إلى « كتاب الرسالة القدسية » ، وقد يعود إلى كتاب الإحياء كله . ولعل القصد من قوله في الهامش « فرغت من الرسالة القدسية » هو إزالة هذا الالتباس . ولكنه لا يمكننا أن نتحقق هل ما في الهامش هو حذلقة من الناسخ أو نقل عن نص ورد في نسخة أخرى ، ويعود نهائياً إلى الغزالي .

والرسالة القدسية فريدة في موضوعها بين مؤلفات الغزالي. قال السبكي: «لم أر مصنفاً في أصول الدين إلا أن يكون قواعد العقائد». فالرسالة القدسية هي جزء مهم من قواعد العقائد، كتبها مؤلفها على طريقة المتكلمين أصحاب الأشعري. وهي خاصة بالمبتدئين لا بالعلماء المتمكنين، وغرضها توضيح العقيدة، وإثبات السنة، وإبطال البدعة، ففيها ردود كثيرة على المعتزلة، ولكنها قلما تتعرض للفلاسفة. وتتبع في إقامة البرهان القرآن والقياس المنطقي، ولكنها تغلّب الأول على الثاني. فالعقل نصير النقل، وهذا عند الشك مقدم على ذاك. ويتضح هذا التقديم في أقسام الرسالة الأخيرة، فمعظمها قائم على أساس النقل وحده، والمؤمن مكلف بقبوله.

وقد أعددنا نصاً محققاً للرسالة القدسية، وترجمناه إلى الإنكليزية، ووضعنا له الحواشي والشروح، وكتبنا له مقدمة تاريخية مفصلة. وهذا كله الآن تحت الطبع في عدد مزدوج خاص من مجلة المركز الإسلامي الثقافي في لندن (١).

★ ★ ★

ملحق

أبو الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي النابلسي

توفي في دمشق في التاسع من محرم سنة تسعين وأربعمئة، وكان عمره حينئذ فوق الثمانين، صرف السنوات العشر الأخيرة منها في دمشق «يحدث ويفتي ويدرس».

---

(١) The Islamic Quarterly IX 3 - 4 (1385 / 1965).

سلك منهاج الزهد والتقشف ، والورع والتبتل ، وتجنب ولاة الأمور . « وكان يقتات من غلة تحمل إليه من أرض له بنابلس (٢) » . ولا شك أن المقصود هو منطقة نابلس لا المدينة نفسها ، فاذا كان الأمر كذلك ، فقول ياقوت (٣) إن أصل الشيخ من « طرابلس » لا يثبت ، لأننا لا نعلم مصدراً آخر غير ياقوت يذكره ، ولأنه يستبعد أن يملك من كان أصله من طرابلس أرضاً في ضواحي نابلس ، ولأن باقي من أرخ حياة الشيخ نصر يذكر أن أصله من نابلس . وغالب الظن أن « طرابلس » عند ياقوت محرفـــة عن « طوباس » ، وهي قرية من أعمال نابلس ، أو انها محرفة عن نابلس .

ومن شيوخ الشيخ نصر ، عبد الرحمن بن الطير (أو الطيز) في دمشق ، ومحمد بن جعفر المياسي (أو المياشي) في غزة ، وسليم بن أيوب الرازي في صور . ومن تلامذته جمال الإسلام أبو الحسن السلمي ، ونصر الله أبو الفتح المصيعي ، وكانا من أخصهم به ، ومنهم (القاضي) أبو بكر بن العربي الذي سمع من الشيخ نصر كما سمع من الغزالي قبل رجوعه الى الأندلس .

وله مؤلفات لا يعرف منها سوى الأسماء . فمنها التهذيب ، والتقريب ، والمقصود ، والكافي ، والإشارة ، والحجة على تارك المحجة (١) . وجاء في وصف كتاب المقصود أنه أحكام مجردة ، وفي وصف كتاب الإشارة أنه شرح لمختصر شيخه سليم الرازي . ويذكر السبكي كتاباً آخر عنوانه الانتخاب ، « وهو فيما بلغني كبير في بضعة عشر مجلداً . »

---

(١) طبقات السبكي ، ج ٤ ، ص ٢٨ وشذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٣٩٥ .

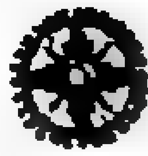
(٢) معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٦٠٠ .

(٣) طبقات السبكي ، ج ٤ ، ص ٢٨ ، وشذرات الذهب ج ٣ ، ص ٣٩٥ ، والأنس الجليل ، ج ١ ، ص ٢٦٤ .

وتروى عنه قصة توضح مكانة العالم عند نفسه وعند ولاة الأمور ، وتبين أن زهد الشيخ نصر كان حقيقياً لا شك فيه . ذكروا أن تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان زار الشيخ يوماً ، فلم يقم هذا له ، فسأله عن أحلّ الأموال التي يتصرف فيها السلطان ، فقال الشيخ أحلها أموال الجزية ، فخرج تاج الدولة وأرسل للشيخ بمبلغ من المال ، وقال هذا من مال الجزية تفرقه بين أصحابك . فرد الشيخ المال قائلاً « لا حاجة لنا به . » (١)

ودفن الشيخ نصر بالباب الصغير في دمشق قريباً من قبر معاوية : ونقل السبكي أن النووي قال : « سمعنا الشيوخ يقولون الدعاء عند قبره يوم السبت مستجاب . »

عبد اللطيف الطيباوي



(١) معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٦٠١ وطبقات السبكي ، ج ٤ ، ص ٢٨ .

الاصطلاحات الفلسفية

— ٢٤ —

الذات

في الفرنسية Essence

في الانكليزية Essence

في اللاتينية Essentia

الذات النفس والشخص ، يقال ذات الشيء نفسه وعينه والنسبة إليه ذاتي (راجع هذا اللفظ) . والذات أعم من الشخص لأن الذات يطلق على الجسم وغيره ، والشخص لا يطلق إلا على الجسم (الجرجاني) .

وللذات عدة معان :

١ — الذات ما يقوم بنفسه . ويقابله العرض (Accident) بمعنى ما لا يقوم بنفسه . والذات يطلق على باطن الشيء وحقيقته ، والعرض لا يطلق إلا على التبدلات الظاهرة على سطح الشيء . والذات ثابتة ، والأعراض متبدلة لا تبقى زمانين .

ويرى بعض الفلاسفة أن الذات هو ما يقوم به غيره سواء كان قائماً بنفسه كزيد في قولنا : زيد العالم ، أو كان غير قائم بنفسه كالسواد في قولنا : رأيت السواد الشديد . وقد يطلقه بعضهم على ما يكون عاماً ، أو على ما تصدق عليه الماهية من الأفراد ، كقول المنطقيين ذات الموضوع بمعنى ما يصدق عليه ذلك الموضوع من الأفراد .

والذات أيضاً هو الموضوع ويقابله المحمول .

٢ — ويطلق الذات على الماهية (Quiddité) بمعنى ما به الشيء هو هو ويراد به حقيقه الشيء ويقابله الوجود . وقد يطلق على الماهية أيضاً باعتبار الوجود .

والذوات عند الفلاسفة الاسكوتلانديين قسمان : الذوات الأولى أو الفردية (Essences premières ou individuelles) مثل زيد وعمرو وبكر .. الخ . والذوات الثانية أو النوعية (Essences secondes ou spécifiques) مثل الإنسان . فالذوات الأولى مدركة بالحدس الحسي على حين أن الثانية مدركة بالعقل . واختلفوا في وجود الذوات الثانية فقال بعضهم انها موجودة في العقل ، وهم المفهوميون (Conceptualistes) ، وقال بعضهم إن لها وجوداً حقيقياً خارج العقل وهم الوجوديون (Réalistes) وذهب آخرون إلى أنها لا توجد في العقل ولا خارج العقل وهم الاسميون (Nominalistes) الذين ينكرون المعاني الكلية ويزعمون أنها اسماء تحفُّها صور مختلفة مستمدة من التجربة والحس .

ومن جعل معنى الذات مقابلاً لمعنى الوجود زعم أن تصور الشيء لا يستلزم وجوده وان الوجود ليس من مقومات الماهية كالمثلث المتساوي الأضلاع فانه لا يلزم عن إدراك ماهيته بالعقل أن تكون هذه الماهية موجودة في العالم الخارجي وكالإنسان فهو معنى مجرد ليس له من حيث هو كلي وجود في الأعيان ، بل له وجود في العقل ، والموجود في الأعيان إنما هو الأشخاص والأفراد لا غير .

٣ — ويطلق الذات في المنطق على مجموع المقومات التي تحدد مفهوم الشيء ومنه الذاتي ، وهو ما يخصّ الشيء ويميزه . وبين الذاتي والعرضي بهذا المعنى تضاد كالتضاد بين المحسوس والمعقول وبين الممكن والواقع . (راجع : الماهية ، والوجود ، والوجودية) .

الذاتي

في الفرنسية Subjectif. Essentiele

في الانكليزية Subjective Essential

١ — الذاتي (Essentiel) هو المنسوب إلى الذات. ويطلق على ما يقوّم الذات ويلزمه اضطراراً. وهو جزء من الماهية منحصر في الجنس والفصل. وكل خارج عن الماهية فهو عرضي. مثال ذلك النطق في الإنسان فهو ذاتي له أي يخصه ويميزه.

وللذاتي ثلاث خصائص:

الأولى أن يمتنع رفعه عن الماهية بمعنى أنه إذا تصور الذاتي وتصورت معه الماهية امتنع الحكم بسلبه عنها.

والثانية أن يجب إثباته للماهية بمعنى أنه لا يمكن تصور الماهية إلا مع تصورها موصوفة به.

والثالثة أن يتقدم على الماهية في الوجودين الخارجي والداخلي.

قال (فنلون): «ما كان ذاتياً للشيء كان متحداً به دائماً. فاذا كانت الحركة تتغير بتغير الأجسام فتسرع وتبطئ حتى تتلاشى تماماً فمعنى ذلك أنها لا يمكن أن تكون ذاتية لها» (Fénelon, De l'existence de Dieu I, III — 2)

والذاتي ضد العرضي، ومرادف للضروري، وقد أطلق (بلولر — Bleuler) لفظ الذاتي (Autistique) على الاستعداد المرضي الذي يجعل الشخص منطوياً على نفسه منعزلاً عن العالم الخارجي، ونقلت هذه الصفة إلى الاسمية فقيل (Autisme) الذاتيــة.

٢ — والذاتي أيضاً هو ما يخصّ الشخص دون غيره (Subjectif) ويطلق على معانٍ :

— (منها) الفردي وهو ما يخصّ شخصاً واحداً تقول في وصف أحد الرجال أن تفكيره ذاتي أو شخصي بمعنى أنه اعتاد أن يجعل أحكامه مبنية على شعوره وذوقه ، وتقول في وصف الآخر أن تفكيره موضوعي أي مستقل عن عواطفه وأهوائه (راجع الموضوعي — Objectif) .

— (ومنها) الداخلي وهو ما يخصّ الذهن ويقابله الخارجي والتجريبي . تقول بهذا المعنى إن الصفات الثانية (Qualités secondes) كالحرارة واللون ذاتية لا من جهة ما هي متغيرة بتغير الأفراد المدركين لها فحسب ، بل من جهة تعذر إدخالها في نظام من التصورات المنطقية الصالحة لتفسير الأشياء ، وعلى ذلك فان العالم الذي يريد تفسير هذه الصفات يقلبها إلى حركات واهتزازات .

— (ومنها) الظاهر والوهمي كالاحساسات الذاتية التي يتوهمها الشخص من غير أن يكون لها في العالم الخارجي سببٌ يحدثها .

— (ومنها) ما يخص العقل البشري ويقابله في فلسفة (كانت) الشيء بذاته (Chose en soi) .

(ومنها) ما يخص المدرك دون سواه كالأمور النفسية والمعنوية فهي عند بعضهم قسم من الفلسفة الذاتية على خلاف الفلسفة الموضوعية التي تبني نظرياتها على حقائق العلم .

والتركيب الذاتي (Synthèse subjective) عند (أوغوست كومت) مضاد للمعارف الوضعية (Connaissances positives) من جهة وللمذاهب الفلسفية (Systèmes philosophiques) من جهة ثانية . ويطلق الوجود الذاتي (Existence subjective) عنده على بقاء ذكر الأموات في أذهان الأحياء .

٣ — والطريقة الذاتية (Mathode subjective) تطلق على معان :

(منها) طريقة التأمل الباطني أو طريقة الملاحظة الداخلية المتبعة في علم النفس :

(ومنها) طريقة علماء النفس الحيوانية الذين يتصورون أن للحيوان أحوالاً نفسية مماثلة لأحوال الإنسان فيتكلمون على إدراكه وتذكره وتصوره وحكمه ولذته وألمه وخوفه ورغبته كما لو كانت هذه الأحوال حاصلة عنده بالفعل .

(ومنها) اعتقاد المرء أن رغباته حقائق فلا يصدق إلا ما كان موافقاً لعواطفه ورغباته .

٤ — والمذهب الذاتي (Subjectivisme) يطلق على الاتجاه الفلسفي الذي يرجع كل حكم وجودياً كان أو تقديرياً إلى أحوال أو أفعال شعورية فردية .

أ — فإذا كانت المسألة داخلة في (علم ما بعد الطبيعة) كان المقصود بهذا الاتجاه ارجاع كل وجود إلى وجود الشخص المدرك ، أو إرجاع كل وجود إلى وجود الفكر دون ما عداه من الأشياء ، وهذا المعنى قريب من معنى المثالية (Idéalisme) .

ب — وإذا كانت المسألة داخلة في (علم المنطق) دلّ هذا الاتجاه على الفلسفة التي تنكر القيمة الموضوعية للفرق بين الحق والباطل والصحيح والفاسد أو على الفلسفة التي ترجع اليقين إلى التصديق الفردي .

(ج) وإذا كانت داخلة في (علم الأخلاق) دلّ هذا الاتجاه على المذاهب الخلقية التي ترجع التمييز بين الخير والشر إلى التمييز بين السعادة الفردية والشقاء الفردي أو إلى الانفعالات الشخصية الملائمة والمنافية .

(د) وإذا كانت داخلة في (علم الجمال) دل هذا الاتجاه على النظريات التي تجعل أحكام الفن مبنية على الأذواق الفردية . وهذا المعنى مرادف للانطباعية (Impréssionnisme) .

(هـ) وإذا كانت داخلة في (علم النفس) دلّ هذا الاتجاه على ميل الفرد إلى الانطواء على نفسه بحيث لا ينظر إلى الأشياء إلا من جهته الذاتية، لا من جهتها الموضوعية وقد يطلق المذهب الذاتي أيضاً على الفلسفة التي تمدح هذا الميل وترفض الاعتراف للأمور الموضوعية بحق التقدم على الأمور الشخصية والذاتية (راجع : الموضوعي ، والموضوعية) .

الذرائعية (أو الأداتية)

Instrumentalisme

الذّريعة حلقة يتعلم عليها الرامي ، والذّريعة أيضاً الوسيلة والسبب إلى الشيء وجمعها ذرائع .

ويُطلق لفظ الذرائعية في الفلسفة الحديثة على مذهب (جون ديوي) ومذهب مدرسة (شيكاغو) ، وهو من المذاهب العملية (Progmatique) التي تقول أن كل نظرية فهي أداة أو ذريعة إلى العمل ، لا قيمة لها إلا إذا كان لها مردود عملي . والسبب الذرائعي (Cause instrumentale) هو الوسيلة لإحداث النتيجة ، والمنطق الذرائعي هو المنطق الذي يبني أحكامه على التجربة ، وجملة القول إن الفكر في المذهب الذرائعي ليس سوى وسيلة أو ذريعة للنجاح في الحياة . (راجع : العملي ، والمذهب العملي) .

الذرة

في الفرنسية	Atome
في الانكليزية	Atom
في اللاتينية	Atomus, atomum
وأصله في اليونانية :	Atomos

١ — الذرة في الأصل هي الجزء الفرد أو الجزء الذي لا يتجـزأ ، أثبتها لوسيب ، وديمقريطس ، وأبيقوروس ، ولوكرس . فقال ديمقريطس إن الجواهر الفردة أبدية ومتجانسة وثابتة لا تختلف بعضها عن بعض إلا بصورها وأوضاعها وحركاتها ، وقال المتكلمون الذين أثبتوا ذلك إن الجوهر الفرد ذو وضع لا يقبل القسمة أصلاً لا قطعاً ولا كسراً ولا وهماً ولا فرضاً إلا أنهم أنكروا أن يكون أبدياً .

٢ — ويطلق المحدثون لفظ الذرة على أصغر جزء من عنصر مادي ما ، صحيح أن يدخل في التفاعلات الكيماوية . وهذه الأجـزاء المادية ثابتة الكيفيات ، منها الذرة الكيماوية وهي أصغر جزء في العنصر الكيماوي . قالوا إنها أصغر جزء فيه لأنهم لم يكشفوا حتى الآن عن جزء أصغر منها ولكنهم لا ينكرون أن يؤدي التحليل العلمي العميق والتقسيم الفيزيائي الدقيق في المستقبل إلى الكشف عن جزء أصغر منها وأدق .

٣ — وقد أطلق العلماء خلال هذه السنوات الأخيرة لفظ الذرة على أجزاء فيزيائية محددة ومنفصلة لا تقبل الانقسام كالذرات الكهربائية أي (الإلكترونات) أو كالذرات الكمية (الكوانت) التي تكلم عليها (بلانك) .

٤ — وأطلق بعض الفلاسفة لفظ الذرة أيضاً على العناصر النفسية التي لا تنقسم وسموها بالذرات النفسية (Atomes psychiques) وهي أصغر الأجزاء التي تتألف منها الأحوال النفسية المركبة .

الذرّي

في الفرنسية Atomique

في الانكليزية Atomic

الذرّي هو المنسوب إلى الذرة أو المتصف بصفاتها أو المؤلف منها ، كالوزن الذري (Poids atomique) أو البنية الذرية (Structure atomique) .

(فائدة) : كانت النظرية الذرية (Théorie atomique) تقول ان الأجسام مؤلفة من الجزئيات الفردية أي الذرات ، فاستبدل (دلتون) بهذه النظرية الغامضة نظرية جديدة تقول إن الذرات في كل عنصر مادي ذات وزن ثابت ، وإن اتحاد العناصر المادية بعضها ببعض لا ينشأ عن تداخل جواهرها ، بل ينشأ عن رصف ذراتها بعضها إلى جنب بعض . والنظرية الذرية في علم النفس تجعل الأحوال النفسية المركبة مؤلفة من ذرات نفسية . والنظرية الذرية في علم الاجتماع ترجع بنية المجتمع إلى الأفراد على عكس النظرية العضوية (Théorie organique) التي تشبه المجتمع بالجسم المتعضّي الذي يقوم بوظائفه من حيث هو كل لا من حيث هو مؤلف من الأفراد .

والمذهب الذريّ (Atomisme) مذهب فلسفي يثبت أن المادة مكونة من ذرات تتولد من تركب خواصها جميع ظواهر الأجسام الحسية .

ويطلق المذهب الذري أيضاً على نظرية الجزئيات المادية ، وعلى نظرية الذرات الرياضية أو الذرات (الفيثاغورية) التي تجعل المادة مؤلفة من نقاط رياضية ليس لها امتداد (نظرية بوسكوفيتش Boscovich) أو على الذرية الفلسفية أو المنادولوجيا (Monadologie) وهي نظرية ليبنيتز ، أو على الذرية

النفسية القائلة إن جميع ظواهر النفس تنحلّ إلى عناصر بسيطة أو إلى عنصر بسيط واحد كالصدمة العصبية (Choc nervenx) في مذهب سبنسر وجميع هذه الاصطلاحات لا تخلو من الالتباس . مثال ذلك أن اصطلاح الذرية الفيثاغورية يبعدنا عن مذهب فيثاغوروس ، ومثال ذلك أيضاً أن الذرية الفلسفية لا تصدق على مذهب ليبنيتز تماماً بالرغم من قوله ان (المناد) هو الذرة الحقيقية في الطبيعة .

الذكاء

في الفرنسية Intelligence

في الانكليزية Intelligence

Intellectual power

في اللاتينية Intelligentia

ذكا أو ذكي فلان ذكاء سرع فهمه وتوقد ، وذكا العقل اشتدت فطنته ، ويقال أيضاً ذكت الشمس اشتدت حرارتها ، وذكت الحرب اتقدت والريح سطعت وقامت ، وذكا المسك فاح .

وللذكاء في اصطلاحنا عدة معان .

١ — الذكاء سرعة الفهم وحدته أو هو جودة حدس من قوة النفس تقع في زمان قصير يقال رجل ذكي وفلان من الأذكياء أي فطن سريع الفهم ، حاذق في إدراك المواقف المعقدة .

٢ — والذكاء في اصطلاحنا قدرة النفس على حل المسائل النظرية والعملية وحذقها في إدراك طبائع الأشياء ومعرفة أسبابها . تقول فلان ذكي

أي قوي الحدس ، جيـــد الحكم سريع الاستدلال . والفرق بين الذكاء والعقل أن الذكاء مصحوب بالدوافع الانفعالية والحسية على حين أن العقل مجرد منهـا .

٣ ـــ وفرقوا بين الذكاء النظري والذكاء العملي فقـالوا إن الذكاء النظري هو المهارة في استخراج المعاني والقوانين العامة من التجارب الجزئية ، ثم الاستناد إلى هذه القوانين لاستخراج الحلول الموافقة لهـا على حين أن الذكاء العملي هو القدرة على استنباط هذه الحلول مباشرة من التجـارب الجزئية نفسها .

٤ ـــ والذكاء يختلف باختلاف الناس ، وهذا مما يتفاوت في الكم والكيف أما في الكم فلأن بعض الناس يكون أكثر إحاطة من بعض ، وأما في الكيف فلأن بعض الناس أسرع ذكاء من بعض ، ومنهم من يكون أكثر غوصاً على المعاني ، ومنهم من يكون أميل إلى التقليد منه إلى الإبداع . الخ .

الذكر والذاكرة

في الفرنسية Mémoire

في الانكليزية Memory

في اللاتينية Memaria

١ ـــ الذاكرة هي القدرة على إحياء حالة شعورية مضت وانقضت مع العلم والتحقق إنها جزء من حياتنا الماضية . وقد عرفهـا حكماؤنا القدماء بقولهم إنها قوة تحفظ ما تدركه القوة الوهمية من المعاني وتذكرها (التهانوي) أو قولهم إنها قوة محلها التجويف الأخير من الدماغ من شأنها حفظ ما يدركه الوهم من المعاني الجزئية (ابن سينا) وتسمى عندهم حافظة أيضاً . ووظيفة

الذاكرة بهذه المعاني كلها الحفظ والتذكر ، ويطلق الذكر على إحضار الشيء في الذهن بحيث لا يغيب عنه وهو ضد النسيان (الجرجاني) .

٢ — ويطلق لفظ الذاكرة على القوة التي تدرك بقاء ماضي الكائن الحي في حاضره . قال (ريبو) : الذاكرة وظيفة عامة للجهاز العصبي تنشأ عن اتصاف العناصر الحية بخاصة الاحتفاظ بالتبدلات التي تطرأ عليها وبقدرتها على ربط هذه التبدلات بعضها ببعض . ويطلق هذا اللفظ على الذاكرة النفسية . وهي أعلى صور التذكر وأكثرها تعقيداً ، وقد يطلق على بعض ظواهر الأجسام الجامدة أيضاً .

٣ — وقد فرق الفيلسوف (برغسون) بين ذاكرتين الأولى من جهة ما هي عادة تحتفظ بآثار الماضي على صورة حركات مخزونة في الجسد ، والثانية من جهة ما هي وظيفة نفسية تحفظ ذكريات الماضي بصورة مستقلة عن الدماغ . وتسمى الأولى بالذاكرة الحركية والثانية بالذاكرة النفسية ، وتتألف من التثبيت (Fixation) والحفظ (Conservation) والذكر (Rappel) والعرفان (Reconnaissance) والتحديد (Localisation) .

٤ — والذاكرة الانفعاليـــة (Mémoire offective) هي القدرة على تذكر الأحوال الانفعالية السابقة كقدرة الإنسان على إحياء خوف قديم اعتراه في بعض ظروف حياته ، وقد تطلق الذاكرة الانفعالية أيضاً على ذكرى الحوادث الماضية من جهة ما هي مصحوبة بجملة من الأحوال الانفعالية .

ومن العلماء من ينكر هذه الذاكرة الانفعاليـــة فيقول إن الأحوال الانفعالية التي نتوهم إحضارها في النفس ليست سوى انفعالات جديدة اثارها إحضار صور الحوادث الماضية في الذهن . ومنهم من يري أن من خواص الأحوال النفسية عقلية كانت أو انفعالية أن تعود إلى مسرح الشعور ،

وان الذكرى الانفعالية إذا كانت حالة جديدة كانت الذكرى العقلية نفسها حالة جديدة أيضاً لأن الماضي لا يمر بالانسان مرتين .

٥ — وفرقوا بين الذاكرة العقلية والذاكرة الحسية فقالوا إن الذاكرة العقلية ذاكرة المعاني والأحكام والتصورات والتصديقات على حين أن الذاكرة الحسية ليست إلا ذاكرة الصور الحسية ، فاذا تذكرت ألفاظ محدثي ولهجة كلامه ورنة صوته كانت ذاكرتي حسية وإذا لم أتذكر إلا معاني حديثة كانت ذاكرتي عقلية .

٦ — وفرقوا أيضاً بين الذاكرة الإرادية والذاكرة اللاإرادية . وهذا قريب من تفريقهم بين الذاكرة الخام والذاكرة المنظمة . فتكرار الشيء الماضي تكراراً بسيطاً يدخل في باب الذاكرة الخام على حين أن تدخل العقل في تمثل الماضي وتأويله واصطفاء عناصره وتنسيقها يدخل في باب الذاكرة المنظمة

٧ — وتطلق الذاكرة في أيامنا هذه على اتصاف الآلات بالقدرة على تكرار الحركات المخزونة فيها ، ويدخل الكلام على هذه الذاكرة في علم الروابط الحركية (Cybernétique) .

الذكرى

في الفرنسية Souvenir
في الانكليزية Remembrance—Recollection
واللفظ الفرنسي مشتق من الفعل اللاتيني Subvenit

١ — يطلق لفظ الذكرى على كل ما يخطر بالذهن من الحالات الماضية حركات كانت أو صوراً فإما أن يكون إحضارها في الذهن تلقائياً فيطلق عليها اسم (الذُكر) وإما أن يكون إرادياً فيطلق عليها اسم التذكر .

والذكر قد يوجد في الإنسان والحيوان ، أما التذكر وهو الاحتيال لاستعادة ما اندرس فلا يوجد إلا في الإنسان (ابن سينا) .

٢ — وقد يطلق هذا اللفظ على ما نستعيده من الصور النفسية دون الحركات المادية كما في ذاكرة الصور التي تكلم عليها (برغسون) وتكون الذكرى في هذه الحالة مصحوبة بالعرفان أي بعلمنا أنها جزء من حياتنا الماضية على عكس العادات الحركية التي نستعيدها من غير أن تكون مصحوبة بهذا العلم .

٣ — ويطلق هذا اللفظ في أيامنا هذه على التذكرة أي على ما تستذكره الحاجة فنقول هذه الهدية ذكرى اجتماعنا في دمشق أو ذكرى إقامتنا على ساحل البحر ، ومنه خزانة الذكريات .

الذنب

في الفرنسية	Faute
في الانكليزية	Fault
في اللاتينية	Fallita

الذنب ارتكاب المكلف أمراً غير مشروع ، وله درجات تختلف باختلاف طبيعة الفعل ونية الفاعل ، والذنوب قسمان : الصغائر والكبائر . ولكل ذنب عقاب ، ولكل طاعة ثواب

ولا يعتبر الفعل ذنباً إلا إذا كان منهياً عنه في الشرع أو الأخلاق أو مشتملاً على تقصير في الواجب ، وهو يتضمن الاعتقاد أن للقاعدة التي خالفها الفاعل قيمة في نظر الناس .

مثال ذلك : إذا اعتقد الناس أن المصلحة العامة مقدمة على المصلحة الشخصية وجدوا المؤثر لمصلحته الشخصية مذنباً ، ولكنهم إذا لم يعتقدوا ذلك لم ينسبوا إليه ذنباً قط . ويشترط في نسبة الذنب إلى الفاعل أن يكون مدركاً لمسؤولياته حراً في اختياره وأن تكليفه متناسباً مع استطاعته .

الذهن

في الفرنسية Entendement

في الانكليزية Understanding

١ — الذهن في اللغة الفهم والعقل ، وفي اصطلاح الفلاسفة القدماء قوة للنفس معدة لاكتساب الآراء أي العلوم التصورية والتصديقية ، أو قوة نفسانية يحصل بها التمييز بين الأمور الحسنة والقبيحة ، والصواب والخطأ ، أو قوة معدة لاكتساب التصورات والتصديقات ، أو قوة مهيئة لاكتساب العلوم . وقد يطلق الذهن ويراد به القوة المدركة مطلقاً سواء كانت النفس الانسانية أو آلة من آلات إدراكها .

٢ — ويطلق الذهن في الفلسفة الحديثة على قوة الإدراك من جهة ما هي مقابلة للاحساس . ومعنى ذلك أن الذهن هو العقل ، وقد يعبر عنه بالعقل تارة وبالنفس أخرى ، وإطلاق العقل على النفس جائز .

وقد يراد بالذهن قوة للنفس معدة لإدراك الأشياء الخارجية من غير أن يكون تمثلها مقيداً بصورها المادية المرتسمة في الدماغ . فاذا كان البدن علة طبيعية أو ظرفية للصور المرتسمة في النفس أطلق على هذه الصور اسم الاحساس أو الخيال ، وإذا كانت النفس ذاتها علة ما يتكون فيها من أفكار

أطلق عليها اسم الذهن . ويسمى وجود الصور في الذهن بالوجود الظلي ووجودها خارج الذهن بالوجود الحقيقي .

٣ — ويطلق الذهن أيضاً على قوة الإدراك من جهة ما هي مقابلة للاحساس تارة وللعقل أخرى .

(آ) فالذهن عند (كانت) ملكة تنسق الاحساسات بواسطة المقولات إلا أن القوة المعدة لاكتساب المعرفة لا تقتصر على تهجّي الظواهر في ضوء وحدة تركيبية معينة لقراءتها من جهة ما هي تجارب حاصلة لها بل تحتاج إلى قوة أعلى من ذلك وهي قوة العقل . لذلك قيل ان الذهن ملكة القواعد ، وان العقل ملكة المبادىء . ومعنى ذلك ان في كل معرفة شرطية عنصراً غير شرطي . وكل معرفة فهي إنما تبدأ بالإحساس ثم تنتقل منه إلى الذهن ، ثم تنتهي إلى العقل ، فكأن الذهن إذن ملكة متوسطة بين العقل والإحساس .

(ب) والذهن عند (شوبنهاور) ملكة ربط التصورات الحدسية بمبدأ السبب الكافي (Raison suffisante) أما العقل فهو قوة معدة لاكتساب المفاهيم المجردة وترتيبها وجمعها في الأحكام والاستدلالات .

(ج) وقد يطلق العقل على إدراك الأمور الأبدية أو الأمور المطلقة ويطلق الذهن على إدراك أمور التجربة . ومعنى ذلك أن للذهن حركات متتابعة في اكتساب التصورات وتأليف الأحكام والاستدلالات على حين أن العقل يدرك هذه الأشياء إدراكاً مباشراً بفعل واحد . ومعنى ذلك أيضاً أن الذهن استدلالي يبدأ بالمقدمات والفرضيات وينتهي إلى النتائج على حين أن العقل حدسي يدرك المقدمات والنتائج إدراكاً كليا مباشراً .

(د) ويرجع هذا التمييز بين الذهن والعقل إلى أفلاطون ، فقد فرق هذا الفيلسوف بين الحدس أي المعرفة المباشرة والعقل أي المعرفة الاستدلالية فالحدس في نظره يتناول الأمور العالية ، والعقل يتناول الأمور السافلة أى الأمور الحسية التي تتألف منها العلوم . وقد قلب (كانت) هذه العلاقة فجعل الحدس أدنى من العقل ، لأن الحدس عنده لا يدرك إلا المسائل الداخلة في إطاري الزمان والمكان ، على حين أن العقل يتناول المسائل العالية أي المسائل الإلهية . أما (برغسون) فانه جعل الحدس أعلى من العقل على النحو الذي فعله أفلاطون لأن الحدس عنده ينور في باطن الوجود ، ويكشف عن المطلق على خلاف العقل لا يجول إلا في سطح الوجود ولا يعنى إلا بصنع الآلات وتركيبها .

(فائدة) الذهن في اللغة الفرنسية (Entendement) مشتق من السمع (Entendre) ، وهذا شبيه بقولنا في اللغة العربية سمع الكلام فهم معناه وسمع لغلامه أو إليه أو إلى حديثه أصغى وأنصت وسمع الدعاء ونحوه أطاع واستجاب .

الذوق

في الفرنسية	Goût
في الانكليزية	Taste
في اللاتينية	Gustus

الذوق حاسة تدرك بها الكلام من حلو ومالح ومر وحامض ، وآلته الأعصاب الحسية المنبثة في اللسان . وقد يوسع معناه فيطلق على كل تجربة تقول ذقت فلاناً وذقت ما عنده .

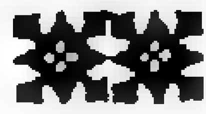
والذوق أيضاً قوة إدراكية لها اختصـــاص بادراك لطائف الكلام ومحاسنه الخفية وقد يطلق على ميل النفس إلى بعض الأشياء كتذوقها القراءة والأحاديث الجميلة ، ويرادفه حسن الإصغاء ، وشدة الانتباه ، وكثرة العطف .

وقد يطلق الذوق أيضاً على القوة المهيئة للعلوم من حيث كمالهـا في الإدراك بحسب الفطرة ، أو على حذق النفس في تقدير القيم الخلقية والفنية كقدرتها على إدراك المعاني الخفية في العلاقات الإنسانية ، أو قدرتها على تذوق الشعر والأدب والموسيقى ، وتسمى القدرة على تذوق الفن طبعاً ، تقول فلان مرهف الذوق أي رقيق الطبع .

وقد يراد بالذوق الذوق السليم مطلقاً وهو الحكم على الأشياء حكماً صادقاً ودقيقاً .

والذوق في اصطلاحات الصوفية نور عرفاني يقذفه الحق بتجلّيه في قلوب أوليائه يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره (الجرجاني) .

جميل صليبا



« كلمات » من المغرب الأقصى

- ٢ -

ساقة ومقدّم

لا تعجب حينما تسمع أخاك العربي في المغرب الأقصى يحدثك عن قوم زاروه فدخلوا عليه « ساقة ومقدم » . فهو بتعبيره هذا يوحي بما رسب في لهجته من كلمات فصيحة كانت في الأصل تعبيراً عن الجيش العربي الخماسي الذي يضم الجناح الأيمن ، والجناح الأيسر ، والقلب ، والمقدمة ، والساقة ، حتى قيل فيه الخميس على لسان أبي تمام :

والعلمُ في شهب الأرماح لامعةً   بين الخميسيْن لا في السبعة الشهب

فعبارة « ساقة ومقدم » تعني في التعبير المغربي ما تعنيه عبارة « القض والقضيض » . والتعبير المغربي يجري على ألسنة الرجال والنساء مجـــــرى الأمثال والكنايات .

الرمان السّفْري

من الأمثال المغربية : « إذا جعت كُل الرمان ، وإذا شبعت كل الرمان » لأنه في كلتا الحالتين لذيذ شهي ، ولكن المختار الممتاز من ضروبه هو الرمان السَّفْري ؛ ولهذه النسبة قصة يرويها لنا المؤرخون وأبو العباس المقري صاحب نفح الطيب في مقدمتهم :

(١) انظر نفح الطيب ج ١ ص ٢١٧ الطبعة الأزهرية . وانظر دوزي ج ١ ص ٦٥٨ ،

فالرمان السَّفَرْي منسوب إلى سَفَر بن عبد الله وكان من أصحاب عبد الرحمن الأموى الملقب بالداخل . بعثه بطائفة من لطائف الأندلس إلى أخته التي بقيت بالشام . فلم يكن من هذه الأميرة الأموية إلا أن بعثت لأخيها أمير قرطبة بطرائف فواكه الشام وفيها الرمان . وقد اغترسه سفر في الأندلس وتعهده وعنه أخذه الناس . وإليه نسبوه .

ومن الأندلس انتقل إلى المغرب وما زال معروفاً ومشهوراً بهذا الاسم .

دار السُّلْوان

في الاحتفال بالعرس نجد إلى جانب دار العرس داراً أخرى يجتمع فيها أصدقاء العروس ويجلس بينهم آمراً ناهياً متخذاً الأعوان الذين يسعون في تلبية رغباته وقضاء مهاته ! وتسمى هذه الدار في العرف المغربي دار السلوان . وفيها يقضي العروس مع أصدقائه ساعات وأياماً لا تبلى جدتها ولا تذوى زهرتها .

أسود جَنَوِي

كان أكثر الرقيق في عصور المغرب التاريخية يأتي من إفريقية الغربية التي كانوا يسمون أجزاء كبرى منها باسم : غانة ، ولذلك صاروا ينسبون كل أسود اللون إلى غانة ، وتصرفوا في هذه النسبة وفي جمعها فسموا المفرد (عبد جَنَوي) والجمع (عبيد جناوة) .

واسم (جناوة) ما زال إلى الآن مستعملاً في المغرب ويراد به جماعة من السود لها (فن) خاص في الرقص والغناء والطرب .

يخلّل ويقدّس

تسمع المرأة والرجل يتحدث كل منها عن متاعبه في هذه الحياة والمشقات التي يعانيها فيقول :

« ما زلت أخلّل وأقدس » والفعلان معاً مشتقان من اسم (ذات) .

وذلك ان المغاربة في عصورهم المختلفة كانوا مولعين بالأسفار والرحلات وأداء مناسك الحج ؛ وكان كثير منهم يزور قبر (الخليل) ابرهيم عليه السلام . كما يزور مدينة القدس لمشاهدة المسجد الأقصى . وهو لا يتمكن من ذلك إلا بعد مشاق وأتعاب الطريق فاذا رجع إلى بلاده صار يعبر عن كل تعب لحقه أو كل هول خاضه بقوله : (أخلل وأقدس) . وما زال التعبير حيّاً إلى الآن .

بسيط الاصبهان

عندما يسمع المغربي نغمات الموسيقى المغربية التى تسمى (الموسيقى الأندلسية) ينفعل لها إن كان ذا حاسة فنية تفرق بين الأوزان المختلفة ، حتى إذا سمع (بسيط الاصبهان) قال : بسيط الأصبهان ، به تسبح ملائكة الرحمن !

ونسبة هذا الميزان إلى مدينة اصبهان أو إلى أبي الفرج الاصبهاني صاحب الأغاني ، إو إلى شخص آخر عند صاحب الأغاني واضحة لا غبار عليها .

ثم تطور هذا الاستعمال المغربي لكلمة (اصبهان) فصار علماً على كل أصوات ترتفع فيقـــول الأب لأبنائه إذا أحدثوا صياحاً في البيت : (ما هذا الأصبهان ؟) .

وليس (الأصبهان) هو الراسب الوحيد في اللهجة المغربية من أسماء أوزان الموسيقى ، فهناك وزن آخر يسمى (العشاق) ومن المعتاد أن يستعمل في الصباح . فاذا « زل » أهل الموسيقى واستعملوه في العشية نبههم مَن يحفظ المثل المغربي الشهير :

(القضية عكسية ؟ « العشاق » في العشية !) .

العُمَرِية

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سريع الرضا سريع الغضب وكان صارم حق لا يكل . وقد اشتهر بهذه الصفة حتى نسبت إليه . فاذا كان هناك شخص فيه شيء من هذه الصفة نُسب إلى عمر فقيل فيه : فلان عُمَري أي قوي صريح سريع الرضا سريع الغضب في الحق . وما زالت هذه الصفة مشتهرة بين الناس فيقال :

فلان عُمَري ، أو فيه عُمَرِيّة ، أو ما هذه العمرية ؟

المردية

الأمرد والجمع مُرد معروف .

والمردية في اللهجة المغربية تعني الأخلاق والصفات التي اشتهر بها أولئك المرد من السخافة والمزاح . فاذا تعجبوا من سخافة إنسان وكثرة مزاحه الخارج عن المعتاد قالوا له : « ما هذه المردية » . غير انهم يفتحون الميم عوض ضمها .

مغلوق ومفتوح

في الألوان نجد توليدات غريبة يكثر فيها المضاف والمنسوب في اللهجة المغربية :

قلب الحجر = أطلس رمادي

شمس المشب = أحمر فيه صفرة

قلب الزهرة = ضعيف الخضرة

قلب الحوضة = أصفر فاتر الحمرة

شعر الجمال = بين الحمرة والكدرة

عدسي = لون العدس

عسلي = لون العسل

خوخي = لون الخوخ

كموني = لون الكمون

زيتي = لون الزيت

أما الألوان البسيطة فيزيدون لها أحياناً وصفاً آخر فيقولون : أحمر مفتوح ، أخضر مغلوق ، وهكذا .

وقد رأيت أبا العباس التيفاشي يستعمل كلمتين : « مفتوح » و « مغلوق » في ألوان المعادن والأحجار التي ذكرها في كتابه : « أزهار الأفكار في جواهر الأحجار » الذي تحدثت عنه في الجزء الأول من المجلد التاسع والثلاثين من مجلة المجمع .

فالاستعمال إذن قديم . وقد رسب في اللهجة المغربية منذ قرون .

ذَهَب وذُهْبَان

لا نكاد نستعمل لكلمة ذهب جمعاً ، مع أن المعاجم احتفظت له بجموع هي : أذهاب ، وذهوب ، وذُهبان . واحتفظت اللهجة المغربية بجمعه على ذُهبان . ويقولون في المثل : « الذهب يبحث عن الذهبان ! » ويريدون بذلك أن الثري يبحث عن مصاهرة الأثرياء !

وما زالت بفاس طريق شهيرة تسمى إلى الآن « سويقة الذُّهْبَان » ،

مطرح الجِلّة

هناك جانب من المقبرة العمومية في مدينة فاس يسمى « مطرح الجِلّة » والجلة مفردها جليل والمطرح اسم مكان من طرح .

وسمي هذا الجانب بهذا الاسم الخاص نظراً لكونه مدفن أهل الفضل والعلم منذ أجيال وقد صحفت الألسنة هذا الاسم تصحيفاً جميلاً وصارت تقول في غدوها ورواحها : « مطرح الجَنّة » بالنون . وهذا تصحيف مبارك يباركه الأحياء والأموات !

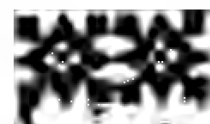
طَاقَ مَا حمل

برغم أن المعاجم اللغوية احتفظت لنا بالفعلين طَاقَ الشيءَ ، وأطاقه فاننا لا نكاد نستعمل في فصيح التعبير إلا الرباعي ، حيث ليظن أحياناً أن الثلاثي مهجور !

واللهجة المغربية لا تستعمل إلا الثلاثي فيقولون في التعبير عن إناء مليء بشيء : « طاق ما حمل » .

والأمثال المغربية فيها من الفصاح ما تقر به أعين الغُيُر على لغة الضاد ، فعسى أن نتمكن من فتح ملفها الضخم لننشر ما طوته الأيام .

فاس (المغرب الأقصى) عبد القادر زمامه



من تراثنا الضائع

تائية دعبل الثانية

عثر أستاذنا الدكتور إبراهيم الكيلاني في المجلدة الثانية من موسوعة أبي حيان التوحيدي (البصائر والذخائر) التي يتولى وحده نشرها في دمشق ، على تائية دعبل الثانية التي لم يصل إلينا منها سوى سبعة عشر بيتاً ؛ فأقبل يحدثني عنها في تواضع جم ، وقال : إنه يريد أن ألحقها بشعر الشاعر الذي صنعته منذ سنتين ، وتولى المجمع العلمي العربي بدمشق إخراجه (١) .

وقد ذكرت ما كنت كتبته في مقدمة هذا الشعر فاسترحت إليه . قلت في المقدمة : « وما نشك أن الأيام المقبلة قد تغير من صورة هذا الشعر قليلاً ، فتنمي بعضه ، وتفصل في نسبة بعض المختلف عليه ، وتحوّل بعضه من قسم إلى قسم ؛ فإن من طبيعة هذا العمل أن يكون متحركاً لا يسكن أبداً . وكذلك نعتقد أن شعراً صحيحاً — قد يكون كثيراً — سيزاد على القسم الأول ، مع البحث والالتفات الدائم إلى العمل ؛ فإن مثله لا يتم بعمر الفرد . وأقصى ما يتاح لنا الآن أن نكوّن النواة التي يجتمع من حولها شعر لم يتيسر لنا الاطلاع عليه . ثم قد يتهيأ لنا في الأيام المقبلة أن نرى وجوه الصواب في ما عمي علينا اليوم ، فنصحح كثيراً من وجوه التصحيف والتحريف ، ونعيد النظر في بعض الروايات التي اخترناها » .

---

(١) شعر دعبل بن علي الخزاعي - مطبوعات المجمع العلمي العربي لسنة ١٩٦٤ م .

ولم يلبث الدكتور الكيلاني أن قدّم إليّ صورة القصيدة ، نقلها من مخطوطة مكتبة رامبور ؛ وهي تملأ الورقتين ٣٨٤ و ٣٨٥ من المجلدة الثانية من كتاب (البصائر والذخائر) ، وعدّتها أربعة وثلاثون بيتاً . فلما قرنتها بما في (شعر دعبل) (١) منها وجدتها تزيد عليه سبعة عشر بيتاً (٢) . على أن بيتاً واحداً سقط منها ، وجدته في (شعر دعبل) ولم أجده في المخطوطة . فهكذا بلغت القصيدة خمسة وثلاثين بيتاً ، وهي عدّة أبيات القصيدة في أكثر الشعر العربي ، لدى أكثر شعرائه ، على الأغلب . فإذا ذكرنا أن عدد أبيات التائية الأولى الكبيرة التي قالها دعبل في آل البيت ، ونقل ياقوت ما صحّ له منها في معجم الأدباء ، بلغ ما لا يزيد كثيراً على تائيته هذه التي ضمّنها الفخر والحكمة ، فقد يرجح لدينا أن تكون هذه القصيدة تامّة في أيدينا اليوم ، أو هي قريبة من التّمام .

وقد رأيت أن أعيد نشرها في صورتها الجديدة ، وأضعها موضعها من (شعر دعبل) الذي نشرته ، حتى تضم إلى الكتاب فتقع في موقعها منه ، ويصحّح بها موضع بيتين آخرين كانا انفرطا عن القصيدة في المصادر التي كنت رجعت إليها في صنعة الشعر (انظر : النص ٤٣ في الصفحة ٨٠ من شعر دعبل ، والنص ١١٤ في الصفحة ١٢٥ . وقد ضُم كلاهما إلى القصيدة ؛ وينبغي أن يلغيا في موضعيها من الشعر) .

---

(١) النص ٤٢ في الصفحة ٧٨ .

(٢) نذكر أن بيتين آخرين انفرطا عن القصيدة في المصادر السابقة ووقعا في نصين متباعدين (من شعر دعبل) : فتكون الزيادة في القصيدة إذن خمسة عشر بيتاً . انظر : النصين ٤٣ في الصفحة ٨٠ ، و ١١٤ في الصفحة ١٢٥ من (شعر دعبل) .

وهذه هي الصورة الجديدة للقصيدة مع تخريجها وشرحها :

* * *

- ٤٢ -

التخريج : البصائر والذخائر ٢/ الورقة ٣٨٤ — ٨٥ (عدا ٣٤) . والأبيات (١ — ٢ ، ٥ ، ٧ — ٨ ، ١٠ — ١٢ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٨ — ٢٩ ، ٣٢ — ٣٥) في ذيل الأمالي ١١١ . والأبيات (٥ ، ٨ ، ١٠ — ١٢ ، ٣٢ — ٣٣ ، ٣٥) في الكامل ١ / ٣٥٤ والدر الفريد ١ / ورقة ٣٦٥ (الخامس والثلاثون وحده في المتن) . والأبيات (٣٢ — ٣٣ ، ٣٥) في الموشح ٣٨٠ — ٨١ والعمدة ١/ ٦١ . والبيتان (٢٨ و٣٠) في محاضرات الأدباء ١ / ٣٥٣ ؛ والبيتان (٣٢ — ٣٣) فيه أيضاً ١/١٧٨ . والأخير في الأشباه والنظائر ١/٢٢٥ والعقد الفريد ٥/٣١٧ . والعاشر في شرح المقامات ١/٢٥٠ . والسابع والعشرون في الكامل ٢ / ٨٨٧ والكوكب الثاقب ورقة ٥٤ ظ . والرابع والعشرون في محاضرات الأدباء ١/٣٥٩ . (وحرفت الكلمة الأخيرة فيه فوردت « مسوري » بدلاً من « مسرتي ») . ونسبت الأبيات (٣٢ — ٣٣ ، ٣٥) توهماً إلى غير دعبل في أمالي المرتضى ٢/٢٧٠ .

[قال في الفخر والحكمة] :

ـ من البسيط ـ

١ ـ إذا غزَونا فمَعزانا بأَنْقِرةٍ وأهلُ سمى بسِيفِ البحرمن (جُرُتِ)
٢ ـ هيهاتَ هيهاتَ بين المنزِلين لقد أنضَيتُ شوقي ، وقد أبعدتُ مُلْتَفَتي
٣ ـ حلّتْ محلاًّ بقُطو الأرض مُنتبذاً تُقصِّر الريحُ عنه كلّما جرتِ
٤ ـ فما يَنال بها الهَيْمانُ مَوردَه إلا بنصٍّ وجذْبِ العِيس بالبُرةِ
٥ ـ أحببتُ أهلي ، ولم أظلِم بحبِّهمُ قالوا : تعصبتَ جهلاً ، قول ذي بَهَتِ
٦ ـ أحمي حِماهم ، وأرمي في مُعارضهم وأستقلْهم إذا ما رِجلُهم هَوتِ

(١) سيف البحر : ساحله . وفي مخطوطة البصائر : (خرت) ، وهوتصحيف . وفيه أيضا : (انقرت) بفتح التاء ، وقد وردت فيه التاءات في القوافي مبسوطة كلها ، فذكرناها هنا ، وسنعدّي عن ذكرها بعد .

(٢) إنضاء الشوق : إضعافه ، كناية عن كثرة البكاء . وفي مخطوطة البصائر : (أنضبت) ، ولعله تصحيف .

(٤) الهيمان : العطشان ، والجمع : هيام . ونصّ الناقة : استحثها استحثاثاً شديداً . والبُرة : حلقة تجعل في أنف البعير ، من برى .

(٥) البَهَت والبُهتان : الكذب . والصدر في بعض المصادر : (أحببت قوميَ لم أعدِل بحبهم) .

(٦) استقاله : طلب إليه إقالته ، أي : إنهاضه من عثرته . ولا موضع للجزم في (استقلهم) ولا معنى لها هنا ، فلعل الصّحيح : (وأستقيل) .

٧ ـ لهم لساني بتَمريظي ومُمْتَدَحي نعم ! وقلبي وما تحويه مقدِرتي

٨ ـ دعني أصِلْ رحِمي إنْ كنتَ قاطعَها لا بدَّ للرحِم الدُّنيا من الصِّلةِ

٩ ـ لولا العشائر ما رجِّيتُ عارفةً ولا لحقتُ على الأيام من تِرَةِ

١٠ ـ فاحفظْ عشيرتَك الأدنَيْنَ؛ إنَّ لهم حقاً يفرِّق بين الزَّوج والمرَةِ

١١ ـ قومي بنو حِمْيَرٍ والأسْدُ أُسرتُهم وآل كِنْدَةَ والأحياءُ من (عِلَةِ)

١٢ ـ تُثْبَتُ الحُلومِ؛ فإنْ سُلَّتْ حفائظُهم سَلُّوا السيوفَ فأردَوا كلَّ ذي عَنَتِ

١٣ ـ هم أثبتُ الناس أقداماً إذا بُغِتوا وقلَّما تثبُتُ الأقدامُ في البَغَتِ

---

(٨) الدنيا : القريبة ، والمذكر : أدنى .

(٩) العارفة : المعروف والعطية والخير والإحسان ، والجمع : عوارف . والتِرة : الثأر ، من : وتر . وفي مخطوطة البصائر : (العشاير) ؛ وقد جرى على تخفيف الهمز دائماً ، فذكرناه هنا ؛ ولن نذكره بعد .

(١٠) جعل الشريشي البيت شاهداً على استعمال (المرة) ، وهو — في الأصل — تسهيل الهمز من (المرأة) : (مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق م ٤ ص ١٣٦) .

(١١) في بعض المصادر : (مذحج) . وفي أكثرها : (الأزد) ، والسين لغة فيها . وفي بعضها : (إخوتهم) .

(١٢) الحلوم : العقول ، ومفردها : حِلم . والحفيظة : الغضب لظلم يقع . والعنَت : الإثم . وفي الدر : (وإن) .

١٤ــ كم نفَّسُوا كربَ مكروبٍ، وكم صبَرُوا على الشدائدِ من لأْواءٍ فانجلتِ !

١٥ــ كم عَيْنِ ذي حِوَلٍ فقّأْتُ ناظرَها! وكم قطعتُ لأهلِ الغلِّ من حُمَةِ !

١٦ــ كم من عدوٍّ تحاماني وقد نشِبَتْ فيه المخالبُ يعدو عدْوَ مُنْفَلِتِ !

١٧ــ لو عاش كبشا تميمٍ ثُمَّتَ استمعا شعري لَماتا، ومات الوغدُ ذو الرُّمةِ

(ورقة ٣٨٥ من مخطوطة البصائر والذخائر)

١٨ــ فصار بالعُدوة القُصوى ، مؤرَّقه خوفي، فبات وجاش القلب لم يَبِتِ

١٩ــ تقدمتْه بناتُ القلب طائرةً خوفاً لِضَغْمِ أبي شِبْلَيْنِ مُنْهَرِتِ

٢٠ــ كالليث، لو أزَمَ الليثُ الهصورُ به ما غَضَّ طرفاً ولم يَجزعْ ولم يَصُتِ

(١٤) اللأواء : الشدة والضيق .

(١٥) الحِوَل : الاحتيال والقدرة . والغل : الحقد . والحمة : إبرة العقرب ونحوها ، من : حمى .

(١٦) في مخطوطة البصائر : (يعدوا) .

(١٧) كبشا تميم : جرير والفرزدق . وهما ــ مع ذي الرمة ــ من مضر التي يساديها الشاعر ، ليمانيته .

(١٨) العدوة : المكان المتباعد .

(١٩) الضّغم : العض ، ومنه سمي الأسد ضيغما . والمنهرت : واسع الشدق . وفي مخطوطة البصائر : (حوفا) .

(٢٠) الأزم : أشد العض بالفم كله أو بالأنيـاب ، وفعله أزَم يأزِم ، ويتعدى بنفسه أو بالحرف (الباء) . وصات : صوّت .

٢١ـ نفسي تُنافسني في كلِّ مكرُمةٍ — إلى المعالي، ولو خالفتُها أَبتِ
٢٢ـ كم قد وطئتُ على أحشاء مُتْعِبَةٍ — للنفس، كانت طريقَ اللِّينِ والدَّعةِ
٢٣ـ وكم زحمتُ طريقَ الموت مُعْترضاً — بالسيف صَلْتاً فأدّاني إلى السَّعةِ
٢٤ـ والجُود يعلم أني منذ عاهَدَني — ما خُنْتُه وقتَ مَيسوري ومَعْسِرتي
٢٥ـ والضّيفُ يعلم أنيَ حينَ يَطرُقُني — ماضي الجَنان، على كَفّي ومقدِرتي
٢٦ـ أهوى هَواه، ويَهوى ما أُسَرُّ به — ينال ما يَشتهي والنفسُ ما اشتهتِ
٢٧ـ ما يرحلُ الضيفُ عني غِبَّ ليلتِه — إلا بزادٍ وتَشْييعٍ ومَعْذرةِ
٢٨ـ قالَ العواذلُ: أودى المالُ، قلت لهم: — ما بين أجرٍ أُلَقّاهُ ومَحْمَدةِ
٢٩ـ أفسدتَ مالَكَ، قلتُ: المالُ يُفْسدني — إذا بَخِلْتُ به، والجُود مَصْلَحتي

---

(٢٣) الصَّلت : السيف المجرَّد من غمده. وفي غير مخطوطة البصائر : (ضيقاً)، وهو تحريف. وفي بعض المصادر : (فأدناني).

(٢٥) الجَنان : القلب. ولعله يريد بالكف : الكَفاف، وهو القوت الذي لا فضل فيه ولا نقص.

(٢٧) في الكامل والكوكب : (... عندي بعد تكرمة — إلا برفد).

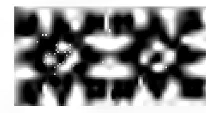
(٢٨) في أكثر المصادر غير مخطوطة البصائر : (وفخرٍ لي) بدل : (أُلقّاه). وفي المحاضرات : نعم.

(٢٩) في غير مخطوطة البصائر : (المال) بدل (الجود)، وهو وهم.

٣٠ـ أرزاقُ ربي لأقوامٍ يُقدِّرها ... من حيثُ شاء ، فيُجرينَّ في هِبتي
٣١ـ فليشكروا الله ، ما شُكري بزائدهم ... وليحمَدوه ، فإنَّ الحمد ذو مِقةِ
٣٢ـ لا تَعرِضنَّ بمزْحٍ لامرئٍ سَفِهٍ : ... ما راضَهُ قلبُه أجراهُ في الشّفَةِ
٣٣ـ فربَّ قافيةٍ بالمَزْح جاريةٍ ... مَشْبوبةٍ ، لم تُرِدْ إنماءها ، نَمتِ
٣٤ـ ردُّ السَّلَى مُستتمّاً بعد قَطْعَته ... كردِّ قافيةٍ مِنْ بعدِ ما مَضَتِ
٣٥ـ إنّي إذا قلتُ بيتاً مات قائلُه ... ومَنْ يُقالُ له ، والبيتُ لم يَمُتِ

في النصف الثاني من حياته

الدكتور عبد الكريم الأشتر



(٣٠) في مخطوطة البصائر : (شيت) بدل (حيث) ، ولعله وهم . وفي غيرها : (ربِّ) و (هبة) ، والمعنى في رواية البصائر أبيْن .
(٣١) المقة : المحبة ، من : ومق . وفي مخطوطة البصائر : (فليشكرو الله) .
(٣٢) في غير مخطوطة البصائر : (طين) أو (فطن) ، ويضطرب بهما معنى البيت . وفي أمالي المرتضى : (الثبت) . وفي مخطوطة البصائر : (لمزح) .
(٣٣) في العمدة : (في محفل) بدل (مشبوبة) ، وفي مخطوطة البصائر : (مشروبة) ، ولعل فيها تحريفاً . وفي غير المحاضرات : (مشؤومة) ، وأغلب الظن أنها محرفة أيضاً . وفي أكثر المصادر غير مخطوطة البصائر : (لم يرد إغاؤها) .
(٣٤) السَّلى : المشيمة ، وهي الجلدة الرقيقة التي يكون فيها الولد . ويكون ذلك للناس والخيل والإبل .

مدرسة سالرنو الطبية

- ١ -

إن ماضي أمتنا العربية زاخر بكنوز العلم غني بجواهر العرفان ، وان أثمن جوهرة في هذه الكنوز « الطب العربي » كان له الأثر الأعظم في الطب عند الغربيين في العصر الوسيط . وقد استمر هذا التأثير حتى القرن الثامن عشر للميلاد . قال « دي فو » : (إن الميراث الذي تركه اليونان في الطب لم يحسن الرومان القيام به ، أما العرب فقد أتقنوه وعملوا على تحسينه وإغنائه حتى سلموه إلى العصور الحديثة) .

وقال « جورج سارطون » : (لو لم تنقل إلينا كنوز الحكمة اليونانية ؛ ولولا إضافات العرب الهامة لتوقف سير المدنية عدة قرون) .

وقالت الدكتورة « زيفرد هونكه » : (إنه لم يكن لأي قوم من الأقوام وفي أية بقعة من بقاع الأرض أطباء أكفياء كما كان عند العرب) .

قلنا إن الطب العربي انتقل إلى الغرب ، ونضيف أنه دلف إليه في انتقاله من ثلاثة طرق هي :

(١) الأندلس . (٢) صقلية . (٣) الحروب الصليبية .

وإن من ثمار هذا الاتصال ـ بين الطب العربي وجامعات الغرب وشعوبه ـ « مدرسة سالرنو الطبية » التي كانت بمثابة نقطة تجمع المعارف الطبية العربية ونقطة انطلاق لها أيضاً ، لأنها شملت مع مرور الزمن معظم جامعات الغرب في العصر الوسيط .

قالت المستشرقة الألمانية الشهيرة « زيفرد هونكه » : (لقد غمرت مدرسة سالرنو ، علوم العرب في التطبيب والمداواة في سيل عرم ..... ثم ما لبث

هذا السيل العرم من علم العَرب أن فاض عن سالرنو وامتد إلى شواطىء أوربة وخلجانها ومدنها فغمرها وأحال الصحراء جنة من نبتات الفكر الوارفة تتفيأ ظلالها الإنسانية جمعاء) .

فللأهمية العظمى التي امتازت بها مدرسة سالرنو الطبية من الوجهة الحضارية والتأريخية وخاصةً من حيث تراثنا العربي الغالي ، واستجابةً للحافز العلمي الذي دفعني للتنقيب عن الأسس التي أقامت عليها هذه المدرسة بنيانها ، وتلبيةً للدوافع القومية الهادفة إلى التعرف على مدى إسهام العرب والعلم العربي في علوم مدرسة سالرنو الطبية في القرون الوسطى ....

أقول من أجل هذه العوامل مجتمعةً أقدمت على كتابة هذا البحث .

مدينة سالرنو Salerno

إن أسلوب البحث العلمي يتطلب منا ـ قبل الخوض في الحديث عن مدرسة سالرنو الطبية ـ أن نتطرق إلى الحديث عن مدينة « سالرنو » التي احتضنت المدرسة المذكورة .

تسمى « سالرنو » بالإفرنسية « سالرن [1] » « Salerne » وباللاتينية « سالرنوم [2] » وأطلق عليها الرومان قديماً اسم « سالرم [3] » « Salerm » .

تقع المدينة في رأس « خليج سالرنو » في البحر المتوسط على بعد (٣٠) ميلاً من مدينة نابولي من جنوب شرقيها ، وتقع على نفس الخليج قرب سالرنو مدينة « إمالفي » وآثار بوستم .

(١) راجع دائرة معارف البستاني (المطبعة الأدبية بيروت سنة ١٨٧٧ م) .
(٢) المصدر السابق نفسه .
(٣) راجع دائرة المعارف البريطانية (ج ١٩ ، ص ٨٧٧) .

فمدرسة سالرنو أقدم مدرسة طبية في أوربة وأوّل جامعة درّست الطب العربي واتبعت طرقه ووسائله العلاجية في الحياة العملية .

بقيت لسالرنو سمعتها ما دامت مدرستها في نمو وازدهار ثم أصاب المدرسة التوقف فزال عنها رونق الشباب ودلفت نحو الكهولة والشيخوخة رويداً رويداً ، ومثل ذلك المدينة . وقد لفظت المدرسة أنفاسها الأخيرة بعد صراع طويل بين الحياة والموت ، وكان إغلاق أبوابها على يد نابليون بونابرت عام ١٨١١ (١) ، أما المدينة فكانت تجاهد بعد أن فقدت مدرستها قيمتها العلمية ، تجاهد من أجل البقاء فركنت إلى التجارة تستمد منها العون ، إلا أن نابولي التي نافستها بجامعتها نافستها كذلك بالمجالات الاقتصادية ، إذ أصبحت نابولي بمينائها من المدن الإيطالية الكبرى ذات التجارة الواسعة ، فسدت بذلك على سالرنو أبواب الرزق ، ومع ذلك بقيت تصارع الأحداث إلى أن قصفتها مدافع الحلفاء بقنابلها في الحرب العالمية الثانية ؛ وهي الآن من مدن إيطاليا الثانوية ، وليس فيها ما تفتخر به من تراث إلا ذكريات مدرستها الطبية وقبر البابا غريغوريوس السابع وما ينسب إليها من اختراع للبوصلة (٢) البحرية .

مدرسة سالرنو الطبية

رأيتُ من أجل الإحاطة بالموضوع من جميع جوانبه إحاطة تامة أن نرجع بالبحث إلى ما قبل تأسيس مدرسة سالرنو ، إلى العصور المظلمة لنرى كيف كانت حالة أوربة من وجهة النظر الثقافية منذ بداية القرن الخامس الميلادي .

(١) راجع دائرة المعارف البريطانية ج ١٩ ، ص ٨٧٧ .

(٢) لقد نُسب اختراع البوصلة لأحد علماء سالرنو ولكن التأريخ الحضاري يؤكد أن العرب هم الذين اخترعوها .

ثقافة الغرب قبل نشوء الجامعات

انطفأ مصباح العلم في أوربة بانقراض الرومان وسقوط امبراطوريتهم عام ٤٧٦ م وغلبة الأمم المتبربرة ، حيث قامت دويلات جرمانية حضارتها متأخرة ذات أنظمة قبلية بدائية ، فساد الجهل أوربة ، وأقفلت المدارس أبوابها فيها ، اللهم إلا بصيص نور خافت كان يومض منبعثاً من كوى بعض الكنائس ، فدعيت هذه الفترة الزمنية من قبل رجال التأريخ « بالعصور المظلمة » .

لقد اصطبغ التعليم في تلك الفترة وانطبع بالطابع الديني ، وعرفت العلوم التي كانت تدرس في مدارس تلك الحقبة من الزمن ـ وهي مدارس كنسية كما قلنا ـ أقول بأنها عرفت باسم « الفنون السبعة الحرة » وهي متكونة من مجموعتين الأولى ثلاثية ، شملت النحو والبلاغة والجدل ، والثانية رباعية ضمت الموسيقى والحساب والهندسة والفلك ، أما الدراسات (١) الدنيوية الحقيقية فقد اقتصرت على فنون الجدل بالخاصة . ولم يكن الطب من بين المواد التي كانت تدرس في مدارس تلك العصور المظلمة .

بقي الجهل والظلام يخيمان على أوربة حتى أصبحت في القرن التاسع تقف على آخر درجة من درجات التأخر الثقافي ، وقد أطلق على هذا العصر « العصر الميروفنجي » . ثم زال عنها شيء من الكابوس الذي كان مخيماً عليها بظهور « شارلمان » حيث بدأت طلائع نهضة عرفت باسم « النهضة الكارولنجية »(٢) شملت الناحية الثقافية إضافة إلى النواحي الأخرى . فقد عمم شارلمان حيث بدأت طلائع نهضة عرفت باسم « النهضة الكارولنجية (٢) » شملت الناحية

(١) راجع Eyre. European civilization vol 3. p. 327

(٢) راجع Cam. med. hist. vol 5. p. 765

الثقافية إضافةً إلى النواحي الأخرى . فقد عمم شارلمان المدارس والمكتبات ، وأحيا الدراسات الدينية والدنيوية والمخطوطات القديمة . وانتشر الطب العربي في عهده كذلك ، فقد ذهب آنذاك إلى أوربة بعض اليهود الذين تعلموا في المدارس العربية ودرسوا « الطب العربي » فانتخب شارلمان منهم رجلاً يقال له اسحق وأرسله إلى الرشيد مصحوباً ببعض الهدايا ؛ وبعد أربع سنين عاد اسحق مع ثلاثة من رجال الرشيد ومعهم[1] الهدايا ، ومنذ ذلك الحين بدأت أوربة تستنير بالثقافة العربية في شتى المجالات وخاصةً الطب . وفي عهد شارلمان برزت مدارس الأديرة بتشجيعه ومعاونة رجال الدين فأصبح لكل دير مدرستان إحداهما لأهل الدير من رجال الكهنوت والأخرى لأهالي المدينة وما يجاورها . ثم ساد أوربة الظلام ثانيةً بعد موت شارلمان عام ٨١٤ م واستمر حتى نهاية القرن العاشر تقريباً . وفي هذه الفترة قامت الأديرة « البندكتية » بعملية نشر الثقافة والتعليم فسمي هذا العصر « العصر البندكتي » . وفي أحد هذه الأديرة ترجم قسطنطين الافريقي كتب الطب العربي إلى اللاتينية كما سنرى .

ثم جاء القرن الحادي عشر وتلاه القرن الثاني عشر اللذان يمثلان في حقيقة الأمر عصر ثورة شاملة في مرافق الحياة الأوربية وخاصةً من الناحية الثقافية والفكرية حيث اشتد الاتصال الفكري بين غرب أوربة والحضارة الإسلامية ، فتدفقت العلوم العربية وعلوم اليونان المترجمة إلى العربية على أوربة ، وأقبل الأوربيون بينهم على هذه العلوم الجديدة .

فاذا صح إطلاق تسمية « العصور المظلمة » على الشطر الأول من القرون الوسطى فان الشطر الأخير من تلك القرون أي ـ القرن الحادي عشر فصاعداً ـ

(١) « راجع تاريخ الدولة العباسية للخضري ص ١٢٣ » .

لا يصح أن تشمله تلك التسمية ، لأنه بداية عصر النور والنهضة . هذا وقد رأى بعض الكتاب أن يطلقوا اسم العصور الوسطى على المدة الواقعة بين القرنين الحادي عشر (٣) والخامس عشر للميلاد .

نشوء الجامعات في الغرب

رأينا كيف اتسع نطاق المعرفة في أوربة وكيف اشتد الإقبال على العلم منذ القرن الحادي عشر بحيث لم تعد المدارس القديمة تفي بالغرض من نشر الثقافة الواسعة وبث الروح العلمية الجديدة . لذلك تجمعت العوامل التي تدعو إلى مولد الجامعات . فولدت بعض الجامعات التي ما لبثت أن نمت وازدهرت ونضجت ثمارها فنشرت علومها ومعارفها في بقاع أخرى فتأسست نتيجةً لذلك الجامعات الجديدة ، وهكذا استوقدت جامعات الغرب مصابيحها الواحدة من الأخرى في القرون الوسطى ، واستوقدت أقدم جامعة منها نورها ـ نسبة لعلوم الطب خاصةً ـ من نور العرب كما سنرى .

قلنا بأن أوربة شهدت مولد الجامعات وذلك في مستهل القرن الثالث عشر ، إلا أن لفظ جامعة (Universitas) الذي انتشر في القرون الوسطى لم يكن ليدل على ما نعرف الآن لهذا اللفظ من مدلول : فكان يدل في العصر الوسيط على « النقابة » أو « الرابطة » ؛ وقد أطلق على نقابات العمال وغيرها من نقابات . ثم تطور مدلول اللفظ في القرن الثاني عشر وبداية الثالث عشر حتى أصبح يدل على اتحادات المشتغلين بالعلم والتعليم من الطلاب والأساتذة . وأطلق في القرون الوسطى على ما نسميه اليوم باسم جامعة « المدرسة العامة »

(١) راجع Haskins (the renaissance of the twilfth century) . p. 368

Studium generale بمعنى « المكان الذي يستقبل طلاب العلم » . وقد أصبح لفظ « مدرسة عامة » يعبر عن « الجامعة » في معناها الحديث شائعاً عند مستهل القرن الثالث عشر : ووجدت في هذه الفترة الزمنية ثلاثة مراكز علميـــة واسعة في أوربة . الأولى كانت في باريس واشتهرت باللاهوت والآداب . والثانية في بولونيا بايطاليا واشتهرت بالقانون ، والثالثة في سالرنو واشتهرت (٦) بالطب .

والذي يعنينا من هذه الجامعات الثلاث « باريس ، بولونيا ، سالرنو » إنما هي جامعة سالرنو .

يتبع : (الموصل) الدكتور فيصل دبدوب



(١) راجع Rashdal Vol, 1. p. 7

طرر على معجم الأدباء

أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت

طبعة الأستاذ مرجليوث سنة ١٩٠٧ م

— ٣ —

(المجلد الأول)

٢٠٦ : ٩ خالفها في بيت نُوْب وقد خرّجنا الكلمة السمط ٩٩ ، (٣ : ١٩٨ / ١٠) .

٢٠٦ : ١١ الصواب من الرسائل : (فاذا كان صائماً أفطر على شيء) . (٣ : ١٩٨ / ١٢) .

٢٠٧ : ح (١) حُكْمَها .

٢٠٧ : ١٦ البيت لصالح بن عبد القدوس السمط ١٠٥ ، (٣ : ٢٠١ / ٤)

٢٠٧ : ١٨ الصواب : يُضيف أولاد ، الرسائل ، (٣ : ٢٠١ / ٧) .

٢٠٨ : ٨ ثعلبة بن صُعَير المازني وكلمته مفضلية رقم ٢٤ ص ٢٦٢ . هيتر هاتر الكلام القبيح ، (٣ : ٢٠٨ / ٩) .

٢٠٨ : ١٠ الصواب : لُدِّ ظُأرتُهم على . ظأرتهم عطفتهم . (٣ : ٢٠٢ / ٥) .

٢٠٨ : ١٥ الرسائل : متناكر مؤثر . . . . جاه . . . . عنه باسترسال . وهو الصواب ، (٣ : ٢٠٣ / ١) .

٢٠٩ : ١ الرسائل : أخذا منه للدنيا ، (٢ : ٢٠٣ / ٦) .

٢٠٩ : ٤ الصواب : أو صادفت نهلا أو علاً منهاء (٣ : ٢٠٣ / ١١) .

٢٠٩ : ١١ الرسائل : ينبعث لأن يعلم أن هذه الخ ، (٣ : ٢٠٤ / ٧) .

٢٠٩ : ١٥ الصواب : وفي أمره متبلبلين كما في الرسائل ، (٣: ٢٠٤/١٣) .

٢٠٩ : ١٩ الصواب : من التقيّة ، (٣ : ٢٠٥ / ٣) .

٢١٠ : ٣ الرسائل : كل ناطق وناطق من ذروة جبل من العلم ، (٣ : ٢٠٥ / ٨) .

٢١٠ : ٧ الرسائل : من صفير وهو الصواب .

٢١٠ : ١٢ الصواب : من وعثاء السفر . الرسائل (٣ : ٢٠٦ / ٥) .

٢١١ : ١٧ الرسائل : الذين ذكرتهم هربت إليك وتطاوحت عليك ، (٣ : ٢٠٧ / ١) .

٢١٣ : ٥ النُّصْبة المعمود ، (٣ : ٢١٠ / ١٥) .

٢١٣ : ١١ الصواب : أن يشغل سِرّه ، (٣ : ٢١١ / ١٠) .

٢١٤ : ٣ الصواب : (فما كانت إلاّ شُحّاً بالمعاني) الرسائل .

٢١٤ : ٤ الصواب : بمصنّفاته . الرسائل ، ٣ : ٢١٢ / ١٣ .

٢١٤ : ١٨ الصواب : بَرْداً وطولا .

٢١٥ : ١ نقل القفطي هذا الخبر في إنباه الرواة له قال والنسخة كانت بخط ابن وداع [صاحب ثعلب] وهذه الطبعة من الديوان برواية ثعلب ، (٣ : ٢١٤ / ٧) .

٢١٥ : ٢ الصواب : في سنة ٨٩ كما في الإنباء ، (٣ : ٢١٤ / ٨) .

٢١٥ : ١٨ سياقة أبي غالب تساوق سياقة المعري نفسه في اللزوم ١: ٢٨٩ (كتابي ٢٤٠) :

أتت جامع يوم العروبة جامعا تقصّ على الشهّاد بالمصر أمرها

الخ (٣ : ٢١٦ / ٣) .

٢١٦ : ١ الماخور (معرب مَيْخُور شارب الخمر فارسيّة) مجمع الفسّاق والمعربدين .

٢١٦ : ١٩ لعله غَزْوان ، (٣ : ٢١٨ / ٤)

٢١٧ : ١ الصواب : من الطلبة بشَنْتَمَرِيَّة ، (٣ : ٢١٨ / ٥) .

٢١٧ : ٢ الصواب : لعمرو به . وعمرو بن عثمان : سيبويه ، (٣ : ٢١٨ / ٦) .

٢١٧ : ١٢ له ترجمة في البغية ١٤٠ .

٢١٨ : ١ انظر مطمح الأنفس الجوائب ١٦ النفح مصر ١ : ١٧٧ ، (٣ : ٢٢٠ / ٧) .

٢١٨ : ١١ أبو محمد . هو ابن حزم في رسالته في مفاخر الأندلسيين (النفح مصر ٢ : ١٣٥) وفيه : (يكاد ينطق بلسان الخ) ، (٣ : ٢٢٢ / ٦و٤)

٢١٨ : الصواب : يُنَبِّهُني .

٢١٩ : ٢ البيتان في المطمح وفيه كَلِفْتُ بالحُبّ ، (٣ : ٢٢٣/٤) .

٢١٩ : ٩ النفه . لعله الثقة ، (٣ : ٢٢٥ / ٣) .

٢٢٠ : ٦ الخطيب رقم ٢٠٠٩ ، (٣ : ٢٢٦ / ١) .

٢٢٠ : ١٠ الصواب : جزيت وفائي ، (٣ : ٢٢٦ / ٧) .

٢٢٠ : ١٥ الطوال كالغراب محمد بن أحمد صاحب الكسائي توفي سنة ٢٤٣ هـ ، (٣ : ٢٢٩ / ٢) .

٢٢١ : ٤ ترجمة الخطيب ١٩٩٩ وتهذيب التهذيب ج ١ رقم ١٠٣ ، (٣ : ٢٢٨ / ١) .

٢٢١ : ١٢ هذا المجلس رأيته في مجالس أبي مسلم نسختي البهار وكوپريولي

ونسختي ص ٣٣ عن الأدباء في الأشباه ٣: ٢٣٥ وفيها (ارتفع بال بانما) وهو الصواب ، (٣: ٢٢٨ / ١٣) .

٢٢٢ : ٤ الصواب : ما لا ولم ، (٣: ٢٢٩ / ١٤) .

٢٢٣ : ١٧ الخطيب رقم ١٩٨٣ لسان الميزان ج ١ رقم ٦٨١ ، (٣ : ٢٣٢ / ١٢) .

٢٢٥ : ح ١ ليس عند الخطيب غير البيتين الاولين .

٢٢٥ : ٧ ديوانه ١ : ٢٢٥ وهي الطبعة التي كنى عنها المصحح بقوله (طبعت ولم تنشر) .

٢٢٦ : ١٧ الصواب : من الإقتار ، (٣: ٢٣٩ / ٥) .

٢٢٧ : ١ الأبيات لا تتزن كما ترى .

٢٢٧ : ١٧ الصواب : عبد الله بن معاوية الجعفري . لا غير . ذيل اللآلي ٥٥ ، (٣ : ٢٤٠ / ١٥) .

٢٢٧ : ١٨ الصواب : أبو عبد الله ، (٣: ٢٤١ / ١) .

٢٢٨ : ٤ الصواب : أنت تَفَضَّلُ (٣: ٢٤١ / ٩) .

٢٢٨ : ١٢ الصواب : والفضل النزير .

٢٢٨ : ١٨ تاريخ دمشق . لا يوجد في هذا المختار المطبوع منه ، (٣ : ٢٤٣ / ٢) .

٢٢٩ : ٣ لعل الصواب : عبد الله بن الجَبَّان لصانع الجُبُن ، (٣ : ٢٤٣ / ٩) .

٢٣٢ : ١٤ كذا (في تلك إلى الفضائل من كل (ولا يخلو من خلل ، (٣: ٢٥١ / ٢) .

٢٣٣ : ١٦ الصواب : فاغدوا .

٢٣٣ : ١٧ ترجم له الخطيب ٢١٢٥ قال وتوفي سنة ٤٠٥ هـ والنزهة ٢٣٣ وكناه أبا الحسين ولعله تصحيف قال وتوفي سنة ٤٥٠ في خلافة القائم وفي المنتظم ج ٧ رقم ٤١٢ ، (٣ : ٢٥٤ / ٥) .

٢٣٥ : ١١ البيت في العيون الدار ١ : ٨٧ (٣ : ٢٥٧ / ٩) .

٢٣٦ : ٢ البيت لأبي خراش الهذلي وانظر السمط ٨٧ و ٦٠١ ، (٣ : ٢٥٨ / ٧) .

٢٣٦ : ١٢ الصواب : لا يرقا له .

٢٣٦ : ١٦ الصواب : عن ساكني الدار ، (٣ : ٢٥٩ / ١٤) .

٢٣٧ : ١ الصواب : بالجبل منكِ ، (٣ : ٢٦٠ / ٧) .

٢٤١ : ١ الصواب : الصبائي .

٢٤١ : ١١ أبو القاسم هو ابن عساكر ١ : ٤١٠ ، (٣ : ٢٧٠ / ٧) .

٢٤٤ : ١٦ لعل الصواب يباهي ، (٤ : ١١ / ٦) .

٢٤٤ : ١٧ الصواب : أغرْ له .

٢٤٤ : ١٩ الصواب : في الإفراج عما .

٢٤٥ : ٣ الصواب : مَنْ جُنَّ من حبّكم .

٢٤٥ : ٥ فيه إلى أبي سعيد الصوفي شيخ الشيوخ ، (٤ : ١٧ / ٢) .

٢٤٧ : ٦ ابن عساكر ١ : ٣٩٨ . وطُرثيث أو طُرَيْثيث قرية في رستاق نيسابور وهي في الأصل طُرشيز والطُرثيثي هذا هو أبو بكر أحمد ابن علي المسند الصوفي ويقال له ابن زهراء أيضاً فلا منافاة بين ما في الوفيات وبين ما هنا وله ترجمة في الشافعية ٣ : ١٦ ، (٤ : ١٧ / ٣) .

٢٤٨ : ١٨ الأسماء المبهمة منه نسخة سنة ٥٨٦ بالكتبخانة السعيدية بحيدر آباد وأخرى بالفيضيّة استنبول سنة ٥٧٦ هـ في ٢٠٢ ق برقم ٤٩٧ . ومن المتفق والمفترق العاشر في الفيضية ١٥١٥ في ١٨٣ ق (٤ : ٢٠ / ١٠) .

٢٤٩ : ١٠ الصواب : نُعيم بن حمّاد ، (٤ : ٢٢ / ٢) :

٢٥٠ : ٩ المنتظم ٨ : ٢٦٧ وفيه ب ٣ يوماً قيادي وهو الصواب ، (٤ : ٢٣ / ٣) .

٢٥١ : ٢ الأصل يشوي باغيته أي طالبه والمعنى واللفظ من المتنبي :

أطلب العزّ في لظى وذر الذُ ـلّ ولو كان في جنان الخلود

(٤ : ٢٥ / ١) .

٤٥٢ : ٤ الصواب رأبي .

٤٥٢ : ٨ قوله يعزها . لعله والله أعلم يغيّرها يخرجها للناس بل الأقرب يُعيِّرها من العاريّة ، (٤ : ٢٧ / ٨) .

٢٥٥ : ١٥ طبقات الشافعية ٣ : ١٣ في ترجمته :

يراها إذ رواها من حواها رياضاً للفتى اليقظ اللبيب

(٤ : ٣٤ / ١) .

٢٥٩ : ٨ الصواب : من غاوٍ كابن عساكر .

٢٥٩ : ٩ الصواب : مخلصاً كابن عساكر .

٢٥٩ : ١٠ الصواب : وقام في الناس ، (٤ : ٤٣ / ١١) .

٢٦٠ : ٨ ترجمنا لابراهيم الصولي بأول ديوانه (في الطرائف الأدبية مصر سنة ١٩٣٧ م) ، (١ : ١٦٤ / ٩) .

٢٦٢ : ١٣ الصواب : ولـّج .

٢٦٤ : ١٤ الصواب : أنْ يَلْتَقَوْه كما في الأغاني ، (١ : ١٧٣ / ٨) .

٢٦٥ : ٤ الصواب : أفرّق ، (١ : ١٧٤ / ٦) .

٢٦٦ : ١٨ مُذْ لَدُ . لغة في لَدُنْ ، (١ : ١٧٧ / ١٢) .

٢٦٨ : ٦ الديوان رقم ٩٢ فمن دونها ... ومن دونها . المرتضى ٢ : ١٦١ كما هنا ، (١ : ١٨٠ / ٦) .

(يتبع) عبد العزيز الميمني

أغلاط المنجد

‒٣‒

وفي ص ٣٦٦ يقول « غانم أبو سمرا ولد في بطاسين ، جندي لبناني خدم في جيش الأمير بشير الشهابي » . ورأيتني أفكر ملياً لأدرك الحكمة من ذكره من غير أن يذكر له ميزة أو ينسب إليه حادثة ما على حين نراه أغفل ذكر الكثيرين من الأعلام الفحول .

وفي ص ٣٧١ يقول عند ذكر غطفان « اسم قبيلتي جزام وقيس عيلان ، قاتلوا محمداً في قرقرة القمر ثم في وقعة الخندق . الخ

وفي هذا النص العجب العجاب من الأخطاء والتلفيق . وتفنيد ذلك ، أن غطفان قبيلة مستقلة باسمها وهي حي من قيس عيلان . وقد انتسب لقيس عدة قبائل ، وهي عدنانية ، وأما جـذام « بضم الجيم ثم ذال » لا جزام بالزاي ، فهي من اليمن أي قحطانية . وتزعم نسابة مضر أنهم من معد . وأما قوله قرقرة القمر فليس في ما بين أيدي الناس من مصادر موثوقة أو ضعيفة تقول ذلك إلا في هذه الرواية المفتراة ، فقد تَعمّد مسخ الكدر وبدلت بالقمر ، والكدر غزوة معروفة من غزوات النبي ﷺ ، فقد بلغه بعد غزوة بدر الكبرى ، اجتماع سُلَيْم وغَطَفان ، فلم يقم في المدينة إلا سبع ليال ، وخرج أول شوال من السنة الثانية للهجرة يريدهم فبلغ ماءً من مياههم يقال له الكُدْر « بضم الكاف وسكون الراء » وأقام بديارهم في نجـد نحو شهر ولم يلق كيداً ، وفي حديث عمر ، كنت زميله في غزوة قرقرة الكدر ، وتسمى كذلك غزة ذي أَمَرَ « بفتح أوله وثانيه » .

وفي ص ٣٦١ يقول « عنزي قبيلة منهم ينتمون الى خزاعة ومنهم إلى غسان يقيمون صيفهم في صحراء سوريا » أولاً قوله عنزي خطأ والصواب عنزة ثم قوله سوريا خطأ والصواب سورية ، ويبقى قوله ينتمون إلى خزاعة خطأ فاحش وذلك أن خزاعة من الأزد ، وسميت خزاعة لأنهم لما ساروا مع قومهم من مأرب فانتهوا إلى مكة تخزعوا عنهم أي تخلفوا في مسيرهم ، وسار الآخرون إلى الشام ، وأما غسان فهم كذلك من الأزد تعاقدوا مع بعض أهلهم على ماء يسمى « غسان » فتسموا به وكلتا القبيلتين ، خزاعة وغسان ، قحطانية يمانية ، ولا قرابة بينها وبين عنزة ، وأما عنزة فهو أبو حي من ربيعة ، وهو عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، وهي قبيلة عدنانية ، ولا اختلاف في هذين النسبين .

والقبائل التي تنسب إلى عنزة اليوم في سورية ، هم الروالة ، والبطينات والحسنة والفدعان والخرصة والأسبعة والعمارات .

وفي ص ٣٨٣ عند ذكر فدك ، قال « كان سكانها من اليهود ، أرسل النبي علياً لمحاربتهم ، تحريف وتشويه ، وذلك أن أمر فدك هو غزوة خيبر ذاتها ، « راجع التصويب في الرقم ١٨٣ » وقد بلغ يهود فدك ما وقع بأهل خيبر فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يصالحونه على النصف من فدك فقدمت عليه رسلهم بخيبر ، وقيل بالطريق ، وقيل بعدما قدم المدينة ، فقبل ذلك منهم ، فكانت فدك لرسول الله خالصة ، لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب .

وفي ص ٣٩٤ عند ذكر فوقا يقول « الملسوعون بالحيات يزورون كنيسته في انطاكيا فيشفون » . وفي هذا البيان عدة أخطاء أولاً ، اللسع لما ضرب بمؤخره ، واللدغ لما كان بالفم ، وعند ذكره كليوبترة في الصفحة ٤٢٠ قال عرضت نفسها للزعة حية ، كذلك خطأ والصواب للدغة حية ، والملذع حرقة النار وقيل مس النار وحدتها وقوله انطاكيا خطأ والصواب انطاكية .

وفي ص ٤١٥ عند ذكر قريزان فاطمة قال « شيخة الخانقتين العادلية والزجاجية انتهت إليها رئاسة أهل زمانها بحلب » . وما نعلم مدرسة بحلب أو بغيرها تسمى خانقة ، والصحيح خانقاه ، وكان الصواب أن يقول الخانقاهين ، والخانقاه تعني مكاناً أو مقراً ينقطع فيه أهله للعبادة والدرس ، وقد نقلها مؤلف المنجد عن أعلام الزركلي الذي أثبتها خطأ .

ومما يوجب الأسف أننا نجد مؤلف المنجد استمان بنقل الكثير الكثير من أعلام الزركلي ، ولا ينوه بذكره أو بكتابه الأعلام ، مثلما نقل في قسم اللغة الكثير الكثير من معجم الألفاظ الزراعية دون ذكر مؤلفه الأمير مصطفى الشهابي .

وفي ص ٤٣٩ يقول ، « الكمكة بن عمرو بن مالك التميمي من مشاهير قواد العرب . . . الخ وأسهرني التفتيش عن هذا العلم ، وفطنت بعد ذلك إلى البحث في الموسوعة الفرنجية . وإذا بي اجتمع إليه فيها وهو el kaka وإذا بسقم الترجمة مسخ القعقاع فكعكه المترجم وجعله الكمكة !!

وفي ص ٤٤٣ عند ذكر كليبر ، قال قتله أمين الحلبي ، خطأ والصواب ، سليمان الحلبي ابن محمد أمين .

وفي ص ٤٦٦ يقول ، « أبو لؤلؤة المجوسي من أهل نهاوند كان نقاشاً نجاراً حداداً شكا إلى عمر ثقل الخراج فنقم عليه الخليفة فقتله أبو لؤلؤة في المسجد ثم انتحر » . وفي هذا النص كثير من التجني على الحقيقة التاريخية ، فأبو لؤلؤة هذا ما كان مجوسياً بل كان نصرانياً ، وذلك برواية أوثق المؤرخين الطبري ج ٥ ص ١٣ . وقوله نقم عليه الخليفة ، وما نعلم مصدراً أو مرجعاً من المراجع التاريخية قال بهذا الافتراء . ولماذا ينقم الخليفة عليه وقد كان بوسعه أن يشفي نفسه منه بكلمة أو بإشارة حين تهدده أبو لؤلؤة

علناً بقوله : لأعملن لك رحى يتحدث بهـا من في الشرق والغرب ، أو هل ينقم عمر وهو بعد أن أدخل داره وهو ينزف وجعل الناس يدخلون عليه أفواجاً فيسألهم أعن ملأٍ منهم كان هذا ؟ فيقولون معاذ الله فيحمد الله على ذلك . لقد حيكت مؤامرة اغتيال عمر رضي الله عنه بتدبير كعب الأحبار اليهودي وأبي لؤلؤة وجفينة الأنباري النصرانيين والهرمزان المجوسي، لقد كان من واجب مؤلف المنجد أن يرجع إلى الطبري ، أو إلى تاريخ الخلفاء الراشدين للأستاذ عبد الوهاب النجار من المؤرخين الثقـاة ، وقد عالج موضوع مقتل عمر بإسهاب ..

وفي ص ٤٧٥ يقول « يحيى بن مبارك بن المعرة المقري المدوي اليزيدي » ، وبهذا البيان عدة أخطاء أولها الاسم وهو يحيى بن المبارك ويكنى أبا محمد ، ثم ابن المعرة خطأ والصواب المغيرة ، ثم المقري بفتح الميم خطـأ ، وهذا يعني المقروء أي ما قُرِئ والصواب بضم الميم ، ثم المدوي بفتح العين وسكون الدال خطأ والصواب بفتحها .

وفي ص ٤٩١ عند ذكر المرار بن سعيد قال « شاعر الدولة الأموية وكان لصاً » . وقد بحثنا عن ذلك في أغلب المظان فلم نقع على شيء مما رواه ، اللهم إلا أنه كان لصاً وكان شاعراً ولكنه لم يتصل بأحد من الأمويين . وقد ترجمه صاحب الأغاني ، وهو أموي صلبية ، فقال في ج ٩ ص ١٥١ من الأغاني : إنه من مخضرمي الدولتين . وقيل لم يدرك الدولة العباسية . ولقد يحار المرء كيف يقدم مؤلف كتـاب ، أي كتاب ، على وضع رواية مثل هذه فيهب لصاً لقب شاعر الدولة الأموية وقد حفل عصرها بفحول الشعراء كالفرزدق وجرير والأخطل والراعي و . . . الخ

وفي ص ٤٩٢ يقول « مرواس بن ودية » خطآن والصواب حرداس ابن ادية ، وهو أول من نادى يوم صفين لا حكم إلا الله وانسحب مع أخيه .

وفي ص ٥٠٧ عند ذكر المقتدر بالله يقول ، « قرمط البحرين نقلوا الى الحسا الحجرة السوداء في الكعبة » . فقوله قرمط خطأ والصواب القرامطة أو قرامطة البحرين . وقوله الحسا خطأ والصواب الأحساء . وقوله الحجرة السوداء خطأ والصواب الحجر الأسود أو الأسعد .

وفي ص ٥٥٤ يقول « هنانو » بكسر أوله ، خطأ والصواب بفتحها ، ثم يقول « من زعماء الحركة الوطنية السورية توفي في حلب ١٩٣٥ ودفن بالقرب من قبر المجاهد المجهول » . وفي هذا النص تجن على حقيقة الواقع ، وذلك ان المدفن قد انشىء خصيصاً لإبراهيم هنانو ، وقد دفن إلى جانبه سعد الله الجابري ، وأما قبر المجاهد المجهول فلا يزال ينتظر من يحل به من المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه .

هذا إلى أن المؤلف أغفل ذكر الثورة التي أعلنها وقادها إبراهيم هنانو بينما نجده في الصفحة ١٢١ عند ذكر الثورات يقول ، ثورة الميظرة وهي قرية في لبنان وثورة مكاريوس شاهين ، ثم لا يذكر ثورة سورية الكبرى ولا ثورات العراق وفلسطين ، ولا يأتي كذلك على ذكر ثورة الريف والأمير عبد الكريم الخطابي ولا عمر المختار بثورته بوجه الطليان وغيرها من الثورات التي قامت في وجه المستعمرين والتي هلك بسبيل التحرر فيها آلاف مؤلفة من العرب . . .

وفي ص ٥٨٦ يقول عند ذكر كاظم محمد « عالمجير نامه » ، خطأ والصواب عالمكير وتلفظ الكاف هنا فارسية . وقد وقعت أغلاط كثيرة في ضبط بعض الأعلام الفارسية والتركية مثل قوله جوق ألب وحقها أن تكتب كوك geuk ومعناها السماء وألب معناها القوي أو القوة . ومثل قوله غلبذن بيغم ، وحقها أن تكتب كول « gul » بدله ، ومعناها الجسم الوردي ، ثم يقيم بضم الغين خطأ والصواب بفتحها ومعناها من يأتيه الخبر من الغيب ، أي الموحى إليه .

ومثل كجحي وحقها أن تكتب كچهجي الجيم الأولى فارسية بثلاث نقاط « tch » ولا يجوز الوصل بين الجيمين ، ومعناها اللبادي وما إلى ذلك من الأعلام الكثيرة التي أضاع سقم الترجمة معناها .

وختاماً لهذه الدفعة ، من التنبيه والتصحيح وددت أن يطلع القارئ على المسخ والتشويه الذي نشأ عن سوء الترجمة والنقل مما أورده المؤلف في بعض الخرائط الجغرافية من الأعلام ولا سيما خريطة جزيرة العرب في ص ٣٤٤ :

قال سباع ، خطأ والصواب السبعة أو الأسبعة بكسر الهمزة . (قبيلة)

وقال عنزي ، خطأ والصواب عنزة .

وقال رويلة ، خطأ والصواب رُوَلَه أو اروالا .

وقال حتيم ، خطأ والصواب هيتم .

وقال حوشبي ، خطأ والصواب حواشب أو الحواشب .

وقال عولقي ، خطأ والصواب عوالق أو العوالق .

وقال أهل مرة ، خطأ والصواب آل مرة .

وقال حمدان ، خطأ والصواب همدان بسكون الميم قبيلة يمانية .

وقال الديلم ، خطأ والصواب الدُلَيْم ، على التصغير .

وقال أبو طبي ، خطأ والصواب أبو ظبي بالظاء المعجمة .

وقال بوشهر ، خطأ والصواب بوشير .

وقال الصبية ، خطأ والصواب صبية .

وقال مناح ، خطأ والصواب مناخ .

وقال سحار ، خطأ والصواب صحار بفتح أوله .

وقال شيبانم ، خطأ والصواب شبام بفتح أوله .

وقال تربة ، خطأ والصواب طربة .

وقال جبل سمر ، خطأ والصواب جبل شمر بفتح أوله وثانيه المضعف .

وفي خريطة العراق :

يقول هور الحمار ، خطأ والصواب خور بفتح ثم سكون وهكذا جميع الخورانات أو الخوارين الواردة في الخريطة . والخور مثل الغور : المتخفض المطمئن من الأرض بين النشزتين .

وقال الرمادية ، خطأ والصواب الرمادي .

وقال في خريطة سورية : عين ديدار ، خطأ والصواب عين ديوار .

وقال القامشلية ، خطأ والصواب القامشلي .

وقال نهر بليخ ، خطأ والصواب البليخ .

وقال نهر ساجور ، خطأ والصواب الساجور .

وقال بحيرة عموق ، خطأ والصواب العمق بسكون الميم .

وقال الشيباء ، خطأ والصواب شهبا بلا تعريف ولا مد ، وهي غير حلب الشهباء بل هي بلدة في حوران .

منير العمادي



التعريف والنقد

رسوم دار الخلافة

ألفه أبو الحسين هلال ابن المحسن الصابئ

وعني الأستاذ ميخائيل عواد بتحقيقه والتعليق عليه ونشره

جمع هذا الكتاب ، كل ما يتعلق بدار الخلافة ، من آداب الخدمة ، وقوانين الحجابة ، ومسايرة الخلفـــاء ، في مواكبهم ومجالسهم وملابسهم ومكاتباتهم وألقابهم ، وسائر عاداتهم وحالاتهم .

ومن رجع إلى هذا الكتاب ، رأى فيه صورة صادقة للعهد العباسي ، من حضارة رائعة ، إلى آداب اجتماعية ، وتقاليد مرعية ، كان يعد الخروج عنها والمخالفة لها ، خفة وسوء أدب ، قد يجرّان إلى معاقبة بالطرد من المجالس أحياناً ، وبالضرب والسجن أحياناً أخرى .

فمن تلك الآداب والعادات . أنه :

« ليس للوزير ، ولا حاضر في مجلس أمير المؤمنين ، أن يذكر شيئاً إلا ما يُسأل عنه . أو يورد قولاً في أخبار أو مطالعة إلا ما استأذن فيه . وسبيله أن يخفض صوته في حديثه ومحاورته ، ولا يرفعه إلا بمقدار السماع الذي لا يحتاج معه إلى استفهام أو استعادة ... »

ومن ذلك :

« أن يقل الالتفات إلى جانبيه ووراءه ، والتحريك ليده أو شيء من أعضائه . أو رفع رجل للاستراحة عند إعيائه . وأن يغض طرفه عن

كل مرأى إلا شخص الخليفة وحده ... وأن لا يُسارَّ أحداً في مجلسه ولا يشير إليه بيده ولا عينيه . ولا يقرأ رقعة ولا كتاباً يُوصلان إليه بين يديه ، إلا ما احتاج إلى قراءته عليه . وأن يجعل وقوفه في موضع رتبته ، اللهم إلا أن يدعوه الخليفة إلى سر ... وإذا خرج جعل خروجه تراجعاً إلى ورائه لئلا يوليه ظهره ... » .

إلى كثير من هذه الآداب ، التي عرفنا كثيراً منها في مطلع هذا القرن ؛ وفي مجالس كبراء ، هم دون الخلفاء بمراحل ، ولكنها كانت آدابنا في ذلك العصر .

ومن ذلك : ما حدث به جعفر ابن ورقاء الشيباني . قال :

« كنت في أيام المعتضد ، مع نظرائي من أولاد الأمراء والقواد ، مرسومين في القيام في الدار ... وكنا نجتمع في حجرة نستريح فيها بعد انقضاء الخدمة ، وانصراف الموكب . فننزع خِفافنا ونضع عمائمنا عن رؤوسنا ، ونلعب بالشطرنج والنّرد . فاطلع علينا أحد أصحاب الأخبار في الدار . فكتب بخبرنا إلى المعتضد بالله — ونحن لا نعلم — فلم يبعد أن خرج خادم صغير السن ، من خواص الخدم ، وفي يده الفصل المرفوع في أمرنا ، وعلى ظهره توقيع بخط المعتضد حكايته « يستصفحون وما لهم من صافح » فسلمه إلى خفيف الحاجب . وصنع الله لي أن لم يكن ذلك في يوم نوبتي . فحين وقف على الفصل والتوقيع ، انزعج ، ونهض . واستدعى من كان في النوبة ، فضرب كل واحد منهم عدة مقارع . فما رؤي بعد ذلك إلا لازمٌ للتوفر على الخدمة ، متجنِّبٌ للتبذل .

ومن هذا :

« أن محمد بن عمر بن يحيى العلوي ، دخل دار المطيع في جماعة من رجال الدولة وكلهم بالسواد ، سوى محمد ، فإنه كان ببياض . فخرج إليهم

مؤنس الحاجب وقال لمحمد ـ : ليس هذا اللباس ـ أيها الشريف ـ لباس الدار ؛ ولا حضورك حضور من يريد الوصول .

قال محمد : كأنك أنكرت البياض ؟؟ .

قال : نعم !

قال : هذا زيي وزي آبائي .

قال : والأمر على هذا ، ولا رأيت أحداً من أسلافك دخل هذه الدار إلا بالسواد . ولقد حضر عمر بن يحيى : أبوك عندك في أيام المطيع لله . . . وهو بسواد أسود .

قال : ما معنى سواد أسود ؟

قال : سواد مصبوغ . وانني لأذكره ، وقد عرق ، والسواد يجري على جبينه وهو يمسحه .

قال محمد بن عمر : فما الذي تريده أيها الحاجب ؟

قال : أن تغير هذه اللبسة ، وتفعل ما جرت به العادة !

قال : أو أنصرف ؟

قال : الاختيار إليك .

وقام محمد بن عمر ونزل إلى زبزبه وانصرف إلى داره .»(١) .

وأسوأ من هذا وأوجع منه :

«أن دخل ابن أبي الشوارب القاضي ـ وكان من جلة القضاة ـ وممن يرجع بنسبه إلى بني أمية ـ دارَ المطيع ، بخف أحمر ـ والأحمر كان لباس الخليفة ، والخوارج عن الطاعة ـ ورآه الشرابي الحاجب . فقال له : تأتي خليفة آبائك في العنـــاد والمباينة ؟ يا غلام ! أنزع خفه وأعلُ به

(١) وهذا شبيه بما يلبسه الناس في أيامنا هذه في الحفلات الرسمية من الدنيّات (البزانيط) الطويلات ، والسترات المترسلات . ممـا كان يدعو إلى الضحك والهزء ، لو لم تحكم العادة والأصول . . !

رأسه ... وعرف المطيع لله ذلك فلم ينكره . وانصرف ابن أبي الشوارب إلى داره ، فاحتجب فيها ولم يخرج منها حياءً وكمداً . وكانت وفاته عقب هذه القصة . » .

هذه لمحات وجيزة من « رسوم دار الخلافة » وقد افتتح ناشر الكتاب الأستاذ العواد كتابه بكلمة في « الصابئة » : قوم المؤلف ، ثم بترجمته : مولده ونشأته . ثم إسلامه وذكر تصانيفه .

كما اختتم الكتاب بمجموعة من الفهارس : أسماء الأشخاص ، وأسماء الأمم والقبائل والجماعات والملل والنحل ففهرس للأمكنة والبقاع ، وآخر للحضارة والعمران ، وإذا كانت الفهارس تحيي الكتب فان هذا الفهرست العمراني الأخير ، فيه من الفوائد العلمية واللغوية والحضارية ما يوجب شكر الناشر وجميل الثناء عليه .

وبحسب الكتاب قيمة ومتعة : أن واضعه الصابئ ، وهو من هو علماً وأدباً . ومحققه وناشره الأستاذ العواد ، وهو من هو تدقيقاً وتحقيقاً .

ملاحظة :

وقد وقعت على بيتين لم يستقم وزنها :

الأول في الصفحة الـ ٢٧ من المقدمة :

لهفي عليك كريماً في عشيرته ممهداً جسمه ومن نعمه ترف

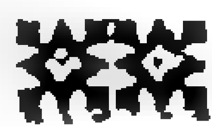
لعلها (في نعمة) فيستقيم الوزن والمعنى معاً .

والبيت الثاني في الصفحة الـ ٧٠ من الكتاب نفسه وهو :

فتى قريش وفي البيت الرفيع بها واري الزناد ما أصلد الناس

والصواب « إذا ما أصلد الناس » بزيادة (إذا) وهو ظاهر أنه من غلط الطبع .

عارف التكريتي



الوزراء والكتاب

نصوص ضائعة

جمعها الأستاذ ميخائيل عوّاد وعلّق عليها

وهذا كتاب آخر ، حققه الأستاذ عوّاد وأخرجه للعالم العربي كنزاً من كنوز العلم والأدب والتاريخ . والكتاب للجهشياري وقد سبق أن طبع طبعة ناقصة ، فعثر الأستاذ عواد على جملة حسنة من الأخبار جمعها من المصادر المخطوطة والمطبوعة ، فألحقها به ، وبذلك تم الكتاب وعمت الفائدة ،

وطبع هذا الكتاب كما طبع الكتاب السابق : « رسوم دار الخلافة » طبعاً حسناً على ورق صقيل . واحتوى هذا من الفهارس المفيدة ما احتواه ذاك .

فجزى الله الأستاذ عواد عن العلم والأدب خير جزاء .

(ع)



الكاظمي في ذكراه الثلاثين

أهدى مكتبة المجمع الأستاذ الأديب المؤرخ السيد عبد الرحيم محمد علي عضو رابطة الأدب الحديث في القاهرة — مؤلفه « الكاظمي في ذكراه الثلاثين . وقد جاء في مقدمته أنه السلسلة الرابعة من تتبعاته عن شاعر العربية الأكبر أبي المكارم عبد المحسن رحمه الله تعالى .

نشأ شاعر العرب متصوفاً ديناً شديد الحيـاء ، بعيداً عن كلام الفحش والمجون ، وكان من أيام صبـاه ميالاً بطبعه إلى الشعر والأدب ، فحفظ الألوف الكثيرة من الشعر العربي والإسلامي ، ونظم الشعر الجيد ولم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره ، ثم كان رجلاً لا كالرجال في الدفاع عن العروبة في جميع أقطارها وأمصارها ، والوقوف في وجه جميع الطاعنين والطامعين في أهلها من الشعوبيين والأعداء وأهل الأهواء ، وكفاه بذلك شرفاً وفخرا .

لم يكن اشتغال فقيد العرب العظيم في فنون الأدب ونظم الشعر لغرض دنيوي كطمع في مال أو جاه ، أو رغبة في خدمة الحكومة والترقي في مناصبها وإنما كان بباعث القلب والحب ، وبدافع الإيمان والوجدان ، وبالرغبة الملحّة في أن تكون أمتنا العربية من أقوى الأمم في المحافظة على عروبتهـا واستقلالها والدفاع عنها . وكان في طبعه وخلقه حلقة اتصال بين الجامدين والجاحدين ، ونقطة اعتدال بين الغالين والمقصرين ، وكان أبو المكارم يرتجل الشعر ارتجالاً في كل موضوع يريده أو يراد منه ، وقد تبلغ القصيدة الواحدة المرتجلة الخمسين بعد المائة ، وعلى وزن واحد وروي واحد ، وهو ما لم يؤته غير أفراد من رجال العصور ، « ذلك فضل الله يؤتيه من يشـاء ، والله ذو الفضل العظيم » .

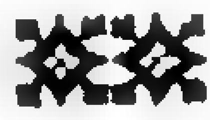
كان رجلَ العروبة — بما وهبه الله تعالى من سلامة الذوق ، وقوة الاستعداد ، وتوقد الذهن ، وفقه النفس ، واستقلال الفكر ، والاقتناع بحاجة المسلمين إلى مجاراة الأمم الغربية ، في الفنون التي عليها مدار العمران ، والقوة في هذا الزمان ، مع المحافظة على أصول الإسلام وهديه وآدابه ، فلا عجب أن يكون شاعر العرب بكل هذه المزايا والخصائص ظاهر الحجة ، قويّ العارضة شديد المعارضة ، لا يبالي في سبيل الحق سطوة حاكم ، ولا يخاف في الله تعالى لومة لائم .

ومن شعره الدالّ دلالة واضحة على غيرته على بلاد العرب ، وانتصاره للإسلام والمسلمين ، قصيدته التي نظمها في اعتداء إيطاليا لما تعدت على طرابلس الغرب ، في عهد الدولة العثمانية ، وقصيدة ثانية في جرأة دول البلقان الصغرى على دولة الخلافة العظمى ، ولما انفصل العرب عن الترك أصبح الكاظمي شاعر العربية وأهلها حيثما حل وارتحل ، ففراراً من الاستبداد اضطرّ إلى مغادرة موطنه (العراق) إلى الهند ثم إلى مصر حيث استقر به المقام ، وفي تلك البلاد الإسلامية العربية منها والعجمية ، وقف شاعرنا على معالم هذه الأمة في مختلف جهاتها ، وعرف منها الحق والباطل ، والخطأ والصواب ، فأخذ يوجه إليها النصح والتذكير ، بقصائده الطولى ، فكانت منبهاً لها من غفلتها ورقدتها ، وكانت من أقوى أسباب يقظتها وحركتها . اتصل في العراق برجل الحرية والنهضة الإسلامية السيد جمال الدين الأفغاني ، فألهب الأفغانيُّ أفكاره ومشاعره ، وكان من قبلُ متأثراً تأثراً بالغاً بأستاذه السيد إبراهيم الطباطبائي الذي صحبه في الكاظمية والنجف ، وروى عنه شعره الحضري بمعانيه ، البدوي بأسلوبه وقوافيه ، وصار مثله ينظم القصائد الطوال ، وزاد عليه بقوة البداهة والارتجال ، ثم عز عليه المقام في موطنه فهاجر إلى مصر كما قدمنا ، واتصل هنالك

بالأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، فقدّر الإمام أدبه وعطف عليه ، وعين له مرتباً شهرياً كان يصله إلى داره آخر كل شهر ، رحمه الله وجزاه خير الجزاء . وكان للكاظمي كبير اتصال بنائب الرئيس السابق لمجمعنا العلمي — بدمشق الشيخ عبد القادر المغربي ، أيام كان محرراً بجريدة المؤيد التي كان يرأسها الشيخ علي يوسف ، رحمهم الله تعالى .

توفي الفقيد الكبير الكاظمي رحمه الله (١٩٣٥) من بعد أن رزق من زوجته عائشة بنت الأديب المعروف السيد محمد التونسي بنين وبنات ، ولكن من بقي من أولاده هي بنته (رباب) ، فرباها تربية عالية ، وأدخلها المدارس فكانت طبيبة أسنان إخصائية .

محمد بهجة البيطار



سنن الترمذي

لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوره الترمذي (٢٠٩ — ٢٧٩ ﻫ)

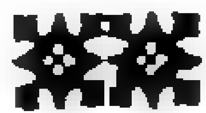
أشرف على التعليق والطبع عزت عبيد الدعاس

لما رأى علماء المسلمين في الصدر الأول تأثير القرآن في جذب قلوب الناس إلى الإسلام ، وأن الإسلام لا يحفظ إلا به ، أجمعوا على حفظ اللغة العربية ودونوا الدواوين ووضعوا لها الفنون ، وإنما الحامل لهم على ذلك هو حفظ كتاب الله المنزل ، وفهمه والعمل به .

وإن كتب السنة الصحيحة ليست إلا مفسرة للقرآن الكريم ، مبينة له ، فهي تفصل مجمله ، وتوضح مشكله ، وهل يستطيع مسلم أن يفهم أركان الاسلام البدنية أو المالية كالصلاة والزكاة والصيام والحج على الوجه الصحيح من دون أن يدرس سنة الرسول ﷺ في العبادة ، وسيرته الخلقية والعملية «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر» الأحزاب الآية ١٢ «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» الحشر (٧) .

وهذا كتاب السنن لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي هو أحد الكتب الستة المشهورة في علم السنة ، وهما صحيحا البخاري ومسلم ، وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ، والرسالة التي بين يدي الآن هي الجزء الأول من سنن الترمذي التي يطبعها أجزاء وتباعاً الأستاذ عزت عبيد الدعاس ، خريج الأزهر الشريف ، وقد جاء في مقدمته أنه ضم في مكتبته الكتب الخمسة وفتش عن سنن الترمذي فلم يجدها في المكاتب ، فقام جزاه الله خيراً بتجديد طبعه ليحصل عليه هو ومحبو السنة النبوية ، وذكر في المقدمة ما استفاده من الشروح المطبوعة لهذه السنن ومن غيرها ، ابتغاء ما علق على الأحاديث للوقوف على الأحكام المستنبطة من الحديث أو لمعرفة بعض رواته . وقد صدر الكتاب بترجمة للترمذي (٢٠٩ — ٢٧٩) ﻫ وهو تلميذ الإمام البخاري ، ذكر فيها أقوال العلماء والشراح في مزايا سننه وخصائصها ومنها قول ابن العربي في شرحه على الترمذي حلاوة مقطع ، ونفاسة منزع ، وعذوبة مشرع ... فالقارئ له لا يزال في رياض مونقة ، وعلوم متفقة متسمة ... وكتاب الترمذي ألفه صاحبه على أبواب الفقه وغيره ، واشتمل على الصحيح والحسن والضعيف ، مع بيان درجة كل حديث في موضعه ووجه الضعف ، وبين مذاهب العلماء في كل المسائل . وختم الطابع الأستاذ الدعاس مقدمته بإيراد ملاحظات مهمة في أقوال الترمذي ومصطلحاته ، وما قالها الشراح في تفسيرها .

وكم سرنا أن يعنى بهذه السنن أستاذ من خريجي الأزهر الشريف ومدرس في مدارس المعارف . وعندي في الختام كلمة نصح وتذكير لإخواني أساتذة المدارس الرسمية وغيرها على اختلاف درجاتها ، وهي أن تكون اللغة العربية فيها لغة محادثة وكتابة وخطابة .



(ب)

عروبة المدن الاسلامية

هوذا كتاب بكر في موضوعه ، صافٍ في ينبوعه . أصيل في مصنوعه ومطبوعه . وارف في أفانينه ومجموعه . مشرق في مصروفه وممنوعه ، شامخ في مخفوضه ومرفوعه . بجيل في غريبه ومسموعه . طريف فذٌّ في تابعه ومتبوعه . عربي في حرفه وعقله وضلوعه . جليل في طلوعه وسطوعه . حفيل في بخوره وشموعه ، وآيات وجده وولوعه ، وتجويد فصوله وفروعه (١) .

انه كتاب (عروبة المدن الإسلامية) الذي قيَّد أوابده ، وحقَّق شوارده واستثنى روافده وانتخل شواهده العلامة الأستاذ ناجي معروف عميد كلية الآداب في جامعة بغداد ، وقد جاء فتحاً جديداً ناطقاً بفضل الحضارة العربية الباذخة التي خلفت تراثاً فكرياً رائعاً . كما أنشأت بما شيدته من المدائن تراثاً عمرانياً راسخاً جامعاً . يرد الطرف نشوان خاشعاً . ويجلجل في السمع مدوياً قارعا ، ويملأ التاريخ تياهاً ناصعاً ، ويسكب على مفرق الزمن عطراً ضائعاً . وينشر على الشعوب نوراً ساطعاً .

وآية هذا الكتاب الجليل في بحثه الفريد الأصيل ، أن صفحاته لاتزيد على ثمانين ، ولكن هذه الصفحات القليلة هي حصيدة ستة وثلاثين -مؤلفاً تقع في أكثر من مئة وعشرين جزءاً وكان أمراً شديد العسر والعنـاء ، أن يغوص المؤلف على الدرر الفريدة في الدأماء ، وينتزعها من جوف الظلماء ، ويزفها تحفة تاريخية تهز خواطر الألباء ، وتثير الإعجاب والاطراء .

نعم ، وإنه لصعب أن تقع العين على جنة فسيحة الأرجاء ، سامقة الأغصان رقاقة الأفياء ، عبهرية الأنفاس والأنداء ، شهية الثمار سخية العطاء .

---

(١) للزميل الفاضل نظير زيتون عضو المجمع ولع بالسجع تفرد به . وقد أثبتنا كلماته تنويهاً بعلو منزلته في الأسجاع وخلافاً لخطة المجلة . (لجنة المجلة)

ترادفت فيها الفواكه بيضاء في حمراء . وصفراء في خضراء ، في طعوم وألوان وبشاشة واحتفاء ، نعم كان صعباً أن يخترف المؤلف أجودها في جنة التاريخ العربي الهدباء ، من ثمار حرّة أينعت برعاية المفكرين البصراء ، وعناية الجهابذة العلماء ، ويعتصرها دنًّا من الصهباء ، في فكر وضّاء . ويراعة زهراء ، وحرف أريحيٍّ معطاء .



يتألف الكتاب من مقدمة وهي نظرة في مصادر الخطط . وتمهيد يعالج تخطيط المدن عند العرب وسبعة فصول وعشرة ملاحق أو جداول . فالفصل الأول يضمّ دراسة في بناء المدن العربية في الجاهلية ، والثاني بناء المدن العربية في الإسلام ، والثالث ، ملاحظات في المدن الإسلامية والرابع ملاحظات عامة والخامس الفترة التي سبقت بناء المدن العربية في الإسلام ، والسادس التحريات لتخطيط المدن العربية . والسابع التصاميم الهندسية لبناء المدن العربية ، وقد عالج المؤلف البحاثة في هذه الفصول السبعة بأسلوب علمي تاريخي بارع كل ما تضمنته من موضوعات في فضل اليد العربية التي أنشأت في الجاهلية والإسلام مئات المدن العامرة الزاهرة في مختلف الأمصار والأقطار ، مما يدل بما لا يقبل الجدل والتأويل ، على أن اليد العربية كانت في كل تاريخها الطويل الحفيل في جاهليتها وإسلامها يداً خيرة بناءة شهدت للحضارة عمراناً راسخاً باذخاً شامخاً جال فيه تاريخ البشرية جولات مشرقات متأرجات ، عصيات مستكبرات ، طوفت حولها العصور منتجعات مسترفدات ، ويا للعزائم العربية كم لها من فتوحات ، ويا للأيدي العربية كم لها من مكرمات ومعجزات .



وإذا تصفحنا جدوال المدن العشرة ، عثرنا في الجدول الأول على قسم من أسماء المدن العربية في الحجاز واليمن واليمامة والبحرين شيدهـا العرب في العصر الجاهلي ، وقد ذكر المؤلف الألمعي أسماء اثنتين وثمانين مدينة — على سبيل المثال لا الحصر ، كما أشار . فهناك عدد كبير من المدن الأخرى والقرى والحصون التي تشبه المدن ممـا حفلت به المعاجم وكتب البلدان أغفل ذكرها .

وهذا الجدول على إيجـازه يؤكد الحقيقة العربية التاريخية الأولى وهي أن العرب الأقدمين ، على بداوتهم وجاهليتهم ، كانوا مطبوعين على العمران وتشييد المدن والقرى والحصون وسواها من المظاهر العمرانية الرفيعة ، ولا يخفى على أحد أن العمران والحضـارة هما ركيّتان صنوان تنبعان من عين واحدة هي الفكر المبدع الخلاّق .

أما الحقيقة العربية التاريخية الثانية ، فنلقاهـــا في الجداوال التسعة الأخرى وقد ضمّت أسماء المدن التي شيّدهـا العرب في العصور الإسلامية المختلفة في آسيا وإفريقية وأوربة وجزر البحر المتوسط وقد بلغ عددها في مختلف الأصقاع التي انتشر فيها لواء الدول العربية الإسلامية ، حسبما جاء في الجداول مئة وثماني وثمانين مدينة هي اليوم وبالأمس من أشهر المدائن .

وقبل أن ننتقل إلى صلب الموضوع لا بدّ لنا من الإشارة إلى بعض المدن الأندلسية التي أوردها المؤلف في جدوله العاشر ، وعزا تشييدهـا للعرب ، مثل قرطبة ومرسية ومجريط واشبونة وهي لشبونة عاصمة البرتغال وإشبيلية وغرناطة ، ومثلها طرسوس فهذه المدن على ما يؤكد التاريخ كانت قائمة قبل الفتح العربي الإسلامي ، ولا شك أن العرب استحدثوا فيها عمراناً جديداً ، ولكن هذا لا يعني أن اليد العربية هي التي اختطت تلك المدن وشيدتها وقدّمتها تراثاً عمرانياً عربياً للحضارة .

ومما يسترعي الانتباه أننا نعثر في جداول المدن التي بناهـا العرب في بعض الأقطـار التي بسطوا عليها سلطانهم ، على أسماء غير عربية ، ولعلهم أطلقوا عليها الأسماء الأعجمية من باب التسامح نذكر منها مكران وقد بنيت في خلافة معاوية بن أبي سفيان ، وباجدا (بين رأس عين والرقة) في خلافة عبد الملك بن مروان ، وقم في زمن ابن مروان نفسه ، وتبريز (فارس) في خلافة المتوكل ، ومراغة شيدها مروان بن محمد عندما كان والياً على أرمينية وأذربيجـان ، ومنستير (تونس) في خلافة مروان بن محمد ، ثم اردشت ودهستان والايتاخية وسمرقند ونيسابور وسوها .

وهناك أيضاً مدن بناها العرب في أقطار اجنبية وهي عربية ذات كواسم أعجمية مثل أسد آباذ ، أي مدينة أسد ، وهو أسد بن عبد الله القسري بانيها ، ومثلها نصر آباذ ومهدي آباذ وسعيد آباذ وموسيا باذ أي مدينة الخليفة موسى الهادي الخ .



ولا بد لنا دعماً للحقيقة العربية التاريخية الأولى أي العمران في عصر الجاهلية ، من أن نستشهد بما أورده المؤلف الحاذق في هذا الصدد إذ قال : « ونستطيع أن نؤكد أن ما بناه العرب قبل الإسلام في الحجاز ونجد وحضرموت وعمان واليمامة والبحرين قد يبلغ الثلاث من المدن بين كبيرة وصغيرة ، غير القلاع والحصون التي تشبه المدن ، كما يمكننا أن نؤكد أن ما في الجزيرة العربية من هذه المدن إنما كان من إنشائهم وحدهم دون أن يشـاركهم في اختطاطها أحد على الأرجح ، نذكر منها على سبيل المثال : مكة ويثرب والطائف واليمامة وصنعاء وعدن والحجر ومأرب ونجران والقطيف وناعظ الخ ولا يزال كثير منها باقياً حتى اليوم . ص ١٣ » .

ويتابع المؤلف الفاضل : « وإذا كنا قد عنينا بدراسة الحضارة العربية قبل الإسلام فلأننا نرى من دون أدنى شك أن العرب مهدوا بحضارتهم تلك للحضارة العربية التالية التي ازدهرت في العصر الإسلامي والتي كان لهـا تأثير في مختلف بقاع العالم وفي تقدم شعوب الشرق والغرب . وإذا أخذنا بالرواية التي تقول إن معبد النوبهار في مدينة بلخ قد شيد بتأثير مكة وتقليداً للكعبة في وضع الأصنام حوله وهي (الحمى) أدركنا مبلغ تأثير هذا العصر الجاهلي في الشرق أيضاً » . قلنا وهذا يعني أن العمران في العصر الجاهلي كان طريق العرب في العصور الإسلامية إلى نشر العمران والحضـارة في مختلف الأمصار .

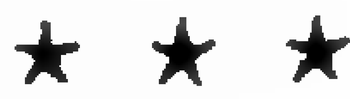
ويتابع المؤلف فيقول : « لئن اشتهر العرب في بناء عدد كبير من المدن في العصر الجاهلي ، فان ذلك يدل على خصائص حضارتهم ومزاياها البارزة التي ساعدت كثيراً على نموها في الإسلام . لهذا يمكننا أن نعتبر العصر الجاهلي من أهم مصادر الحضارة الاسلامية في كثير من الأمور المهمة ولذلك كانت دراسة العصر الجاهلي ضرورية جداً لتفهم التاريخ الاسلامي وتاريخ الأديان وتاريخ الأدب العربي ، وأخيراً تاريخ الحضـارة العربية والفن العربي . ص ١٣ » .

غير أننا إذا توغلنا في مجاهل التاريخ العربي الجاهلي ، إذا توغلنـا واستقصينا الزمن السحيق ، عثرنا على عمران غريب عجيب يدهش عقل الأريب ويبهر بصر اللبيب ، عفت آثاره أو كادت ؛ كان ذلك في عهد العرب الأقدمين مثل عاد وثمود وطسم وجديس والعمالقة والتبابعة وسواهم ممن كانت مبانيهم وقصورهم وحصونهم وقلاعهم يُعزى بناؤها لروعتها وعظمتها وفخامتها إلى جن النبي سليمان ، إذ كانوا لا يصدقون أن يداً بشرية وعقلاً

بشرياً وفناً بشرياً تستطيع أن تخطط وتهندس وتبني مثل هذه المدائن والمباني الفائقة الخارقة . كما كانت لهم معرفة واسعة وهندسة بارعة في شؤون الري وتمديد شباكه في مناطق شاسعة ؛ وعندنا من ذلك خبر سد مأرب الذي سقى كل فم ، وأروى كل أرض ، وخضب كل خضرة ، وحنحن على كل ظمآن ، من إنسان وحيوان ، ونبات عريان ، وجماد استبد به الحرمان .

وكان من الطبيعي أن ينهار العمران بعد انهيار هذا السد الذي رافق الزمان ، وأنشأ الحضارة والسلطان .

ومما يجدر ذكره لهذه المناسبة أن العرب بعد ما استقرّوا في الأندلس حملوا إلى تلك البلاد هندسة الأسداد (لا السدود كما يجمعونها خطأ) وسائر ما يتعلق بالري وسواقيه واقتبس عنهم البرتغاليون وكانت البرتغال آنئذ مقاطعة اسبانية ونقلوا كلمة السدّ إلى لغتهم فقالوا Açude ، كما اقتبس الاسبان ونقلوها إلى الاسبانية فقالوا Azud و Azuda وأثبتها الاسبان والبرتغاليون في معاجمهم كما شاعت على ألسنة العوامّ واقلام الكتّاب . نعم إن الأسداد العربية في الأندلس لم تكن كبيرة ضخمة شديدة الاتساع كسدّ مأرب مثلاً أو كالأسداد الكهربائية الحديثة ، ولكنها كانت تفي بحاجة ذلك العصر ، ولا شك أن الاسباني والبرتغالي عندما يذكران — السدّ — يذكران العرب وفضلهم على العمران .



أما الحقيقة العربية التاريخية الثانية أي العمران في العصور العربية الإسلامية فهي بارزة كالشمس في وضح النهار ، بدليل مئتي مدينة جديدة بناها العرب في مختلف الأصقاع الممتدة من الجزيرة العربية إلى الشمال الإفريقي فالأندلس وصقلية وسواها من الجزر في البحر المتوسط ؛ أضف إليها إيران

والهند وأذربيجان وتركستان وقد استخرج أسماءها المؤلف الألمي من بطون المصادر التاريخية المتعددة .

★ ★ ★

ولكن هناك حقيقة عربية تاريخية ثالثة وهي براعة العرب في صنع التماثيل الرخامية والمدنية والأعمدة والزخرفة المهارية وسبك المعادن وسائر ما يتعلق بهذه الفنون التي أنكرها بعضهم على العرب وخصوصاً صنع التماثيل والنقوش والزخارف كما فعل الإغريق والرومان .

ولكن سائر الصناعات الفنية الباذخة ارتفع مستواها في العصور الإسلامية وتفننت بها اليد العربية تفنناً مدهشاً يذهل الألباب ؛ ففي الطبري أنه أهدي إلى عبد الله القسري (١٢٠ هـ) قصران أحدهما فضة والآخر ذهب . وفي (مصانع البدور في منازل السرور) أن يعقوب بن الليث الصفار والي خراسان أهدى إلى الخليفة العباسي المعتمد على الله مسجداً من الفضة برواقين يصلي فيه خمسة عشر رجلا .

وذكر ابن الجوزي في (المنتظم) أن المقتدر بالله العباسي كان يملك قرية من فضة تثمن بمئات ألوف الدراهم ، وكانت صورة لقرية فيها البقر والغنم والجمال والجواميس والأشجار والنبات والمساحي (المجارف) والناس . الخ » .

وذكر أيضاً أنه كان في دار الشجرة ببغداد في خلافة المقتدر أيضاً ، شجرة من الفضة وزنها نصف مليون درهم عليها أطيار مصوغة من الفضة تصفر بحركات جعلت لها ؛ كما كان في تلك الدار أيضاً ٣٨ ألف ستر من الستور الديباج المذهب بالطرز المصورة بالجامات والفيلة والخيل والجمال والسباع والطرد الخ ، وفي تلك الدار شجرة في وسط بركة مدورة فيها ماء صاف وللشجرة ثمانية عشر غصناً عليها الطيور والعصافير من كل نوع ، مذهبة ومفضضة ، وأكثر قضبان الشجرة فضة وبعضها مذهب وهي تتمايل في أوقات ،

ولها ورق مختلف الألوان يتحرك كما تحرك الريح ورق الشجر ، وكل من هذه الطيور يصفر ويهدر ؛ وفي جانب الدار يمنة البركة تماثيل خمسة عشر فارساً قد ألبسوا الديباج وغيره وفي أيديهم مطارد على رماح يدورون على خط واحد ؛ وفي الجانب الأيسر مثل ذلك .

ويتابع المؤلف البحاثة حديثه فيورد ما عثر عليه في مؤلفات ابن الجوزي والمقريزي من روائع الصناعات الفنية التي تحير وتدهش مثل الاستعراض الكرنفالي الذي أقامته بغداد (٤٨٨ هـ) وقد أظهرت فيه أنواع الملاهي من الزمور والحكايات والخيالات منها الفيل المصنوع من البواري المقيرة (المزفتة) وتحته رجال يسيرون به ، وعملوا زرافة كذلك ، وعملوا سميرية (قارب أو زورق) تجري في الشوارع وفيها الملاحون يجدفون ، كما عملوا ناعورة تدور معهم في الأسواق ، وعرضوا قلعة خشب تسير على عجلات وفيها غلمان يضربون بقسي البندق والنشّاب ، وأخرجوا نولاً على عجل (دواليب) وفيه حائك ينسج . وجاء الخبّازون بتنور وتحته ما يسير به ، وكان الخباز يرمي الخبز إلى الناس . وفي احتفال ولي العهد (٥٤٧ هـ) في بغداد برزت قبة عليها صور بعض الأمراء بحركات تدور ، كما ظهرت قبة أخرى فيها خيل تدور وعليها فرسان بحركات ، وعرضوا أربعة أرحاء تدور وتطحن دقيقاً لا يدري أحد كيف دورانها .

أما الزخارف العربية ، وهي ما يسميه الفرنجة (أرابيسكو) ففيها البرهان الناصع على أن العرب هم صنّاع الأيدي وأصحاب مزايا فنية خصبة خلاقة وقد جاءت هذه الزخارف على شكل كتابات كوفية أو نسخية وعلى أشكال هندسية وشجرية وعلى صورة فسيفساء الخ .

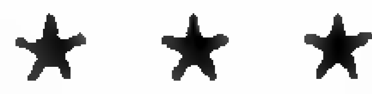
ويحلو لنا في هذه المناسبة أن ننبّه الأنظار إلى أن البلاط المصنوع الذي يسمّونه في الشرق العربي (موزاييك) الملوّن الجميل هو في الأصل عربي ، أخذه الاسبان والبرتغاليون عن العرب الأندلسيين وكانوا يطلقون عليه المزوّق ، والمزوّق هو الأصل العربي للفظة موزاييك الفرنجية .

وقد حذق العرب الحياكة بخيوط الفضة والذهب والقصب وسائر منسوجات الحرير بأشكالها وألوانها المختلفة . ولقد اشتهرت هذه الأقمشة وانتشرت في كل صقع ، ثم أخذت هذه الصناعة تتضاءل شيئاً فشيئاً حتى تلاشت أو كادت . وبعدئذ عمدت مصانع النسيج في أوربة إلى حياكة أقمشة تشبهها وتحاكيها ، وأطلقت عليها أسماء مصادرها العربية فقالوا « داماسين وموسيلين » نسبةً إلى دمشق والموصل وكأنها طرازٌ مما كانت تنسجه اليد العربية ، ولا تزال هذه المصانع الأجنبية تحوكها حتى اليوم .

وإذا كان العرب قد حذقوا حياكة المنسوجات النفيسة الثمينة ، فقد برعوا أيما براعة في حفر الزخارف على الجص والجبس والآجر والرخام والحجر والنحاس والخشب والعاج والفضة والذهب ، ونقش الزخارف على الورق والرق أيضاً .

هذا غيض من فيض استشهدنا به للدلالة على الملكة الفنية عند العرب ، وخصب هذه الملكة ومعجزاتها في الأشغال الفنية الدقيقة على اختـــلاف الأشكال والأنماط .

فهناك إذن ثلاث حقائق عربية تاريخية يجب إعلانها ونشرها والتنويه بها ، وهي تدل بوضوح على عراقة العمران والفنون في طبيعة العربي جاهلياً ومسلماً .



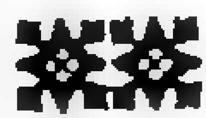
ولا بأس بعد هذا أن نستطرد إتماماً للفائدة ، فقد يجوز أن يتساءل بعضهم في خباثة أو براءة ويقولون : كيف نوفق إذن بين هذه الحضارة العربية الرائعة التي خلفت للعالم تراثاً عمرانياً وحضارياً شامخاً باذخاً يدهش الأذهان ، ويغالب الزمان ، وينطق بميزة العربي في الابتكار والإبداع والاتقان ، ومعالجة سائر أسباب الفنون والبنيان ، ثم كيف نوفق بين هذه الحضارة العربية الرائعة الفائقة ، وقول ابن خلدون في الفصل السادس والعشرين من مقدمته وهو « ان العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب » ؟

في رأي علاّمة العصر الرئيس الأمير مصطفى الشهابي ، وهو رأي وجيه صائب ، في نظرٍ منطقي ثاقب . يشاركه فيه أقطاب العلماء المحققين ، والمستشرقين والمثقفين ، أن ابن خلدون إنما أطلق كلمة (العرب) على الأعراب العائشين في الخيام ، لا على العرب الساكنين في المدن والأمصار . والبون شاسع كما لا يخفى على أحد بين أهل الوبر أي البدو وأهل المدَر أي الحضَر القاطنين في المدائن العامرة ، كما أن حديث ابن خلدون في الفصل المذكور ، إنما ينطبق على أبناء البوادي المخشوشنين الرحّال دون سواهم ، وهذا أمرٌ يجب التنبيه عليه ، ومن عجب أن طبعات مقدمة ابن خلدون من أقدمها إلى أحدثها لم تطبع طباعة علمية وافية ولذلك لم تُعنَ بايضاح هذه النقطة دفعاً لما يقع فيه بعضهم من خطأ في التفسير . ولقد أحسن الأستاذ ساطع الحصري عندما عالج هذا الموضوع في دراسة مسهبة دقيقة أثبت فيها بالأدلة الناصعة والبراهين الدامغة أن العرب الذين عناهم ابن خلدون في الفصل المذكور هم الأعراب أبناء البادية والخيام ، لا أبناء الحواضر من العرب (١) .

ثم إن ابن خلدون وهو المؤرخ العلامة لا يجهل ما خلّفه العرب في الأندلس خاصة من تراث عمراني باذخ ، هو اليوم مصدر اعتزاز للأسبان ومحطّ أنظار السيّاح ، ومورد عظيم من الذهبان للاقتصاد الاسباني .

وبعد ، فحسب مؤلّف البحّاثة المدقق الأستاذ ناجي معروف عميد كلية الآداب بجامعة بغداد ، انه كشف عن صفحة متألقة جديدة في مهارق تاريخنا المتأرج النضير ، فاذا العمران العربي جاهلياً وإسلامياً كوكبٌ منير . وإذا الحضارة العربيّة ينبوع ثرّار نمير ، وإذا الفكر العربي أنوار وأزاهير .

نعم حسب كتاب (عروبة المدن الاسلامية) هذا الفضل ليفوز بأبلغ تحية تزجيها العروبة والتاريخ والأدب ، إلى مؤلفه العلامة الجليل .

(حمص)  نظير زيتون

(١) دراسات عن مقدمة ابن خلدون للأستاذ ساطع الحصري طبعة دار المعارف بمصر .

حسان بن ثابت

حياته وشعره

عدد الصفحات (٢٢٤) من القطع الصغير طبع بمطبعة دار الفكر الحديث في لبنان عام ١٩٦٥ تأليف الدكتور إحسان النص المدرس في كلية الآداب بجامعة دمشق

حسان بن ثابت شاعر له ميزتان ، أولاهما أنه شاعر ، وثانيتهما أنه شاعر النبي عليه الصلاة والسلام فله احترام وإجلال لدى المسلمين عامة ، لأنه الشاعر الذي اختاره عليه الصلاة والسلام للدفاع عنه ضد شعراء المشركين ، وقد أحسن الدفاع فكان من الصحابة الأولين .

ولهذا الشاعر أيضاً صفحتان من العيش فقد نظم قسماً من شعره في الجاهلية ونظم القسم الآخر في العهد الإسلامي وقد عرف بأماديحه في الغساسنة من آل جفنة وكانوا في بلاد الشام وهو القائل فيهم :

لله در عصـــابة نادمتهم يوماً بجلق في الزمان الأول

كما مدح المناذرة في الحيرة ، والنعمان بن المنذر خاصة ، على قول بعض المستشرقين ، ولكن مؤلف الكتاب يشك شكاً يقرب من الانكار في صحة اتصال حسان بالمناذرة ، ويستند في شكه إلى حوادث التاريخ .

وقد بدأ المؤلف بمقدمة أشار فيها إلى أن كتابه (يضم المحاضرات التي ألقاها على طلبة قسم اللغة العربية في كلية الآداب) وأشار إلى أمر هام في موضوع البحث وهو أنه حاول إبراز صورة الشاعر ـ حسان بن ثابت ـ (كما عرفها التاريخ لا كما صورتها الأخبار المفتعلة والأساطير الموضوعة على

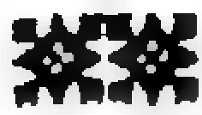
حد قوله). ثم يأخذ المؤلف بالدراسة فيذكر حياة الشاعر في فصل ويدرس شعره في فصل آخر وينهي الكتاب بفهرس يضم مصادر بحثه ومما يلفت النظر ويساعد على تفهم البحث جدول وضعه المؤلف بيّن فيه نسب الشاعر واتصاله بقبيلة الأزد التي تفرع منها فرعا الأوس والخزرج اللذان يتصل بهما نسب الشاعر ، وجدول آخر يوضح نسب الشاعر واتصاله ببني مالك بن النجار وهم أسرة حسان بن ثابت .

إن هذه الدراسة تشتمل على تمحيص مفيد ونقد نافع ، وكأن المؤلف ينظر من بعيد إلى طه حسين في طريقته الناقدة التي أفادها من دراسة الفيلسوف الفرنسي ديكارت ، كنظره إلى الخلاف الأدبي بين حسان والخنساء في بيته الشهير :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فالمؤلف ينكر أشد الإنكار هذا النقاش الأدبي الذي لم يعرف إلا في العصور المتأخرة . ولا بد من الإشارة هنا إلى ورود بعض الأخطاء المطبعية التي لا يسلم منها كتاب عربي مع الأسف ولكنها أغلاط لا يضيع معها المعنى وهي لا تمنعنا من القول أن هذه الدراسة قد قدمت لنا بحثاً وافياً عن شاعر لم يدرس بعد دراسة وافية .

أحمد الجندي



معالم وأعلام في بلاد العرب

القسم الأول ـ القطر السوري : الجزء الأول

عدد صفحاته ٣٨٨

تأليف : أحمد قدامة

طبع بمطابع ألف باء في دمشق ١٩٦٥ م

هذا كتاب مرتب على حروف المعجم ، يبحث في المدن والقرى والمدارس والمساجد والقصور وأبواب المدن وأحيائهـــا والجبال والأنهر والأودية والأمكنة الأثرية .

أما التراجم فقد ترجم المؤلف لبعض الأنبياء والخلفاء والأمراء والوزراء والولاة والقواد والفلاسفة والأطباء والأدباء والمحامين والقضاة ورجال السياسة والدين والإدارة وغيرهم ممن سبقوا إلى رحمة الله وممن بقوا على قيد الحياة ، وقد ترجم أحياناً لأناس ليسوا من سورية كالمفوضين الساميين الفرنسيين وابقراط الطبيب اليوناني ، حيث قال المؤلف « ص ٧ » : وكان في بساتين دمشق موضع يعرف باسم صفة بقراط ظلت معروفة إلى سنة ٦٤٦ هـ .

وذكر المؤلف في معجمه بعض الشعوب غير الإسلامية العربية والأجنبية ممن لهم علاقة بالقطر السوري قبل الإسلام وبعده ، وعدد في مؤلفه بعض المذاهب الدينية وفرقها .

وأورد الأستاذ قدامة في مؤلفه بعض العشائر والعائلات والنسب والألقاب والكنى للأسر والأشخاص ، وفسرها ، وعرفها ، وردها إلى أصولها .

كما فسر بعض الألفاظ الأجنبية التي لا تزال مستعملة لدى المعاصرين في سورية وأبان تحريفها وردها إلى أصولها .

وخلاصة القول فقد أورد المؤلف في معجمه أبحاثاً منوعة في مواضيع مختلفة فذكر بعض الكتب المقدسة وبعض الصناعات والانقلابات والثورات السورية والمكاييل والموازين والأشهر والجميات والنوادي والأحزاب السياسية وجامعتي دمشق وحلب والخط الحجازي وغير ذلك .

هذا مجمل ما في الكتاب من مباحث وموضوعات ، وقد رتبها المؤلف على حروف المعجم ، فذكر المترجمين بما يشتهرون بنسبهم ، وهذا ربما انطبق على المحدثين منهم ، وأما القدامى فمن العسير أن يترجموا كما يترجم المعاصرون ، لأنه لهم عدة نسب وألقاب يتعذر أحياناً على المرء أن يختار أحدها جازماً .

وأما مصادر الكتاب فقد ذكرها في مقدمته ، وكان الأجدر أن تذكر في صلب كل مادة مع بيان الجزء ورقم الصفحة ، ليتسنى للباحث الرجوع إليها ، وقد اعتذر المؤلف عن ذلك فقال في مقدمة كتابه : أوردت بعد أكثر التراجم أهم المصادر عنها ليعود إليها من أراد التوسع ، أما المعالم فقد تعذر إيراد مصادرها لوفرة عدد المعالم ، ثم لقلة عدد المصادر عنها ، فلو كررت تحت كل معلم مصادره لتضاعف حجم الكتاب ، ولذا اكتفيت بسردها مجموعة في أول الكتاب .

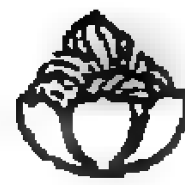
وقد لاحظنا في تراجم المعاصرين عدداً منهم ، قد ذكرت ولادتهم على غير حقيقتها ، إما أن المؤلف قد رجع إلى هوياتهم الشخصية الرسمية أو نقلها من مصادر مذكورة على غير حقيقتها ، أو اعتمدها أصحابها كما هي في سجلات الأحوال المدنية .

فقد ذكر المؤلف فؤاد بن رضا الحلبي : أنه ولد بدمشق ١٩٠٦ م ، وأحيل على التقاعد لبلوغه السن القانونية « وهي ستون عاماً » ، وتوفي في ٥ نيسان ١٩٦٤ م (ص ٣٣٠) .

ومن الأخطاء التي عثرنا عليها في (ص ٣٥٩) : نهر جغجغ ينبع من ضواحي بلدة القامشلي ، مع أنه ليس من ضواحي القامشلي كما ورد في مادة جغجغ (ص ٢٥٠) : وهو ينبع في الأراضي التركية على بعد نحو عشرين كيلو متراً من الحدود السورية .

وهناك بعض الأخطاء والهفوات التي لا يخلو منها كتاب ، ولا سيما مثل هذا المعجم المنوع الأبحاث والموضوعات ، وقد ختم المؤلف مقدمته بقوله : وختاماً أعلن بكل جرأة وتواضع أن هذا الأثر ، وقد كان نتيجة جهد فردي ، ليس إلا محاولة بدائية وتجربة أولى لوضع معجم كامل لبلادنا ، وهي محاولة مر بها كل معجم من نوعه ولا بد من إعادة وتكرار ، ومن تصحيح وتقويم ، ومن تهذيب وزيادة وهذا لا يتم إلا في سنوات ، وفي جو رحب من التشجيع والعون وتواثق الجهود ، ومن أجل هذا أتوجه بالرجاء الحار إلى كل قارئ يطلع على خطأ أو هفوة أو نقص أو ملاحظة تعن له أن يتفضل بالكتابة إلي ليمكن تدارك ذلك في الملحق الذي يصدر في آخر الكتاب . وله مني جزيل الشكر ، ومن الوطن حسن الثواب .

عمر رضا كحالة



المستدرك على الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الأوقاف

تأليف : عبد الله الجبوري

طبع في مطبعة المعارف ببغداد (سنة ١٩٦٠)

تأسست مكتبة الأوقاف العامة ببغداد في عام ١٩٢٨ م وقد جمعت كتبها من تسع خزائن ومما أوقفه بعض أهل البر والإحسان ، فبلغ عدد كتبها ٣٦١٤ مخطوطاً في اللغات العربية والفارسية والتركية والكردية .

وقد سبق أن المرحوم الدكتور محمد أسعد طلس قد صنف فهرساً لهذه المكتبة ، وطبع بنفقة مديرية الأوقاف العامة بغداد في سنة ١٩٥٣ م في ٤٢٨ صفحة من القطع الكبير .

ثم وردت إلى المكتبة بين عامي ١٩٥١ — ١٩٦٠ م مخطوطات كثيرة ، كان مصدرها جامع المصرف ، جامع القبلانية ، جامع الآصفية ، خزانة محمد سعيد الطبقجه لي ، خزانة عبد الحليم الخاقاني ، وخزانة علي حيدر الباجه جي .

ولما تسلم مصنف هذا الفهرس أمانة المكتبة المذكورة في عام ١٩٦٣ م ، عمد إلى تصنيف هذا المستدرك الذي بلغ ٤١١ صفحة ، فهرس فيه المخطوطات التي وردت إلى المكتبة بعد تصنيف فهرس الكشاف ، فوضع لكل مخطوط رقماً متسلسلاً من ١ — ٤٠٧ ، وذكر عنوان المخطوط بحروف بارزة ، وطول الكتاب وعرضه ، وترجم مؤلفي هذه المخطوطات وأشار إلى المصادر التي اعتمدها في الترجمة ، ووصف المخطوط فذكر أوله وآخره ،

فمحتوياته ومادته ، ثم ذكر تملكه والإجازات والسماعات إن وجدت ، وأشار إلى مكان طبعه وتاريخه إذا تحقق ذلك .

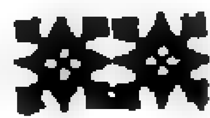
ثم وصف المخطوط وصفاً مادياً ، من حيث تجليده ونوع ورقه وخطه ، وذكر اسم ناسخه وتاريخ ومكان نسخه .

وأما الموضوعات التي حواها هذا المستدرك فهي : القرآن الكريم ، القراءات والتجويد ، تفسير القرآن الكريم وعلومه ، الحديث وعلومه ، السيرة النبوية وقصص الأنبياء ، الفقه ، المواعظ والحكم ، الحكمة والفلسفة ، الكلام والفرائض ، الردود والفرق ، التصوف والأخلاق الدينية ، الآداب ، الشعر ، علم الوضع ، اللغة ، النحو ، الصرف ، البلاغة ، العروض ، المنطق ، الرياضيات ، الهيئة والفلك ، الطب والكيمياء ، التاريخ والطبقات والتراجم ، البلدان والجغرافية ، مواضيع مختلفة ، والمجاميع .

ويلاحظ من تنسيق وترتيب هذه الموضوعات أنها لم تنسق على قواعد معينة ، أو منهاج خاص ، وكان يحسن بالمصنف الفاضل أن يصنف فهرسه على التنسيق العشري فيذكر الكليات العامة أي التآليف العامة التي تحتوي على أبحاث مختلفة كالمجاميع وغيرها ، ثم الفلسفة ، فالدين ، فالعلوم الاجتماعية ، فاللغات ، فالعلوم الطبيعية ، فالعلوم العملية ، فالفنون الجميلة ، فآداب اللغات ، فالتاريخ .

وبالختام نشكر الأستاذ المصنف على ما بذل من جهد في إخراج هذا المستدرك ، راجين له التوفيق في إخراج غيره من فهارس المخطوطات .

(ع . ك)

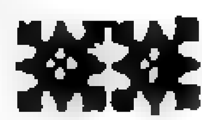


الإسلام والصحابة الكرام
بين السنة والشيعة

بقلم الشيخ محمد بهجة البيطار

رسالة تشتمل على نحو سبعين صفحة في مناقشات علمية بين الشيخ محمد الخالصي والشيخ محمد بهجة البيطار تتعلق بالأذان وقيام الليل وصلاة التراويح والصحابة والسلف في الكتاب والسنة وبيعة الرضوان وما ذكرته السنة من فضائل الصحابة ومذهب زيد والزيدية والنسخ في القرآن وفي جمعه وفي حديث النزول وتصحيح خطأ ابن بطوطة ، وفيها ردود للأستاذ البيطار على مسائل الأستاذ الخالصي بإيجاز وبيان مدعوم بالأدلة من الكتاب والسنة تثبت فضائل الصحابة ، وقد اطلع على هذه الرسالة المتعة في العراق الشيخ بهجة الأثري فشكر الأستاذ البيطار على هديته بكلمة تصلح أن تكون تقريظاً للرسالة فقال : «ولقد أفدت من جليل استدلالاتكم العلمية المنطقية في هذه الرسالة البليغة في بيان وجهة الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، كما عودتمونا دائماً في كل ما تفيضونه في مؤلفاتكم من علم غزير ومنطق سديد ولغة مهذبة عالية في تقويم الاعوجاج وتسديد الانحراف نفع الله المسلمين بعلمكم وهديكم وزادنا بوجودكم إفادة وإمتاعا .»

عز الدين التنوخي



آراء وأنباء

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق في سنة ١٣٨٥ / ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦ م

الأعضاء العاملون

١ – الرئيس : الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي

٢ الدكتور أسعد الحكيم
٣ « أمجد الطرابلسي
٤ الأمير جعفر الحسني (أمين المجمع)
٥ الدكتور جميل صليبا
٦ « حسني سبح
٧ « حكمة هاشم
٨ « سامي الدهان
٩ الأستاذ شفيق جبري
١٠ الدكتور شكري فيصل
١١ الأستاذ عارف النكدي
١٢ الدكتور عدنان الخطيب
١٣ الأستاذ عز الدين التنوخي (نائب الرئيس)
١٤ الشيخ محمد بهجة البيطار
١٥ الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي
١٦ « محمد كامل عياد
١٧ الأستاذ محمد المبارك

الأعضاء المراسلون

الجمهورية العربية السورية

١ الدكتور عبد الرحمن الكيالي
٢ الأستاذ عمر أبو ريشة
٣ « محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل)
٤ الدكتور قسطنطين زريق
٥ الأستاذ نظير زيتون

الجمهورية العربية المتحدة

٦ الأستاذ أحمد حسن الزيات
٧ الدكتور أحمد زكي
٨ « طه حسين
٩ الأمير يوسف كمال

لبنان

١٠ الأستاذ أنيس المقدسي

١١ الأستاذ بشارة الخوري (الأخطل الصغير)
١٢ الدكتور صبحي المحمصاني
١٣ « عمر فروخ

فلسطين

١٤ الأستاذ قدري حافظ طوقان

المملكة الهاشمية الاردنية

١٥ الأستاذ محمد الشريقي

الجمهورية العراقية

١٦ الأستاذ أحمد حامد الصراف
١٧ « ساطع الحصري
١٨ « عباس العزاوي
١٩ الشيخ كاظم الدجيلي
٢٠ الأستاذ كوركيس عواد
٢١ الشيخ محمد بهجة الأثري
٢٢ الدكتور مصطفى جواد
٢٣ الأستاذ منير القاضي

السودان

٢٤ الشيخ محمد نور الحسن

المملكة العربية السعودية

٢٥ الأستاذ حمد الجاسر
٢٦ « خير الدين الزركلي

المملكة الليبية

٢٧ الأستاذ علي الفقيه حسن

الجمهورية التونسية

٢٨ الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب
٢٩ « محمد الطاهر ابن عاشور

المملكة المغربية

٣٠ الأستاذ عبد الله كنون
٣١ « علال الفاسي

تركية

٣٢ الأستاذ أحمد آتش

ايران

٣٣ الدكتور علي أصغر حكمت

الهند

٣٤ الأستاذ آصف علي أصغر فيضي
٣٥ « أبو الحسن علي الحسني الندوي

باكستان

٣٦ الأستاذ عبد العزيز الميمني
٣٧ « يوسف البنوري

فرنسة

٣٨ الدكتور بلاشير (رجيس)
٣٩ الأستاذ كولان (جورج)

٤٠ الأستاذ لاوست (هنري)
٤١ « ماسه (هنري)

بريطانية

٤٢ الأستاذ أربري (أ . ج .)
٤٣ « جيب (هـ . ا . ر .)

المانية

٤٤ الأستاذ ريتر (هلموت)
٤٥ « هارتمان (ريشارد)

السويد

٤٦ الأستاذ ديدرنغ (س .)

الولايات المتحدة الاميركية

٤٧ الدكتور ضودج (بيارد)
٤٨ الأستاذ فيليب حتي

اسبانية

٤٩ الأستاذ غومز (اميليو غارسيا)

النمسة

٥٠ الدكتور اشتولز (كارل)
٥١ الأستاذ موجيك (هانز)

ايطاليا

٥٢ الأستاذ جبرايلي (فرنشيسكو)

هولاندة

٥٣ الدكتور شخت (يوسف)

الدانيمرك

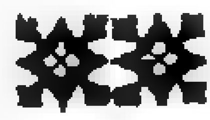
٥٤ الأستاذ بدرسن (جون)

فنلاندة

٥٥ الأستاذ كرسيكو (يوحنا اهتن)

البرازيل

٥٦ الأستاذ رشيد سليم الخوري



أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

الجمهورية العربيـــة السورية

١ الشيخ طاهر الجزائري
٢ « سليم البخاري
٣ « مسعود الكواكبي
٤ الأستاذ إلياس قدسي
٥ « أنيس سلوم
٦ « جميل العظم
٧ « سليم عنحوري
٨ « عبد الله رعد
٩ « رشيد بقدونس
١٠ « أديب التقي
١١ الشيخ عبد القادر المبارك
١٢ الأستاذ معروف الأرناءوط
١٣ السيد محسن الأمين
١٤ الأستاذ الرئيس محمد كرد علي
١٥ « محمد البزم
١٦ « سليم الجندي
١٧ الشيخ عبد القادر المغربي
١٨ الأستاذ الرئيس خليل مردم بك
١٩ الدكتور مرشد خاطر
٢٠ الاستاذ فارس الخوري
٢١ الأب جرجس شلحت
٢٢ « جرجس منش
٢٣ الأستاذ قسطاكي الحمصي
٢٤ الشيخ كامل الغزي
٢٥ الأستاذ ميخائيل الصقال
٢٦ الشيخ بدر الدين النعساني
٢٧ « راغب الطباخ
٢٨ « عبد الحميد الجابري
٢٩ « عبد الحميد الكيالي
٣٠ « محمد زين العابدين
٣١ الدكتور صالح قنباز
٣٢ الشيخ سليمان الأحمد
٣٣ الأستاذ ادوار مرقص
٣٤ الشيخ سعيد العرفي
٣٥ البطريرك ماراغناطيوس افرام
٣٦ الشيخ امين سويد
٣٧ الدكتور جميل الخاني
٣٨ الاستاذ متري قندلفت

الجمهورية العربيـــة المتحدة

٣٩ الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي
٤٠ « رفيق العظم
٤١ « أحمد كمال
٤٢ « أحمد تيمور
٤٣ « أحمد زكي باشا
٤٤ الدكتور يعقوب صروف

٤٥ السيد محمد رشيد رضا
٤٦ الأستاذ حافظ إبراهيم
٤٧ 〃 أحمد شوقي
٤٨ الشيخ أحمد الاسكندري
٤٩ الأستاذ أسعد خليل داغر
٥٠ 〃 داود بركات
٥١ الدكتور أمين المعلوف
٥٢ الأستاذ مصطفى صادق الرافعي
٥٣ الشيخ عبد العزيز البشري
٥٤ الدكتور أحمد عيسى
٥٥ الأمير عمر طوسون
٥٦ الشيخ مصطفى عبد الرازق
٥٧ الأستاذ انطون الجميل
٥٨ 〃 خليل مطران
٥٩ 〃 إبراهيم عبد القادر المازني
٦٠ 〃 محمد لطفي جمعة
٦١ الدكتور أحمد أمين
٦٢ الأستاذ عبد الحميد العبادي
٦٣ الشيخ محمد الخضر حسين
٦٤ الدكتور عبد الوهاب عزام
٦٥ 〃 منصور فهمي
٦٦ الأستاذ أحمد لطفي السيد
٦٧ 〃 عباس محمود العقاد
٦٨ 〃 خليل ثابت

لبنان

٦٩ الأستاذ حسن بيهم
٧٠ الأب لويس شيخو
٧١ الشيخ عبد الله البستاني
٧٢ الأستاذ جبر ضومط
٧٣ 〃 عبد الباسط فتح الله
٧٤ الشيخ عبد الرحمن سلام
٧٥ 〃 مصطفى الغلاييني
٧٦ الأستاذ عمر الفاخوري
٧٧ 〃 بولس الخولي
٧٨ 〃 أمين الريحاني
٧٩ الأمير شكيب أرسلان
٨٠ الشيخ إبراهيم المنذر
٨١ الأستاذ جرجي يني
٨٢ الشيخ أحمد رضا
٨٣ الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف
٨٤ 〃 فيليب طرازي
٨٥ الشيخ فؤاد الخطيب
٨٦ الدكتور نقولا فياض
٨٧ الشيخ سليمان ظاهر
٨٨ الأستاذ مارون عبود

فلسطين

٨٩ الشيخ سعيد الكرمي
٩٠ الأستاذ نخلة زريق

٩١ الشيخ خليل الخالدي
٩٢ الأستاذ عبد الله مخلص
٩٣ 〃 محمد اسعاف النشاشيبي
٩٤ الأستاذ عادل زعيتر
٩٥ الأب ا. س. مرمرجي الدومنكي

الجمهورية العراقية

٩٦ الأستاذ محمود شكري الآلوسي
٩٧ 〃 جميل صدقي الزهاوي
٩٨ 〃 معروف الرصافي
٩٩ 〃 طه الراوي
١٠٠ الأب انستاس ماري الكرملي
١٠١ الدكتور داود الچلبي
١٠٢ الأستاذ طه الهاشمي
١٠٣ 〃 محمد رضا الشبيبي

الجمهورية الجزائرية

١٠٤ الشيخ محمد بن أبي شنب
١٠٥ الأستاذ محمد البشير الابراهيمي

المملكة المغربية

١٠٦ الأستاذ محمد الحجوي
١٠٧ 〃 عبد الحي الكتاني

تركية

١٠٨ الأستاذ زكي مغامز

ايران

١٠٩ الشيخ أبو عبد الله الزنجاني
١١٠ الأستاذ عباس إقبال

الهند

١١١ الحكيم محمد أجمل خان

فرنسة

١١٢ الأستاذ فران (جبرئيل)
١١٣ 〃 هوار (كليمان)
١١٤ 〃 بوفا (لوسيان)
١١٥ 〃 مالنجو
١١٦ 〃 كي (ارتور)
١١٧ 〃 باسه (رينه)
١١٨ 〃 ميشو بلّير
١١٩ 〃 مارسيه (وليم)
١٢٠ 〃 دوسو (رينه)
١٢١ 〃 ماسينيون (لويس)

بريطانية

١٢٢ الأستاذ مرجليوث (د. س.)
١٢٣ 〃 بفن
١٢٤ 〃 براون (ادوارد)
١٢٥ 〃 كرينكو (فريتز)
١٢٦ 〃 غليوم (الفرد)

المانية

١٢٧ الأستاذ هومل

١٢٨ « ساخاو (ادوارد)

١٢٩ « هوروفيتز (يوسف)

١٣٠ « هارتمان (مارتين)

١٣١ « ميتفوخ (اوجين)

١٣٢ « بروكلمن (كارل)

المجر

١٣٣ الأستاذ غولد صيهر (اغناطيوس)

١٣٤ « ماهلر (ادوارد)

الولايات المتحدة الاميركية

١٣٥ الأستاذ ماكدونالد (د . ب .)

١٣٦ « هرزفلد (ارنست)

١٣٧ « سارطون (جورج)

الاتحاد السوفياتي

١٣٨ الأستاذ كراتشكوفسكي (أ)

١٣٩ « برتلز (ايفيكين)

اسبانية

١٤٠ الأستاذ آسين بلاسيوس (ميكل)

البرتغال

١٤١ الأستاذ لويس (دافيد)

ايطالية

١٤٢ الأستاذ جويدي (اغنازيو)

١٤٣ « نالينو (كارلو)

١٤٤ « غريفيني (اوجينيو)

سويسرة

١٤٥ الأستاذ مونته (ادوارد)

١٤٦ « هس (ج . ج .)

بولونية

١٤٧ الأستاذ كوفالسكي (ت .)

تشكوسلوفاكية

١٤٨ الأستاذ موزل (الوا)

هولاندة

١٤٩ الأستاذ هورغرنيه (سنوك)

١٥٠ « اراندوك (ك .)

١٥١ « هوتسما (م . ت .)

الدانيمارك

١٥٢ الأستاذ بوهل (ف . م . ب .)

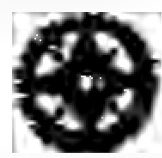
١٥٣ « استروب (ج .)

السويد

١٥٤ الأستاذ سترستين (ك . ف .)

البرازيل

١٥٥ الأستاذ سعيد أبو جمرة



ملاحظات شتى لغوية وعلمية

(١) تنتهي سُورِيَةُ بياء غير مشددة تليها تاء. — نشرت في المجلد السابع والثلاثين (سنة ١٩٦٢ ص ٣٠٦) من هذه المجلة صورة كتاب كنت أرسلته إلى وزارة التربية والتعليم، بعنوان «سوريا وسورية»، وبينت فيه أن القاموس والتاج وجملة من المراجع الموثوق بها لم تذكر هذه الكلمة إلا بياء غير مشددة تليها تاء لا ألف. وبعد أن أذاعت الوزارة هذا الكتاب أخذ الموظفون والكتاب والمذيعون ينهون اسم قطرنا بالتاء بدلاً من الألف. ولكنني لاحظت أن معظمهم ما برحوا يشددون ياء سورية حتى يومنا هذا فيقولون مثلاً: «إن سوريَّة قطر عربي» بتشديد ياء سورية، وذلك غلط. والصحيح تخفيفها، في تلك الجملة فيقال: «إن سوريَةَ قطر عربي». ومن الطبيعي أن تشديد الياء إنما يكون في النسب إلى سوريَة، وذلك في مثل قولنا: «مصنوعاتٌ سوريَّة» أي منسوبة إلى سوريَةَ. أما في الإضافة فيقال: «مصنوعاتُ سوريَةَ» بلا تشديد.

(٢) إِسْكَنْدَرُونة. — سمعت من محطة الإذاعة بدمشقَ، ومن أفواه بعضهم أحاديث عن إسكندرونة التي فصلت عن سورية في زمن الانتداب الفرنسي عليها. ووجدت الكثيرين يسمون تلك الكورة السورية إسكندرون والإسكندرون بلا تاء في آخر الكلمة بعد النون. وكلا اللفظين غلط. والصحيح إنهاء الاسم المذكور بالتاء، وعدم إضافة ال التعريف إليه، على ما ورد في معجم البلدان لياقوت.

(٣) نقطتا الياء المتطرفة . — اعتادت المطابع في سورية ولبنان وغيرهما من الأقطار العربية أن تستعمل حرفين من الياء : الأول تحته نقطتان وهو يدل على الياء ، والثاني ليس تحته نقطتان وهو يدل على الألف المقصورة . أما في القطر المصري فحرف الياء المستعمل في الحالين خالٍ من هاتين النقطتين . ولذلك يضل القارئ في قراءة مثل كلمات على ودنى وجرجى ودلهى وموسيقى وكثير من أشباهها فلا يدري هل آخر حروفها ياء أم ألف مقصورة ، لأن ياءاتها بلا نقط . وقد أخذت بعض المطابع تزيل هذا اللبس بوضع ألف فوق الياء غير المنقطة . ولكن أليس من الأسهل والأصلح الدوام على ما هو متبع في ديار الشام منذ القديم وهو استعمال حرف الياء منقطاً للدلالة على الياء ، وغير منقط للدلالة على الألف المقصورة .

(٤) الفَرَس للذكر والأنثى . — لا يطلقون في الشام كلمة الفرس إلا على أنثى الخيل ، على حين أن هذه الكلمة تطلق في المعجمات وفي كتب الخيل القديمة على الذكر وعلى الأنثى أي على الحصان وعلى الحِجْر . ففي المخصص : (ج ٦ ص ١٣٥) « الفَرَس واحد الخيل والجمع أفراس ، الذكر في ذلك والأنثى سواء ، وأصله التأنيث ، وتصغيره بهاء وغير هاء . وحكى ابن جنّي فَرَسة فإن كان كذلك فإنما ذهبوا إلى التوثق من التأنيث . . . . ابن جني : الذكر منها حِصان . . . والأنثى حِجْر » .

وفي لسان العرب : الفَرَس واحد الخيل والجمع أفراس الذكر والأنثى في ذلك سواء ولا يقال للأنثى فيه فرسة . . . . وحكى ابن جني فَرَسَة الخ . »

وفي القاموس المحيط : الفرس للذكر والأنثى ، أو هي فرَسة .

وفي تاج العروس نقل الزبيدي في الشرح كلام من عاشوا قبله .

والخلاصة أن الاقتصار على التأنيث ، كما في الشام ، غير صحيح . والصحيح أن يقال هذا الفرس للذكر ، وهذه الفرس للأنثى

(٥) تدل كلمة الغنم على الضأن والمعز وغيرهما . — لا تطلق كلمة الغنم في الشام إلا على الضأن ، على حين أنها تدل في كتب اللغة على الضأن والمعز وأشباهها . في اللسان : « الغنم الشاء لا واحد له من لفظه ... وهو اسم مؤنث موضوع للجنس يقع على الذكور وعلى الإناث ... وتقول هذه غنم لفظ الجماعة . فإذا أفردت الواحدة قلت شاة » .

وفيه : « الشاة الواحد من الغنم يكون للذكر والأنثى ... وقيل الشاة تكون من الضأن والمعز والظباء والبقر والنعام وحُمُر الوحش ... وقيل في الجمع شياهٌ ... قال ابن سيده : والجمع شاءٌ » . وفي المخصص « ج ٧ ص ١٧٦ » : والجمع شاءٌ وشياهٌ ... الخ .

ومن الواضح أن لفظ الغنم لا يقتصر مدلوله على الضأن ، بل يشمل الماعز من دواجن الحيوان المشهورة . وقصر المدلول في الشام على الضأن غير صحيح .

(٦) العَنْز لا العَنْزة . — في اللسان : « العَنْزُ الماعزة وهي الأنثى من المِعْزَى والأوعال والظباء . في الشام لا تطلق العنز إلا على الماعزة . ثم إنهم يضيفون إليها تاءً فيقولون « عَنْزة » . وزيادة التاء غلط ، لأن هذه التاء لا تدخل على كلمة عَنْز إلا إذا أطلقت على الحُبارَى فيقال عَنْز وعَنْزة ، على ما جاء في لسان العرب . والعَنْز في كتب اللغة معان كثيرة منها : العُقاب وأنثى الصقور والنسور وضرب من السمك وطائر من طير الماء ، والعنز الأكمة ، والعنز الباطل الخ .

(٧) ليمون الجنة . — اسم جميل سمي به علمياً الليمون المعروف عند الإنكليز والأمريكيين باسم الكريب فروت (Grape - fruit) ، وهو اسم حرفته العامة في دمشق فصار يسمى غِريْبْفُون وكِريْبفُون .

ومن المعروف عند دارسي النبات أن تصنيفات جنس الليمون Citrus كثيرة ، وأن النباتيين كانوا يدخلون الكريب فروت في نوع الليمون الهندي Citrus decumana المسمى Pamplemousse بالفرنسية والفراسكين في لهجة الدماشقة ، فيجعلونه صنفاً أي ضرباً من ذلك النوع . ومنذ سنين قليلة جعلته حديقة النبات الملوكية في انكلترة نوعاً نباتياً مستقلاً وسمته علمياً Citrus paradisi أي ليمون الجنة . والظاهر أن مقترح هذا الاسم يسمى Macfarlane ولذلك صرنا نجد هذا الليمون منسوباً إليه في الموسوعات الحديثة أي أن اسمه العلمي أصبح Citrus paradisii macfarlane أي ليمون الجنة ، مَكْفَرلان .

وما برح علماء النبات يعدون ليمون الجنة هذا إما هجيناً وإما نتيجة افتجاء أي طفرة من الليمون الهندي .

(٨) مشتقات عجيبة من الأعيان — ذكرت في « كتاب المصطلحات العلمية في اللغة العربية » قراراً كان مجمع اللغة العربية في القاهرة اتخذه وهو : « اشتق العرب كثيراً من أسماء الأعيان . والمجمع يجيز هـذا الاشتقاق — للضرورة — في لغة العلوم » . ومن الأمثلة على ذلك قولنا كهربَ من الكهربا ، ومغنطَ من المغناطيس ، وحَرْجَ من الحَرَجة . كما قال القدماء ذَهَّبَ من الذهب ونحَّسَ من النحاس الخ .

ومما استوقف نظري لغرابته بضعة مشتقات قديمة جاءتني بها الباحثة المجدة الآنسة مالك هنانو المداومة على المجمع من مخطوطة (سير النبلاء) للذهبي في ترجمة أبي خليفة الفضل بن الحُباب الجُمَحي الأعمى البصري المتوفى سنة ٣٠٥ للهجرة . فالذهبي يقول في ترجمة أبي خليفة هذا : « الإمام العلامة الأديب الإخباري شيخ الوقت ... قال الصولي كنت أقرأ على أبي خليفة كتاب طبقات الشعراء وغير ذلك » .

ثم يذكر الذهبي قصة وقعت لأبي خليفة مع أمير البصرة جاء فيها أن الأمير دعاه إلى مأدبة ، فلما خرج سألوه عما جرى له فقال : أحضرَني مأدبته فأبطَّ وأدَّجَّ ، وأفرخَ وفَوْلَجَ لَوْذَجَ (كذا في المخطوطة بالذال وبلا واو العطف) . ومعناه أطعمنا أو قدم إلينا البط والدجاج والفراخ والفالوذج واللوزينج . أترى ابن خليفة وهو عالم استعمل هذه الأفعال المشتقة للتفكه ؟ فكلها لم تثبت بهذه المعاني في الأمهات المشهورة من المعجمات العربية . أم تراه تشبَّه بالإمام علي (رض) في قوله نيرزونا كل يوم من حلوى قدمت إليه يوم النيروز ، وقوله في المهرجان مهرجونا كل يوم .

(٩) اسم قَمَر الدين . — يطلق هذا الاسم في الشام ومصر وغيرهما من البلاد العربية على عصير المشمش يجفف في الشمس على ألواح من خشب فيصير شرائح تسمى قمر الدين . وهو إذا مُرث بالماء يحصل منه شراب لذيذ أكثر ما يستعمل في مصر ولا سيما في رمضان . وصناعة قمر الدين تكثر في الغوطة على ما هو مشهور .

ولم أهتد إلى زمن وضع هذا الاسم ، فهو ليس حديثاً بل ذكره ابن بطوطة (٧٠٣ — ٧٧٩ هـ) في رحلته فقال في ص ١٨٦ : « ... وفي قونية للشمش المسمى بقمر الدين وقد تقدم ذكره » .

وذكر القلقشندي (— ٨٢١ هـ) في صبح الأعشى (ج ٥ ص ٣٥٢) الجملة الآتية : (... وفيها « أي قونية » يوجد الشمس المعروف بقمر الدين » .

ولعل الثاني نقل الجملة المذكورة عن الأول . ومن الطبيعي أن المراد بكلمة المشمس هذه الشرائح المجففة لا ثمر المشمش . فمتى وُضع هذا الاسم ولأي سبب ؟

(١٠) الإضبارة والملَف . — منذ قامت الحكومة العربية السورية عقب الحرب العالمية الأولى طُلب من المجمع العلمي العربي أن يوصي بكلمة عربية صحيحة تستعمل في الدوائر الحكومية بدلاً من كلمة دوسية (Dossier) الدالة على جملة أوراق متعلقة بشخص أو بقضية أو بغير ذلك ، فأشار المجمع بكلمة « إضبارة » وهي صحيحة وحسنة وجمعها أضابير . في اللسان : الإضبارة الحزمة من الصُّحُف وهي الإضمامة . وعن ابن السكيت يقال جاء فلان بإضبارة من كتب وإضمامة من كتب . وهي الأَضابير والأَضاميم . وعن الليث إضبارة من صُحُف أو سهام أي حُزْمة الخ .

وفي القاموس : والإِضبارة بالكسر والفتح الحزمة من الصحف ج أضابير » .

فمن البيّن إذن أن كلمة الإِضبارة هي اصطلاح حسن يجوز استعماله أمام كلمة Dossier الفرنسية . أما كلمة المِلَف فلا وجه لها . وهي اسم آلة من لفَّ الشيءَ بالشيء أي ضمه إليه ووصله به . وهي بمعنى الدوسية محدثة تستعمل في مصر . ولذلك أثبتت في المعجم الوسيط وذُكر أنها محدثة . وعُرفت فيه بأنها : « الإضبارة تجمع أوراقاً مختلفة في موضوع واحد أو أكثر » .

والإضبارة تستعمل في ديار الشام منذ نحو نصف قرن على ما مر ذكره ؛ أما الملف المحدثة فقد أخذت تنتشر فيها حديثاً بتأثير صحافة مصر وإذاعاتها .



مصطفى الشهابي

أمثلة

من الأغلاط الواقعة في لسان العرب

- ٦ -

(٦٠)

من لطائف المطبعيات ما ورد على الهامش في مادّة عَلَف .

قال المصحّح : « ضُبط في الأصل والصحاح بِسرّ المكيم » فافهم يا فهيم !

قد يكون المقصود من « بسرّ المكيم » بكسر الميم والله أعلم على رأيهم .

هذه غلطة مطبعية إذا ذُكِرت فمن باب الدّعاب ولكنْ في تفسير هذه المادة غلط دماغيّ يظهر عملُه السّيّئ في كثير من كتب اللغـــة ، وهو الاتّكال الدائم وبصورة قطعيّة على ما قال فلان وقال فلان ـ فبين « ابن بَرّي أنكرَهُ » و « ابن جِنّي أثبتَهُ » و « في الصحاح كذا » و « قال في القاموس كذا » تحدث الفوضى . ـ مثالُه : قال اللسان « والمِعلف (بكسر الميم) موضع العَلَف » ـ فكتب المصحّح على الهامش « قولُه والمِعْلف موضع العلف ضُبط في الأصل والصحاح وصرّح به في المصباح . وقال في القاموس « هو كمَقعَد » ـ كتبَهُ مصحّحه » . فالمصحّح ألقى المسؤولية على ابن منظور والجوهري والفيّومي من جهة وعلى الفيروزابادي من جهة ولم يشأ تركَ الاعتدادِ بمن قال ـ وهو لو اعتدّ بمطابقة ما قيل لأحكام اللغة (وهي فوق كل فردٍ مهما كان) لكتب على الهامش : « اتفقوا على أن المعلف موضع العلف ـ والموضع مكان وما يدلّ عليه يقال له اسم المكان واسم المكان لا يكون بكسر الميم بل بفتحها فالمجد مصيب في قوله كمقعد أي مَعلف بفتح الميم . » وانتهى الأمر .

* * *

(٦١)

مادة ص و ب — أصْوَب .

قال : «وأصابَهُ بكذا فَجَعَهُ بهِ وأصابهم الدهر بنفوسهم جاحهم فيها ففجعهم — ابن الأعرابيّ : ما كنت مُصاباً ولقد أُصِبْتُ وإذا قال الرجل لآخر أنت مُصاب قال أنتَ أصْوَبُ منّي حكاه ابن الأعرابيّ» .

(١) أفعل التفضيل لا يُبنى ممّا فوق الثلاثي .

(٢) « « لا يُبنى ممّا هو للمفعول .

فأنت أصوب مني تفضيل من مُصاب وهذه من الرباعي والمفعـــول . فالقول فاسد مضلّل .

أمّا الصحيح فهو ورود أصوب من صاب بمعنى صاب السهم قَصَدَ الرميّةَ ولم يحد ومنهُ رأي صائب وكذلك صاب الغيثُ — وأنا أرى غيرَ هذا المذهب أصوب» . هذه جملة من «العمدة» وبناؤها صحيح .

★ ★ ★

(٦٢)

مادّة فتن — اِستَفْتَنَ .

لا يذكر اللسان فعل استفتن . [ولا غيرهُ ذكرَهُ في ما اطّلعت عليه] وهذا الفعل وارد في شعر جرير — ولكنّ المطالبة به ليست لأنهُ وارد في شعر جرير وحسبُ بل لأنّ صاحب اللسان استشهد ببيت لجرير فيه هذا الفعل .

قال : «القَوْس [بضمّ القاف] صومعة الراهب قال جرير وذكر امرأة :

لا وَصْلَ إذ صُرِفت هندٌ ولو وقفت . لاستَفْتَنَتْني وذا المِسْحَين في القَوْسِ

وفي المادّة ذاتها يقول فُتّان (بضم الفاء) جمع فَتّان (بفتحها) — ولا يقدّم شواهد .

وزن فُعّال (بضمّ الفاء) جمع لفاعلٍ صحيح اللام وصفاً لمذكر أو لمؤنّث : حُرّاس ، طُلاّب . وندر استعماله في معتلّ اللام ولغير فاعل :

وفُعَّلٌ لفاعلٍ وفاعلهْ وصفين نحو عاذلٍ وعاذلهْ[1]
ومثلُه الفُعّال في ما ذُكرا وذان في المُعَلّ لاماً ندرا

فقوله إمّا غير صحيح وإمّا غير تامّ — فإنْ وَجدَ شاهداً لشاعرٍ معترفٍ به في بيت ليست فيه ضرورة وزن أو قافية فعليه بعد تقديم الشاهد أن يقول وهذا جمع شاذّ أو نادر وما الداعي إلى هذا سوى وقاية الطالبِ خَطَرَ القياس عليه فالنادر لا يقاس عليه .

وفي هذه المادة أيضاً يقول إنّ أبا بكر رأى بلالاً وقــد مُطّي في الشمس (بتشديد الطاء — مجهول من الرباعي) وفي مادّة م ط و يقول إنّه رأى بلالاً وقد مُطي (بلا شدّة مجهول ثلاثي) — ولا يذكر الفعل الرباعي مطّى في المادّة . فإن وُجد هذا الفعل الرباعي للمبالغـــة في معنى الثلاثي كما استعمله في ف ت ن وجب ذكرُه في م ط و . وإن كان غير موجودٍ في اللغة وجب تصحيح ما كتبَه في ف ت ن .

★ ★ ★

(٦٣)

مادّة ف ض ى — أفضى .

نصّه صريح صحيح . « أفضيت إليه بسِرّي » — الفعل يتعدّى بالباء . ولكن إذا قرأنا مادة ب ط ن نجد « أنّ المؤمنين نُهُوا أن يُفضوا إليهم

(١) لانهما في ألفية ابن مالك .. (لجنة المجلة)

أسْرارَهم، وهي ليست مطبعيّة لأنّه وضع فتحة على الراء الثانية أي أنه أعربها مفعولاً به .

★ ★ ★

(٦٤)

مادة خ ش ي .

يقول : « هذا المكان أخشى من ذلك أي أشدّ خوفاً » .

لنبتدئ بتفسيره الواقع بعد أي : أشدّ خوفا ، بموجب ما يقوله هو في مادة خ و ف ، معناها الذي يخاف أكثر من غيره . فهل ينطبق هذا المعنى على ما يعنيه في عبارة هذا المكان أخشى من ذلك ؟

وفي أسفل الصفحة يقول مكرّراً : وهذا المكان أخشى من هـــذا أي أخوَف منه . جاء فيه التعجّب من المفعول وهذا نادر وقد حكى سيبويه منه أشياء .

كرّر الخطأ ولكنه في التكريرة قال وهذا نادر وكان عليه أن يقول هذا في المرّة الأولى .

استند في قوله الأوّل إلى بيت للعجّاج « قطعت أخشاه إذا ما أحبّجا » ولا يصحّ الاستناد إلى بيت شعر مخالف للقواعد لضرورة الوزن وإن كان قائله العجاج . وفي المرّة الثانية استند إلى « وقد حكى سيبويه منه أشياء » وهو استناد ضعيف لأنه لم يذكر الأشياء المحكيّة ولأن أحكام اللغة أعلى من سيبويه .

ثم إنه قال « جاء فيه التعجّب من المفعول » . وهو يعني التفضيل . الصّيغة واحدة ولكن التعجب شيء والتفضيل شيء آخر فلا يجوز أن يُخلط الواحد بالآخر في المعجَم .

عود إلى السطر الأوّل : « أي أشدّ خوفاً » .

في تفسيرِهِ الخطأ « أخشى من ذلك » خطأ آخر . فبدلاً من أشدّ خوفاً كان عليهِ أن يقول أشدّ إخافةً .

★ ★ ★

(٦٥)

مادّة م ل و ـ تملّى .

يقول : تملّى العيشَ ، تملّيتُ حبيباً ، تملّى إخوانَهُ أي تمتّعَ (بهِ أو بهم) .

فِعْل تملّى يتعدّى بنفسِهِ (بلا واسطة) إلى المفعول بهِ والأمثلة التي قدّمهــا تبيّن ذلك . ولكنّه في مادّة ل ب س خالف نفسَهُ فقال لبِسَ قوماً تملّى بهم دهراً فعدّى الفعلَ بالحرف . وبجد الدين فعل فعل ابن منظور وبالأمثلة نفسها فكأنّها نقلا عن كتابٍ واحد .. وجاءَ بعدهما نُقّال عصرنا والذي قبلَهُ فأوردوا الأمثلة عينها بالخطإ ذاتهِ ـ أمّا الزمخشري فانهُ قال لبِستُ أبي تمليّتُ عمرَهُ ولبسَ أباهُ = مليّهُ .

★ ★ ★

(٦٦)

مادة س ط ر : أسطورة .

قال : « الأساطير أحاديث لا نظام لها . قال أبو الحَسَن لا واحد لها . وقال أبو عُبيدة جُمِع سطر على أسطر ثم جمع أسطر على أساطير ـ وقال اللحياني واحد الأساطر أسطورة وإسطير وإسطيرة وقال قومٌ أساطير جمع أسطار وأسطاز جمع سطر ـ وقال .... سطّر الأساطير وسطّر علينا أتانا الأساطير » ـ وعلى هذا النّسق جرّهُ .

كل ما قالوهُ في هذه المادّة شبيهٌ بما قالوهُ في الاسطرلاب والمُدُ وإبليس وتُمتّت فلا يُعتدّ بهِ ، في العصور التي ظهرت فيها الأساطير لم تكن كتابة ولا تسطير ـ فالأساطير كانت تُروى عصوراً طوالاً قبل أن تُسطَّر . وأكثر الأمم القديمة أساطيرَ اليونان ويُقال للقصة عندهم إستوريا Istoria فجاءَت إلينا كما جاءَ إبليس « ديابُلُس » .

★ ★ ★

(٦٧)

مادّة ص ر ر ـ صرصر

قال : « والصَّرْصَر دويبّة تحت الأرض تصيرُ أيامَ الربيع » .

الخطأ في قولهِ تحت الأرض ظاهر وتصِرّ في أيام الصيف أيضاً ، إلاّ إذا كان قصدهُ أنّ الصيف كان يقال لهُ الربيع الآخر » .

★ ★ ★

(٦٨)

مادّة ر ب ع ـ ربيعة .

قال : « وربيعة الفَرَس أبو قبيلة رجلٌ من طَيّئٍ وهو ربيعة بن نِزار ابن مَعَدّ بن عدنان وأخوهُ مُضَر الحمراء » .

وفي مادّة ط و ء ـ طَيّئ .

قال « طيّئ أبو قبيلة من اليمن وهو طيّئ بن أُدَدَ بن زيد بن كهلان ابن سَبَأ بن حِمْيَر » ـ وعدم الضبط لا يحتاج إلى التبيين .

يتبع : (سنبولو) توفيق داود قربان



بيان عن أعمال مجمع اللغة العربية بدمشق (المجمع العلمي العربي)

في دورة سنة ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥

يسعدني أن أقدم إلى السادة الزملاء بياناً موجزاً عما أنجزه المجمع خلال الدورة السابقة من المشروعات التي كان أقرها مجلسكم الموقر ، ومن أهم هذه المشروعات طبع (١٦) كتاباً بالإضافة إلى المثابرة على إصدار مجلة المجمع .

إن المجلة سارت سيرها الطبيعي وصدرت أعدادها في مواعيدها ، وكان الجزء الأول من المجلد الأربعين جزءاً ممتازاً خاصاً بذكرى البدء باصدار ذلك المجلد الأربعين من المجلة ، وامتاز هذا الجزء بزيادة حجمه ووفرة مواده وتنوع أبحاثه ، واشترك بتحريره نخبة من أعضاء المجمع العاملين والمراسلين ومن أعلام أدباء البلاد العربية . وقد نال هذا الجزء إعجاب كل الذين اطلعوا عليه من عرب ومستشرقين .

أما في موضوع الكتب المخطوطة فقد تم طبع أكثر الكتب المقررة ، ونأمل أن ينجز الباقي منها خلال المدة الباقية من هذه السنة ، ويحول ما يبقى منها إلى الدورة القادمة ، وقد تم فعلاً طبعها أو قاربت نهاية طبعها وعددها أربعة عشر كتاباً وهي :

١ ـ المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث : بقلم الأستاذ الرئيس الأمير مصطفى الشهابي .

٢ ـ أخلاق الوزيرين (أو مثالب الوزيرين) لأبي حيان التوحيدي : بتحقيق الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي .

٣ ـ جمهرة المغنين لخليل مردم بك : بمراجعة الأستاذين عدنان مردم بك وأحمد الجندي .

٤ — ما بنته العرب على فعال للصغاني : بتحقيق الدكتور عزة حسن .

٥ — الجامع في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره لسليم الجندي (الجزء الثالث) : بتعليق وإشراف الأستاذ عبد الهادي هاشم .

٦ — تراجم الأعيان من أبناء الزمان للبوريني (الجزء الثاني) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

٧ — شعر دعبل الخزاعي : صنعة للدكتور عبد الكريم الأشتر .

٨ — ديوان عبد الرحمن ابن النقيب : بتحقيق الأستاذ عبد الله الجبوري ومراجعة الأستاذ أحمد الجندي .

٩ — قرة العيون في أخبار باب جيرون لابن طولون الصالحي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

١٠ — الوهراني ورقعته عن مساجد دمشق : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

١١ — فهرس مخطوطات الظاهرية (قسم الحديث) : وضع الأستاذ الشيخ ناصر الدين الألباني .

١٢ — فهرس المجلدة العاشرة من تاريخ دمشق لابن عساكر : وضع الآنسة مالك هنانو .

١٣ — جزء من ديوان الفرزدق : بمقدمة وتعليق الدكتور شاكر الفحام (سيباشر طبعه قريباً جداً) .

١٤ — معجم مصطلحات الآثار القديمة (فرنسي عربي) وضع الأستاذ الأمير يحيى الشهابي ومراجعة لجنة مجمعية ومن موظفي مديرية الآثار (سيباشر طبعه هذا العام ونأمل أن يتم طبعه خلال النصف الأول من السنة القادمة) .

وقد تأخر طبع بقية الكتب المقرر طبعها في السنة المالية الحالية لعدم انجاز تحقيقها ولذلك حل محلها غيرها من الكتب الجديدة التي لم تقترح في الدورة السابقة .

الشؤون الادارية :

١ — إن موضوع ملء المقاعد الشاغرة بين الأعضاء العاملين والأعضاء المراسلين لم يتخذ أي قرار بشأنه لأنه يتعـــذر تأمين النصاب القانوني اللازم للانتخاب بسبب غياب أكثر من ثلث الأعضاء العاملين عن سورية .

٢ — تم استملاك واستلام القسمين من العقارين المجاورين لدار الكتب الظاهرية وهدمت الأبنية القديمة القائمة عليها تمهيداً لتنفيذ مشروع التوسيع في قاعات المطالعة والمستودع . وقد طلبنا إلى وزارة الأشغال العامة أن تعهد إلى أحد مهندسيها ليتولى وضع التصميم المطلوب تنفيذه .

٣ — وافق المجمع تنفيذاً للاتفاقية المبرمة بين سورية والاتحاد السوفياتي — على استقدام خبير روسي عالم بحفظ المخطوطات وترميمها وصيانتها ، ليعمل في دار الكتب الظاهرية مدة ثلاثة أشهر ضمن اختصاصه وأن يتحمل المجمع نفقات إقامته وتنقلاته في سورية .

٤ — تم جرد محتويات خزانة كتب المجمع والمستودع والأثاث بناء على طلب وزارة المالية ، وقد استغرق هذا الجرد بضعة أشهر .

اهداء الكتب :

أهدى ابن دمشق البار السيد فخري البارودي خزانة كتبه الثمينة إلى المجمع وبلغ عددها نحو أربعمائة مجلد تضم جملة نفيسة من الكتب والمجاميع الموسيقية النادرة مع مخطوطات من تآليفه الخاصة . وقد وجه إليه المجمع كتاب شكر وتقدير على هذه المأثرة الحميدة .

ـ دار الكتب الوطنية الظاهرية ـ

عدل الدوام في دار الكتب من ست ساعات إلى اثنتي عشرة ساعة يومياً وزيادة ساعتين إضافيتين في أيام الامتحانات المدرسية ، وكان لهذا التدبير أطيب الأثر في نفوس المواطنين المخلصين من رواد المكتبة ، وابدى موظفو ومستخدمو المكتبة جهداً مشكوراً لتحقيق رغبات المطالعين .

أغلقت المكتبة أبوابها أثناء العطلة الصيفية وانصرف موظفوها والمستخدمون للقيام بجرد تام لمستودعات الكتب المخطوطة والمطبوعة ، وتم هذا الجرد في تلك المدة لأول مرة منذ تأسيس المكتبة وتم في دقة وتنظيم .

ابتاع المجمع للمكتبة جهازاً حديث الصنع لنقل نسخ ثانية عن الأفلام الأصلية للمخطوطات المصورة حتى تتمكن المكتبة بواسطته من تلبية الطالبات التي تردها للحصول على أفلام مصورة لبعض المخطوطات من دون أن تلجأ إلى تكرار استعمال المخطوط في كل مرة يراد تصويره وذلك صيانة للمخطوط وحفظه من التداول المستمر .

انتهت المكتبة من وضع فهرس لكتب الحديث المخطوطة وقد عهد بوضعه إلى الأستاذ الشيخ ناصر الدين الألباني وباشر المجمع طبعه وانتهت من وضع فهرس مخطوطات الظاهرية (قسم الطب) : وضعه الأستاذ الدكتور سامي حمارنة .
كما أنها جادة في إنجاز فهرس كتب اللغة والأدب المخطوطة وهذا الفهرس باشرت وضعه أمينة المخطوطات السيدة أسماء الحمصي .

. ودخل المكتبة بطريقة الإهداء أو الشراء (١١٠٧) مجلدة ورسالة مخطوطة ويضاف إلى هذا العدد (٤٢) مجلدة مخطوطة أخرى جمعت من الدشت الموجود في المستودع ، وهذا أكبر عدد يدخل من المخطوطات إلى المكتبة خلال سنة واحدة .

الوفيات :

فقد المجمع عضواً من أعضائه المراسلين وعلماً من أعلام الأمة العربية وهو : المرحوم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي تغمده الله برحمتـــه ورضوانه .

مشروعات المجمع

للدورة الحالية (١٩٦٥ — ١٩٦٦)

إن نشر التراث العربي القديم هو من أكبر مهام مجمعنا ومن أبرز الأعمال التي حققها ، وقد حظي عمله بتقدير أهل الفضل في البلاد العربية وإعجاب المستشرقين في البلاد الأجنبية ، لذلك أولينا هذه الناحية ما تستحقه من الاهتمام ، وعزم المجمع في هذه الدورة أن يطبع بالإضافة إلى المجلة الكتب التالية :

١ — خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني في (قسم بلاد العجم) : بتحقيق الدكتور شكري فيصل .

٢ — الاعرابيات لخليل مردم بك : بتعليق وإشراف الأستاذين عدنان مردم بك وأحمد الجندي .

٣ — تاريخ دمشق لابن عساكر (القسم الثاني من المجلدة الثانية) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

٤ — الدلائل في شرح غريب الحديث لقاسم بن ثابت السرقسطي : بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي .

٥ — فهرس مخطوطات الظاهرية (قسم الطب) : وضعه الدكتور سامي حمارنة .

٦ — فهرس مجلة المجمع العلمي العربي (الجزء الرابع للمجلدات ٣١ — ٤٠) : وضع الأستاذ عمر رضا كحالة .

٧ — التلخيص في معرفة أسماء الأشياء لأبي هلال العسكري : بتحقيق الدكتور عزة حسن .

٨ — زجر النابح لأبي العلاء المعري : بتحقيق الدكتور أمجد الطرابلسي .

٩ — ديوان الغزي : بتحقيق الدكتور شكري فيصل .

١٠ — كتاب المفوات النادرة لغرس النعمة الصابي : بتحقيق الدكتور صالح الأشتر .

١١ — معجم مصطلحات الآثار القديمة (فرنسي — عربي) : وضع الأستاذ الأمير يحيى الشهابي ، ومراجعة لجنة من أعضاء المجمع ومن مديرية الآثار القديمة .

١٢ — شرح أرجوزة أبي نواس « وبلدة فيها زور » لابن جني : بتحقيق الأستاذ الشيخ بهجة الأثري .

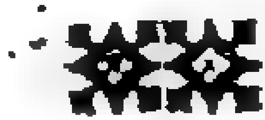
١٣ — مقدمة كتاب الحشائش والأدوية لدسقوريدس بترجمة مهران بن منصور ابن مهران وتعريف الدكتور صلاح الدين المنجد .

ومن الأمور التي تقلق المجمع ضيق بناء المكتبة الظاهرية في حالتها الحاضرة ، وقد فكر المجمع منذ عدة سنين في إصلاح البناء وتوسيعه ، ولم يتوفق لذلك . والآن تمكن المجمع بعد جهد سنوات من استملاك ما يحتاج إليه لتوسيع المكتبة وعزلها عن العقارات المجاورة الخطرة . واعتمد المال اللازم ، ولكن تأخير إنهاء الدراسة الفنية لهذا المشروع حال دون مباشرة العمل ونأمل أن يتم ذلك خلال السنة القادمة .

هذه خلاصة أعمالنا وأوضاعنا فأرجو أن يتفضل الزملاء الأفاضل بابداء ما عندهم من الملاحظات سواء فيما تم من الأعمال أو فيما يراد عمله . وفقنا الله جميعاً في خدمة لغة القرآن وفي نشر كنوز الأجداد .

(جلسة ١٩٦٥/١٠/٧) أمين المجمع

جعفر الحسني



إهداء كتب

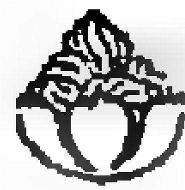
أهدت المواطنة الفاضلة الآنسة فلك طرزي دار الكتب الوطنية (الظاهرية) بمجموعة من المخطوطات الثمينة والمطبوعات القيمة من مخلفات جدها الكبير الشيخ عبد الغني النابلسي . وهي بادرة طيبة تسجل لها مع الشكر ، آملين أن يكون عملها هذا أسوة حسنة للذين عندهم من المواطنين الكرام شيء من هذه المخطوطات والمطبوعات لأن في ذلك خدمة جليلة للغة العربية وقرائها .



أغلاط مطبعية وتصويبات

صفحة	سطر	غلط	صواب
٧٥١	١٢	مجلة	مجلته
٧٥٢	٧	ونسبه	ونسبة
»	٩	يصححا	يصححها
٧٥٤	١٥	صيغة	صيغه
٧٥٥	٢١	وقعت	وقد وقعت
٧٥٧	٢١	واستمهال	واستفحال
٧٥٨	٩	مواطنيهم	تواطنهم
٧٦٤	١٤	منها	منها
٧٦٤	١٦	بوها	وهو

صفحة	سطر	غلط	صواب
٧٦٧	١٤	للجهال	الجمال
٧٦٩	٢٢	في احتراز	لا احتراز
٧٧١	٨	من كثرة	كثرةٌ
٧٩٨	١٣	ألفاظ عربية المادة خرجتها العامة في صيغة لم تسمع عن العرب	خرجتها العامة على صيغة معروفة إلا أن اللفظة لم تسمع عن العرب
٨٠٣	٦	على صيغة لم تسمع عن العرب	على صيغة معروفة إلاَّ أن اللفظة لم تسمع
٨٠٤	٢١	للقدم	للفلم
٨٠٥	٣	بمصر على من (مَلَّ)	في مصر على من (قَلَّ)
٨٠٥	١٧	فهذه وأمثالها أكثر	فهذه وأمثالها كثير
٨٠٦	١	فالزنقة	الزنقة



الجزء الثاني　　　　　　　　المجلد الحادي والأربعون

مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

١ نيسان (أبريل) سنة ١٩٦٦ م　　١١ من ذي الحجة سنة ١٣٨٥ هـ

تأويلات

في «المصون في الأدب» لأبي أحمد العسكري أن أوّل من وضع العربية أبو الأسود، جاء إلى زياد بالبصرة فقال: إني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم، وقد تغيّرت ألسنتها، أفتأذن لي أن أضع كلاماً يعرفون – أو يقوّمون – به كلامهم، قال: لا، فجاء رجل إلى زياد فقال: أصلح الله الأمير، توفّي أبانا وترك بنوناً، فقال زياد: توفّي أبانا وترك بنوناً! ادعوا لي أبا الأسود، فقال له: ضع للناس ما أردت أن تضع لهم.

جاء هذا الخبر في فصل عنوانه: تاريخ العربية، وقد ذكرت في هذا الفصل طائفة من الذين برعوا في النحو، ولكن الذي يهمّنا في الخبر أن العصر الذي عاش فيه زياد كان فيه تباعد بين العامية والفصحى،

فهل كان ذلك العصر أول التباعد ، أم جاء قبله زمن بعدت فيه العربية عن الفصحى ، وهل تناهى إلينا قليل أو كثير من مفردات العامة وتراكيبها في لغتها ، نظن أن هذا الأمر لا يزال ثلمة في تاريخ أدبنا ، فكثير من حياة العامة في تلك العصور ، فضلاً عن لغتها ، لا يزال مطوياً عنا . وكل ما نعرفه في هذا الباب أنه على قدر القرب من خطط العرب ، ولا سيما أهل الحجاز ، والبعد عن بلاد العجم كانت سلامة الألسنة من الفساد ، وعلى قدر المجاورة للفرس والنبط وغيرهم كان الوقوع في الخطأ واللحن .

وقد امتد تغير ألسنة العامة حتى عصر الكسائي فقد أراد الكسائي أن يشتري بابين ، فوقف على نجار فقال له : بكم ذانك البابان ، والنجار عامي لم يألف هذه الطبقة من الكلام ، فقال للكسائي : بسلحتان ! » فحلف الكسائي ألا يكلم عامياً إلا بما يوافقه ويشبه كلامه .

إمام من أئمة النحو والعربية ، مؤدب ولد الرشيد ، إذا قام ليلبس نعله لحاجة يريدها ابتدرها الأمين والمأمون فوضعاها بين يديه ، وإذا اعتل علة منكرة أتاه الرشيد ماشياً ، متفزعاً وخرج من عنده وهو مغموم جداً ، يسخر منه نجار عامي لحرصه على اللغة وتفاديه من الخطأ واللحن .

المهم في كل ما تقدم أن لغة العامة في عصر زياد ، ثم في عصر الكسائي ، وهو عصر الرشيد كانت تختلف عن لغة الخاصة وقد استمر هذا الاختلاف ، فقد جاء في القرن السادس إمام النحو في اليمن ، الحسن بن اسحاق اليمني ، فخاف ما كان يخافه الكسائي ، فلم يخاطب العامة إلا بما يحسنون من كلامهم ، فقال :

لعمرك ما اللحن من شيمتي ... ولا أنا من خطأ ألحن
ولكنني قد عرفت الأنام ... فخاطبت كلاً بما يحسن

وفي هذين البيتين دليل على أن الخاصة كانت تضطر إلى الانحدار إلى لغة العامّة في المخاطبات حتّى يتم التفاهم من جهة ، وحتّى لا يقع شيء من السخرية ، من جهة ثانية .

أما العصر الذي نعيش فيه فلا يزال اللحن شائعاً ، حتى في لغة الخاصة ، وإن كنّا نجد في بعض لغة العامّة ارتفاعاً إلى الفصحى في المفردات والتراكيب ، ونعتقد أن بين لغة العامّة في هذه الأيّام وبين لغتها قبل أربعين أو خمسين سنة فرقاً ليس بيسير ، وعلى الرغم من شيوع الخطأ واللحن في لغة العامة من عصور بعيدة فقد عاشت في آفاقها تراكيب كثيرة ومفردات كثيرة فيها روح الفصاحة ، من هذه التراكيب قولنا : أكل الدهر عليه وشرب ، أو قولنا : إذا لم تستح فاصنع ما تشاء .

أمّا المثل الأول : أكل الدهر عليه وشرب ، فإنّا نستعمله في أحاديثنا للاشارة إلى كل أمر قديم أو شيء عتيق ، فكلّ أسلوب من أساليب الحياة مرّ عليه الزمن الطويل حتى بطل صلاحه فإنما تعبّر عنه العامّة ، حتى الخاصة بقولهم : أكل الدهر عليه وشرب ، غير أن إماماً من أئمة الأدب في القديم قد فسّر لنا هذا المثل تفسيراً يختلف عن فهم العامّة والخاصة له ، يقول المبرّد في كامله : ومن أمثال العرب إذا طال عمر الرجل أن يقولوا : لقد أكل عليه الدهر وشرب ، إنما يريدون أنه أكل هو وشرب دهراً طويلاً ، قال الجعدي :

كم رأينا من أناس هلكوا أكل الدهر عليهم وشرب

والعرب تقول : نهارك صائم وليلك قائم ، أي أنت قائم في هذا وصائم في ذاك ، ثم أفاض المبرّد في الاستشهاد في هذا المجال ، فأصل معنى هذا المثل : أكل الدهر عليه وشرب ، بحسب رأي المبرّد أن الرجل قد طال

عمره حتى أكل هو وشرب دهراً طويلاً ، فاذا صحّ تفسير المبرّد ، وهو من أئمة الأدب ، فلم يبق من أصل معنى المثل شيء في يومنا هذا ، فقد تصرّفت العامّة والخاصّة فيه كل تصرّف ، حتّى نقلوه من وجه إلى وجه .

أمّا التركيب الثاني فهو قولنا : إذا لم تستح فاصنع ما تشاء ، ظاهر معناه أن الرجل إذا مات فيه الحياء فيلصنع ما يشاء فلم يبق منه موضع للوم أو تبكيت أو خجل ، وما شابه ذلك ، وهذا تركيب شائع في مخاطبات العامّة والخاصّة ، إلاّ أن أحد الأئمة ذهب في تفسير هذه الجملة مذهباً يختلف الاختلاف كله عمّا نذهب إليه ، قال ياقوت في معجم الأدباء : وحدّث المبرّد قال : سمعت المازني يقول : معنى قولهم إذا لم تستح فاصنع ما شئت ، أي إذا صنعت ما لا يُستحى من مثله فاصنع منه ما شئت ، وليس على ما يذهب إليه العوام ، قلت : وهذا تأويل حسن .

فاذا صحّ تأويل المازني لهذا القول المأثور : إذا لم تستح فاصنع ما تشاء ، فما أدري ما بقي من أصل معناه الذي تفهمه العامّة والخاصّة ، فقد خرجنا بمعناه عن أصله حتى لم يبق له أثر .

ولا بأس بأن ننتقل من هذه التأويلات إلى لفظ مستفيض في كلام العامّة والخاصة على السواء ، إنّا نسمع كل يوم في مخاطباتنا وأحاديثنا هذا اللفظ : متكاتفون ، ونحن نريد بهذا الاسم أنهم متضافرون ، متعاونون ، والظاهر أن هذه المادّة قد حرّفت ، ففي أخبار الخوارج في كامل المبرد وردت هذه الجملة : ثم انهم تراجعوا وتكانفوا ، وقد وردت : تكانفوا ، بالنون لا بالتاء ، ووضّح الأخفش معنى هذا اللفظ وردّه إلى أصله فقال : تكانفوا ، أعان بعضهم بعضاً واجتمعوا وصار بعضهم في كنف بعض . . .

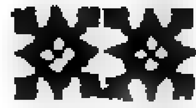
فلا شك في أن ورود لفظة : كنف قد حلّ المشكلة ، ولم أجـــد في معجم الفيروزابادي لفظ : تـكاتفوا ، بالتـــاء ، وإنما وجدت فيه : تـكانفوا ، بالنون .

★ ★ ★

ما هي نتيجة هذه التأويلات :

إذا تباعدت العامية والفصحى من أحقاب مديدة فقد بقيت في العامية جمل ومفردات عاشت سنين طويلة ، مثل الجمل التي ذكرتها في هذا المقال ، وسواء أفهمنا معاني هـــذه الجمل على الوجه الذي وضّحه المبرّد والمازني والأخفش أم فهمنا معانيها على الوجه الذي تصرّفنا فيه ، إن لغتنا العامّة قد اتسع أفقها بأمثال هذه الجمل من بقايا الفصاح ، أمّا القول في هذه التأويلات من حيث الخطأ والصواب فإنما يرجع إلى أئمة اللغة في هذا العصر ولست واحداً منهم .

شفيق جبري



الاصطلاحات الفلسفية

- ٢٥ -

رأس المال

في الفرنسية Capital

في الانكليزية Capital

في اللاتينية Capitalis

إذا استقرض المرء مبلغاً من المال وجب عليه أداؤه مع فوائده عند الأجل . ويسمى المبلغ الأصلي المجرد من الفوائد برأس المال .

غير أن بعض علماء الاقتصاد يوسعون معنى هذا اللفظ فيطلقونه على كل ثروة منتجة كالمزارع والمساكن والمعامل والآلات والأدوات والأوراق المالية والمتاجر بخلاف المآكل والملابس وأدوات الزينة فانهم لا يعتبرونها رؤوس أموال .

وإذا قصرنا الآن كلامنا على الناحية الفلسفية فقط أطلقنا اصطلاح رأس المال على المعنيين الآتيين :

١ — يطلق رأس المال على كل ثروة من جهة ما هي جالبة لصاحبها دخلاً . والمقصود بالدخل هنا العوائد والأرباح وبدلات الإيجار وغيرها .

٢ — ويطلق رأس المال أيضاً على كل ثروة من جهة ما هي معدة لإنتاج ثروات أخرى .

ورأس المال عنوان كتاب (كارل ماركس) (١٨٦٧) وهو انجيل الاشتراكية الاقتصادية المعاصرة ، جاء فيه أن قوانين تطور الأمم تابعة للأحوال المادية ، وأن الظواهر الاقتصادية تؤثر في كل حركة اجتماعية ، وأن النظام القائم على رأس المال حالة موقتة ، وأن قيمة الشيء ترجع إلى كمية العمل المدخرة فيه ، الخ .

ويطلق لفظ (الرأسمالية) Capitalisme في أيامنا هذه على النظام الاجتماعي الذي يكون فيه العمال غير مالكين للثروات التي يستثمرونها . ويطلق أيضاً على مذهب من يرى أن الفصل بين العمل ورأس المال أصلح لزيادة الانتاج وتحقيق الرخاء والعدل وتوفير الخير والسعادة . والرأسمالي هو المنسوب إلى رأس المال تقول رجل رأسمالي أو مشروع رأسمالي ، أو نظام رأسمالي ، الخ .

الرأي

في الفرنسية	Opinion
في الانكليزية	Opinion
في اللاتينية	Opinio

الرأي في اللغة الاعتقاد والعقل والتدبير ، تقول رآه رأي العين ، أي ظنه بحسب مقتضى مشاهدة العين . وقيل : الرأي اعتقاد النفس أحد النقيضين عن غلبة الظن ، وقيل أيضاً : الرأي إجالة الخاطر في المقدمات التي يرجى منها إنتاج المطلوب .

والرأي في اصطلاحنا حالة للنفس تقوم على اعتقادها صدق القضية مع التسليم بأنها قد تكون مخطئة في اعتقادها . لذلك قال (كانت) : الرأي هو اعتقاد صدق القضية مع الشعور بأن الأسباب الموضوعية والذاتية لذلك الاعتقاد غير كافية .

وكل قضية فرضها فارض فهي رأي . والفرق بين الرأي واليقين أن اليقين هو الاعتقاد المستند إلى أسباب موجبة تنتج المطلوب اضطراراً ، كاعتقادنا أن ٢ × ٢ = ٤ ، على حين أن الرأي هو الاعتقاد الذي تكون فيه أسباب الإيجاب أقوى من أسباب النفي ، كاعتقادنا أن الاقتصاد الموجّه أفضل من الاقتصاد الحر . وإذا كانت أسباب الإيجاب مساوية لأسباب النفي توقف العقل عن الحكم ووقع في الشك . فالرأي إذن هو الاعتقاد المحتمل ، لا الاعتقاد اليقيني ، وهو وسط بين الشك واليقين .

والرأي العام (Opinion publique) هو الاعتقاد الجماعي أو الحكم الذي يشترك فيه الجمهور . وهو لا يوجب أن يكون أصحابه شاعرين بما فيه من خطأ أو ضعف .

الرؤيا

الرؤيا ما يرى في النوم ، وجمعه رؤى . وقد يطلق لفظ الرؤى على أحلام اليقظة ، (Rêverie) . والفرق بين الرؤيا والرؤية أن الرؤيا مختصة بما يكون في النوم على حين أن الرؤية مختصة بما يكون في اليقظة . فالرؤيا بالخيال ، والرؤية بالعين ، والرأي بالقلب . ومنه رؤى المصلحين الاجتماعيين وأحلام الفلاسفة راجع لفظ الحلم (Rêve) ،

الرؤية

في الفرنسية	Vision
في الانكليزية	Vision
في اللاتينية	Visio

الرؤية هي المشاهدة بالبصر ، وقد يراد بها العلم مجازاً ، وإذا كانت مع الإحاطة سميت إدراكاً .

وتطلق الرؤية في الفلسفة الحديثة على وظيفة حاسة البصر (راجع لفظ البصر) . قال (برغسون) : للرؤية عند مختلف الحيوانات درجات متفاوتة ، بحيث تكون قوتها واحدة يكون التعقيد في بنيتها واحداً .

وإذا أطلقت الرؤية على المشاهدة بالنفس سميت حدساً (Intuition) ، (راجع لفظ الحدس) .

وقد تطلق الرؤية على مشاهدة الحقائق الإلهية أو على المشاهدة بالوحي أو على الإدراك بالوهم أو المشاهدة بالخيال .

والرؤية في الله (Vision en Dieu) نظرية للفيلسوف (مالبرانش) جاء فيها أن الإنسان لا يدرك الأشياء والقوانين مباشرة ، بل يدرك صورها في الله لاتحاده المباشر به .

ومن الفلاسفة من نفى رؤية الله محتجاً بقوله تعالى : « لا تدركه الأبصار » أي لا يرى بصورة أو شكل مخصوص ، ولأن الرؤية مختصة بالآخرة .

ورؤية الذات (Autoscopie) نوعان : خارجية وداخلية . فالخارجية (Autoscopie externe) هي التوهم ، وهي أن يرى المرء نفسه ماثلة أمامه ، والداخلية (Autoscopie interne) هي رؤية المرء أعضاءه الداخلية . راجع كتاب (سولييه – Sollier) ظواهر رؤية الذات (Les phénomènes d'autoscopie) .

الرائز

في الفرنسية Test

في الانكليزية Test

وفي اللاتينية (Testa) وهو إناء من الفخار كان الكيميائيون القدماء يختبرون فيه الذهب ، رازه جربه واختبره ، وراز الدينار وزنه حتى يعلم

مقداره ، وراز الحجر ونحوه اختبره حتى يعلم ثقله ، ومنه الراز ، وهو في علم النفس اختبار يستخدم لتحديد صفات الشخص من الناحية الجسمية والنفسية تحديداً موضوعياً .

والرائز قسمان : رائز الاستعداد ورائز النمو . الأول يكشف عن استعدادات الفرد ، والثاني يكشف عن درجة تقدمه أو تأخره بالنسبة إلى سنه .

ومن الروائز ما تقاس به القدرة (Ability) ، أو الدقة (Accuracy) ، أو التداعي (Association) أو الفهم أو الذكاء العام ، أو المهارة العملية ، ومنها ما يقاس به درجة التحصيل أو قوة الشخصية أو كيفية الاستجابة لأمر من الأمور ، ومنها ما هو تشخيصي ، ومنها ما هو لفظي أو غير لفظي الخ . .

وقد تطبق طريقة الروائز في دراسة الجماعات . مثال ذلك أن الأخطاء التي يقترفها التلاميذ في درس الإملاء يمكن أن تتخذ رائزاً تقاس به درجة تعلمهم .

الرائع

في الفرنسية Sublime

في الانكليزية Sublime

في اللاتينية Sublimis

راع منه روعاً فزع ، وراع الشيء ريعاً نما وزاد ، وراع الأمر فلاناً أعجبه ، تقول : راعني جماله ، وراعني كلامه . والروعة المسحة من الجمال . وهي مشتملة في الأصل على معنى الفزع والإعجاب والنمو والزيادة .

والرائع في اصطلاحنا ما جاوز الحد في نواحي الفن والأخلاق والفكر .

وكل أمر جاوز الحد ، فهو يدهشنا ، ويروعنا ، ويثير إعجابنا ، لأنه يشعرنا بالصراع الفجع بين وجودنا الواقعي ووجودنا المثالي .

زعم (كانت) أن الرائع والجميل متحدان في الجنس مختلفان في النوع ، فالجميل ما كان تاماً ومتناهياً ، والرائع ما كان غير متناه . كالرائع الرياضي الذي لا يتناهى في الكم . والرائع الديناميكي الذي لا يتناهى في القوة . والجميل أيضاً ما دلّ على الانسجام والتناسق ، والرائع ما دلّ على الصراع بين الفكر والخيال . وحال المتصف بالروعة في ميدان الفن كحال المتصف بالتضحية والجود في ميدان الأخلاق ، كلاهما يجاوز الحدود المألوفة ، ويذهب إلى ما وراء الواقع .

أما الفلاسفة المتأخرون فانهم لا يفرقون بين الرائع والجميل ، بل يقولون إنهما مترادفان (غوبو ، سوريو) ؛ تقول : الصورة الرائعة ، أي الصورة الجميلة ، وتقول أيضاً المرأة الرائعة الجمال ، أي الفائقة الجمال .

الرابطة

في الفرنسية Copule

في الانكليزية Copula

في اللاتينية Copula

الرابطة هي العلاقة أو الوصلة بين الشيئين ، وعند المنطقيين الشيء الدال على النسبة أي على الوقوع أو اللاوقوع المتفق عليه في القضية . وقد سمي الشيء الدال على النسبة رابطة لأنه يربط المحمول بالموضوع .

وقد تكون الرابطة لفظاً ظاهراً كما في اللغة اليونانية أو الفارسية أو الفرنسية أو تكون حركة إعرابية أو هيئة تركيبية كما في اللغة العربية . فاذا كانت لفظاً كانت زمانية كما في فعل كان وأمثاله ، وإذا كانت في صورة

الاسم كانت غير زمانية كما في قولنا : زيد هو قائم وإذا كانت حركة إعرابية أو هيئة تركيبية ، دلّت على الوجود زمانياً كان أو غير زماني كما في قولنا : زيد قائم .

واللغات مختلفة في استعمال الرابطة وجوباً وامتناعاً وجوازاً ، فاللغات اليونانية والفارسية والفرنسية مثلاً توجب ذكر الرابطة ، واللغة العربية تحذفها .

وقد تطلق الرابطة على الفعل من جهة تعبيره عن وقوع النسبة بين حدود القضية كما في قولنا : اشترى زيد لعمرو كتاباً . فزيد وعمرو وكتاب حدود القضية ، واشترى رابطتها الزمانية .

ويطلق لفظ الرابطة عند المحدثين على الجماعة يجتمعون على أمر يشتركون فيه ، يقال رابطة الأدباء ، ورابطة العلماء ، ورابطة المدرسين . الخ .

الربط

في الفرنسية	Association
في الانكليزية	Association
في اللاتينية	Associatio

الربط إحداث علاقة بين مدركين لاقترانهما في الذهن بسبب ما . فاذا كان قيام العلاقة بين المدركات آلياً سمي الربط بتداعي الأفكار (Association des idées) ، أو بترابط المعاني . وإذا كان منطقياً سمي بتناسق الأفكار ، (راجع : تداعي الأفكار) .

الرجوع

في الفرنسية	Retour
في الانكليزية	Return

الرجوع هو العود إلى ما كان عليه مكاناً أو صفة أو حالاً . كالرجوع

إلى المكان أو الرجوع إلى الفقر أو الغنى ، أو الرجوع إلى الصحة أو المرض ، أو غيره من الصفات . أما الرجعة فهي الرجوع إلى الحياة بعد الموت . والرجعي هو المنسوب إلى الرجعة وعند المحدثين : من يذهب مذهب سلفه ولا يساير الزمن . ومنه الرجعيّة أي الجري على مذهب السلف في الأفكار والعادات دون مسايرة التطور .

والرجوع الأبدي (Retour éternel) نظرية رواقية خلاصتها أن الأشياء ترجع بعد انقضاء الآلاف من السنين إلى ما كانت عليه أولاً . ولهذه النظرية في تاريخ الفكر عدة أشكال : (١) شكل ديني كقول بعض الملل بالرجعة أي بالرجوع إلى الحياة بعد الموت (٢) وشكل فلسفي كما في مذهب هرقليطس ومذهب الرواقيين (٣) وشكل شعري كما في آراء (هين – Heine) و(دوستويفسكي – Dostoïevski) و (غويو – Guyau) و (نيتشه – Nietzsche) (٤) وشكل علمي كما في نظريات (بلانكي – Blanqui) و (ناجلي – Naegeli) و (لوبون – Le Bon) و (بكرل – Becquerel) . والرجوع الأبدي عند بعض الكتاب المعاصرين معنى أخلاقي ، لأنهم يقولون : إذا كانت كل لحظة من الحياة تعود إلى ما كانت عليه فمرد ذلك إلى أنها أبدية ، فالحاضر رجوع إلى الماضي ، والمستقبل رجوع إلى الحاضر ، ولا حد ولا نهاية لهذا الرجوع المتعاقب .

والرجوع التاريخي (Retour historique) نظرية للفيلسوف الإيطالي (فيكو) جاء فيها أن التاريخ يعيد نفسه ، وأن الأحوال الحاضرة ليست سوى رجوع إلى الأحوال الماضية ، وكذلك أحوال المستقبل فهي رجوع إلى أحوال الحاضر ، وهكذا دواليك .

والرجوع إلى الماضي (Rétrospection) أيضاً هو النظر إلى الوراء أي الذهاب من الحاضر إلى الماضي ، لا لتعليل الحاضر بالماضي فحسب ، بل لتفهم الماضي بالاستناد إلى الحاضر .

ويطلق لفظ الرجعي (Rétrograde) في أيامنا أيضاً على ما كان مضاداً للتقدم أي على كل مذهب يريد أن يرجع بالمجتمع إلى حالة سابقة أدنى من حالته الحاضرة .

الرحمة

في الفرنسية Charité

في الانكليزية Charity

في اللاتينية Charitas , Caritas

١ — الرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضّل والإحسان . وتطلق على إرادة إيصال الخير . وفرقوا بين الرحمة والرأفة بقولهم إن الرحمة إيصال المسرّة إلى المرء ، والرأفة دفع المضرة عنه . والرحمة أيضاً هي الإيمان والنعمة والرزق ، والنصر ، والفتح ، والعافية ، والمودة ، والسعة ، والمغفرة ، والعصمة .

٢ — ويطلق لفظ الرحمة في اللاهوت المسيحي على أولى الفضائل الدينية وهي المحبة . والمقصود بالمحبة هنا أن تحب الله لذاته ، وأن تحب الأقربين في الله وبالله ، ولهذه المحبة الدينية صفة تميزها من كل ما عداها ، لأنها مضافة إلى محبته تعالى ، فلولا حبّك لله لما احببت قريبك كما تحب نفسك . ومعنى ذلك أنها لا تدل على أنواع معينة من الفعل أو أنماط محددة من السلوك ، بل تدل على المبدأ الروحي المحيط بالفضيلة ، فاذا كان للانسان كل الإيمان كما يقول بولس الرسول ولم يكن له محبة لم يكن شيئاً .

٣ — والرحمة عند بعض النظار المسلمين من صفات الذات ، لأن الله سبحانه أراد في الأزل أن يرحم عباده . وهي عند بعضهم الآخر من صفات الفعل ، بمعنى أن الله قادر على أن يعطي عبده ما لا يستحقه من المثوبة ، ويدفع عنه ما يستوجبه من العقوبة . لذلك قيل : إن الرحمة ترك عقوبة من يستحق العقوبة .

والله تعالى رحمن ورحيم . فالرحمن هو البالغ في الرحمة غايتها التي يقصر عنها كل من سواه ، والعاطف على جميع خلقه بالرزق لهم ، لا يزيد في رزق التقي بتقواه ولا ينقص من رزق الفاجر بفجوره . والرحيم هو الرفيق بالمؤمنين خاصة ، يستر عليهم ذنوبهم في العاجل ، ويرحمهم في الآجل .

٤ — ويطلق لفظ الرحمة في الفلسفة الحديثة على الفضيلة المقابلة للعدالة . ولهذا التقابل بينهما وجهان :

آ — فإما أن تقسم الواجبات الأخلاقية قسمين : الأول يشمل واجبات الرحمة وهي إيجابية ، والثاني يشمل واجبات العدالة وهي سلبية . فالرحمة توجب فعل الخير والجود بالنفس في سبيل الآخرين ، على حين أن العدالة توجب اجتناب فعل الشر ، والامتناع عن التعدي على حقوق الآخرين . لذلك قيل إن واجبات العدالة ضيقة وواجبات الرحمة واسعة . فكل ما كان عدلاً كان مطابقاً لحق معترف به في القانون ، وكان من حق صاحبه أن يطالبك بتأديته . وكل رحمة كان قيامك به تفضلاً وإحساناً .

ب — وإما أن يكون التقابل بين الرحمة والعدالة كتقابل المبدأ والقاعدة . فالرحمة مبدأ أخلاقي عام أو مبدأ ذاتي ووجداني ، والعدالة قاعدة أخلاقية عملية موضوعية واجتماعية . ومعنى ذلك أن الرحمة والعدالة واجبان متحدان في الباطن مختلفان في الظاهر ، لأنه من الممكن أن يكون مبدأ الرحمة محرك الأفعال العادلة ، كما انه من الممكن أن تكون العدالة وسيلة لتطبيق

شروط الرحمة وتحقيق غاياتها . لقد قال (ليبنيز) : العادل رحيم ؛ وقال (المجز) : الرحمة خلاف الإحسان ، فمن كان محسناً وجواداً لمنفعة أو عوض أو إعجاب بالنفس لم يكن رحيماً .

الرد

في الفرنسية	Réplique
في الانكليزية	Reply

رده رداً أرجعه ، ورده إليه أعاده ، ورد عليه كذا لم يقبله ، ورد عليه أجابه ، ورد إليه جوابه رجّعه وأرسله . والرد ما يرد به . ومنه في اصطلاحنا الرد على الاعتراض ، أو إخراج الشيء من الحكم العام ، أو استثناء الاستثناء .

الرذيلة

في الفرنسية	Vice
في الانكليزية	Vice
في اللاتينية	Vitium

الرذيلة ضد الفضيلة ، وهي عادة فعل الشر . وإذا كانت الفضيلة في الاعتدال كما يقول (أرسطو) فان الرذيلة في مجاوزة حد الاعتدال ، أي في اتباع الهوى ومخالفة العقل . وكما ندرك السعادة باتباع الفضائل فكذلك نساق إلى الشقاء باتباع الرذائل . والله سبحانه يحب الفضيلة ويكره الرذيلة . قال (دوسال) : سبب شقائنا أن خوفنا من الرذائل أشد من حبنا للفضائل . وقال (لابروير) : تنشأ الرذائل عن فساد في القلب والعيوب عن خلل في المزاج . وقال (جانكلفيتش) : نسبة الرذيلة إلى الخطيئة كنسبة الهوى إلى الغضب .

الرسم

في الفرنسية Description

في الانكليزية Description

الرسم عند المنطقيين مقابل للحد ، وهو قسمان : رسم تام ، ورسم ناقص . فالتام ما يتركب من الجنس القريب والخاصة ، كتعريف الإنسان بالحيوان الضاحك . والناقص ما يكون بالخاصة وحدها ، أو بها وبالجنس البعيد ، كتعريف الإنسان بالضاحك ، أو بالجسم الضاحك أو بعرضيات تختص جملتها بحقيقة واحدة كقولنا في تعريف الإنسان إنه عاش على قدميه عريض الأظفار ، بادي البشرة ، مستقيم القامة ، ضحاك بالطبع (تعريفات الجرجاني) .

والرسم عند الأصوليين أخص من الحدّ ، لأنه قسم منه ، وعند الصوفية هو العادة والخلق وصفاته ، لأن الرسوم هي الآثار ، وكل ما سوى الله تعالى آثار ناشئة عن أفعاله .

ويرى فلاسفة (البور رويال) أن تعريفات الأشياء قسمان الأول هو الحد المؤلف من الجنس القريب والفصل ، والثاني هو الرسم المؤلف من عرضيات تختص بالشيء وتعين على تمييزه من غيره . والحدّ أدق من الرسم ـ

الرضى والرضاء

في الفرنسية Consentement

في الانكليزية Assent, Consent

في اللاتينية Consentio, Consensus.

الرضى كمال إرادة وجود الشيء . والفرق بين الرضى والرضاء أن الرضى هو المرضاة ، والرضاء هو المراضاة . والرضى أخص من الإرادة . وهو

قسمان : قسم يكون لكل مكلف ، وهو ما لا بدّ منه في الإيمان ، وحقيقة قبول ما يرد من الله من غير اعتراض على حكمه وتقديره . وقسم لا يكون إلا لأرباب المقامات ، وحقيقته ابتهاج القلب وسروره بالمقضي .

والرضى فوق التوكل لأنه مرادف للمحبة . والرضوان بمعنى الرضى . والرضاء عند المعتزلة هو الإرادة ، وعند الأشاعرة ترك الاعتراض على ما قدره الله .

والرضاء هو القبول والتسليم تقول رضيه ورضي به اختاره وقبله ، وله درجات أدناها الظن وأعلاها اليقين . قال (مالبرانش) : ينبغي للمرء أن يسلم بالقول الذي يجده صحيحاً . لأنه إذا ثبتت له صحة القول وامتنع عن التصديق به شعر بقلق النفس وملامة العقل .

والرضاء هو المصادقة والموافقة ومنه قولهم الرضاء العام ، أو الرضاء الكلي بمعنى الإجماع والاتفاق . والرضاء أيضاً الموافقة على أمر أراده غيرك من غير اعتراض عليه ، كموافقة الوالد على زواج ولده ، تقول رضي الزواج له أي رآه أهلاً له فوافق عليه . ومع ذلك فالرضاء أضعف من الإرادة والقرار والتصديق لأن المرء قد يرضى بالشيء المكروه تسليماً لا حباً وإرادة ، كمن أصابته مصيبة فيرضى بما قدر له ويقول : إنا لله وإنا إليه راجعون .

الرغبة

في الفرنسية Désir

في الانكليزية Desire

في اللاتينية Desiderum

رغب في الشيء حرص عليه وطمع فيه ، ورغب الشيء وفيه أراده ، ومنه الرغبة وهي النزوع التلقائي الداعي إلى غاية معلومة أو متخيلة . وتحت

كل رغبة نزعة ، كما ان تحت كل إرادة رغبة . ومعنى ذلك أن الرغبات مبنية على النزعات . والفرق بين الرغبة والنزعة أن الرغبة أخص من النزعة وأكثر تعقيداً منها .

والرغبة مقابلة للارادة لأن الإرادة تقتضي عدة شروط وهي :

١ — تنسيق النزعات .

٢ — التفريق بين الذات المدركة والشيء المدرك .

٣ — الشعور بجدوى الفعل وإنتاجيته .

٤ — التفكير في الوسائل المؤدية إلى تحقيق الغايات .

وجميع هذه الشروط غير متوافرة في الرغبة . فالرغبة إذن وسط بين النزوع والإرادة . قال (رينان) : « الرغبة هي المحرك الإلهي الأكبر لفاعلية الإنسان » . وكل رغبة فهي توهم ، إلا أننا لا ندرك بطلانها إلا بعد إشباعها . وقال (لافل) : إن من خواص الرغبة أن تعمل على خلق المستقبل لا أن تقتصر على الاتجاه إليـــه ، وقال (ريكور) : اللذة المتخيّلة تسمى رغبة والألم المتخيّل يسمى خوفاً . وقال (رانسون) : إن اتصاف الرغبة بالتلقائية الطبيعية جوهر الفعل ومنبعه وأصله الأول .

وكل أثر من آثار الإنسان فهو يتولد من رغباته . حتى لقد قيل إن الإنسان باقة من الرغبات .

الرقابة

في الفرنسية Contrôle

في الانكليزية Control

رقب الشيء لاحظه وحرسه وحفظه ، ورقب النجم رصده . والرقابة في اصطلاح المحدثين المراقبة ، وهي التحقق من تنفيذ الأمر على وجهه .

وتطلق أيضاً على عمل من يراقب الكتب أو الصحف قبل نشرها أو على تدخل الحكومة في سعر الصرف وتسمى رقابة الصرف (Contrôle des changes) .

وتطلق الرقابة في علم التحليل النفسي على تأثير الجانب الأعلى من الأنا في منع التصورات والعواطف المكبوتة من الرجوع إلى مسرح الشعور (Censure) .

الرقم

في الفرنسية Chiffre

في الانكليزية Cipher

الرقم في الأصل الكتابة والنقش والعلامة والختم ، وما يكتب على الثياب وغيرها من أثمان ، وفي علم الحساب رمز يمثل عدداً .

والأرقام العربية هي : 1 ، 2 ، 3 .. الخ . أما الأرقام الهندية فهي : ١ ، ٢ ، ٣ .. الخ . ولفظ شيفر (Chiffre) الفرنسي مشتق من لفظ الصفر العربي . والرقم عند بعض الفلاسفة هو الرمز الذي يعبر به عن بعض التصورات وتأويلاتها فكل شيء رقم أي علامة ترمز إلى شيء كوني أو أمر إلهي .

والرقم القياسي هو الرقم الذي يتفوق به المتباري على غيره في الألعاب تقول : ضرب الرقم القياسي في القفز العالي .

والأرقام القياسية في الاقتصاد هي الأرقام التي تقاس بها درجة التغيرات التي تطرأ على بعض الظواهر الاقتصادية ، كالأسعار ، والأجور ، ومقادير الانتاج ، وغيرها . تقول : الرقم القياسي في إنتاج السيارات . أي النتيجة الخارقة التي تفوق ما سبقها في هذا الميدان من الانتاج .

الرمز

في الفرنسية Symbole

في الانكليزية Symbol

وهو مشتق من اللفظ اليوناني : Sumbolon

الرمز في اللغة الإيماء والإشارة والعلامة . وله في اصطلاحنا عدة معان :

١ — الرمز ما دل على غيره . وله وجهان : (الأول) دلالة المعاني المجردة على الأمور الحسية كدلالة الأعداد على الأشياء ، ودلالة الحروف على الكميات الجبرية . (والثاني) دلالة الأمور الحسية على المعاني المتصورة كدلالة الثعلب على الخداع ، والكلب على الوفاء ، والحرباء على التقلب ، والفراشة على الطيش ، والصولجان على الملك ، والشعار على الدولة .

٢ — ويطلق الرمز أيضاً على كل حد في سلسلة المجازات يمثل حداً مقابلاً له في سلسلة الحقائق ، وكل لفظ أخذ عن معناه وأطلق على آخر مجازاً فهو بمعنى ما رمز له .

٣ — ويطلق الرمز أيضاً على علامة التعارف بين الأفراد المنتسبين إلى جمعية سرية ، أو هيئة مخصوصة ، كرموز الماسونية ، أو إشارات المنظمات الثقافية والاجتماعية أو علامات الجيوش وغيرها .

والرمزي (Symbolique) هو المنسوب إلى الرمز كالكتابة الرمزية أو التمثيل الرمزي أو التفكير الرمزي ، وهو التفكير المبني على الصور الإيحائية خلافاً للتفكير المنطقي المبني على المعاني المجردة .

والرمزية (La symbolique) علم يبحث في أسرار الرموز المستعملة في بعض الديانات أو بعض الفرق الباطنية . والرمزية أيضاً نظرية الرموز ، وجبر المنطق (Logistique) .

وللطريقة الرمزية أو المذهب الرمزي (Symbolisme) عدة معان (منها) استخدام الرموز للدلالة على الأوضاع الاجتماعية كدلالة ملابس القضاة والسفراء وأساتذة الجامعات وأفراد الجيش مع مراتبهم (ومنها) الرموز المستعملة في الحساب والجبر ، و (منها) تأويل العقائد ، أو المذاهب القديمة تأويلاً رمزياً ، على النحو الذي فعله أفلاطون وبعض فلاسفة العرب في إلباس الحقائق الفلسفية ثوباً رمزياً (ومنها) مذهب من يقول ان العقل البشري لا يدرك إلا الرموز (ومنها) مذهب في الشعر يقول بالتعبير عن المعاني بالرمز والإيحاء ليدع للقارئ نصيباً في تكميل الصور أو تقوية العاطفة بما يضيف إليها من توليد خياله .

الروح

في الفرنسية	Esprit
في الانكليزية	Spirit
في اللاتينية	Spiritus

الروح ما به حياة الأنفس ، وهو اسم للنفس لكون النفس بعض الروح ، أو لكونها مبدأ الحياة العضوية والانفعالية . وله في اصطلاحنا عدة معان .

١ — الروح هو الريح المتردد في مخارق الانسان ومنافذه . وهي عند قدماء الأطباء جسم بخاري لطيف يتولد من القلب وينتشر بواسطة العروق الضوارب في سائر أجزاء البدن ، ومنه الأرواح الحيوانية (Esprits animaux) عند ديكارت وأصحابه ، وهي أجزاء لطيفة من الدم تذهب من القلب إلى الدماغ ثم تنتشر منه بواسطة الأعصاب في سائر أجزاء البدن .

٢ — والروح مبدأ الحياة في البدن فإنّ من شرط حياته سريان الروح فيه كسريان ماء الورد في الورد .

٣ ــ والروح مرادفة للنفس الفردية . ويرى بعض المتصوفة وعلماء اللاهوت أن هذه النفوس الفردية صور إلهية قادرة على الاتصال بالله . ومنه قولهم ان الملائكة ، والجن ، والنفوس الإنسانية الباقية بعد الموت ، أرواح مجردة .

٤ ــ والروح هي الجوهر العاقل المدرك لذاته من حيث هي مبدأ التصورات ، والمدرك للأشياء الخارجية من جهة ما هي مقابلة لذاته المدركة وهذا التقابل بين الذات المدركة والشيء المدرك أي بين (الأنا) و (اللا أنا) شائع في الفلسفة الحديثة وله وجوه :

(آ) الروح ما يقابل المادة . وهذا التقابل ظاهر في قولنا : الفكر مقابل لموضوعه . ووحدة الجوهر العاقل مقابلة لكثرة العناصر الداخلة في تركيب مدركاته .

(ب) والروح مقابلة للطبيعة . كمقابلة المبدأ المحدث للشيء الحادث ، أو مقابلة الحرية للضرورة ، أو مقابلة التفكير المنطقي للفاعلية التلقائيـة .

(ج) والروح مقابلة للبدن ، لأن الروح تمثل القوة العاقلة والبدن يمثل الغرائز الحيوانية . لذلك قيل إن للبدن شهوات مضادة لمنازع الروح .

٥ ــ وإذا أطلق لفظ الروح على ما يقابل الحساسية دل على القوة المفكرة ، أي على القوة المستقلة عن الهوى . لذلك قيل إن الأرواح الضعيفة (Esprits faibles) هي العقول العاجزة عن التفكير الموضوعي المنظم ، أو العقول السريعة التأثر بالإيحاء وقد يضيق مدلول هذا اللفظ فيطلق على إحدى صفات الفكر بدلاً من إطلاقه على وظيفته العامة ، كقولهم : الروح الفلسفية ، أو الروح الهندسية ، أو الروح الانتقادية .

٦ ــ وروح الشيء نفسه ، فاذا أضيف لفظ الروح إلى الشيء دل على ماهيته وجوهره ، كقولنا روح المذهب الرواقي ، أو روح المذهب العقلي ، أو روح القانون ، أي معناه وحقيقته .

٧ — وقد يطلق لفظ الروح على الجزء الطيار للمادة بعد تقطيرها كقولنا روح الخمر ، ومنه المشروبات الروحية .

٨ — وللروح في القرآن الكريم عدة معان (الأول) ما به حياة البدن (والثاني) بمعنى الأمر (والثالث) بمعنى الوحي (والرابع) بمعنى القرآن (والخامس) بمعنى الرحمة (والسادس) بمعنى جبريل .

٩ — والروح الأعظم مظهر الذات الإلهية من حيث ربوبيتها ، وروح القدس عند المسيحيين أحد الأقانيم الثلاثة .

١٠ — والأرواح المتمردة أو الأرواح القوية (Esprits forts) هي الأرواح الغريبة أو الأرواح المعادية للعقائد الدينية ومنه قول (باسكال) : الإلحاد علامة الأرواح المتمردة ، وقول (لابروير) : هل تدري الأرواح المتمردة أننا لا نصفها بالقوة إلا تهكماً . الأرواح القوية هي الأرواح الضعيفة .

١١ — وقد اختلف العلماء في النفس والروح ، فقال فريق : هما متغايران ، لأن النفس بعض الروح ، وقال فريق : هما شيء واحد ، لأننا نعبر عن النفس بالروح وبالعكس ، وهذا القول في نظرنا هو الحق .

الروح (علم)

في الفرنسية Spiritisme

في الانكليزية Spiritism

وهو مذهب من يرى أن الروح تبقى بعد الموت على صورة جسم بخاري لطيف لا يرى بالعين بل يظهر بتأثير الوسطاء في ظروف خاصة .

والفرق بين علم الروح والمذهب الروحاني (Spiritualisme) :

١ — إن علم الروح لا يبحث إلا في أرواح الأموات .

٢ — وإنه يبني نظرياته على التجربة لا على الاستدلال .

٣ — وإنه يلبس الروح ثوباً مادياً يسمى بالنشاء البخاري لا يرى إلا في ظروف خاصة .

٤ — وأنه يعزو إلى الروح تأثيراً مادياً كتأثيرها في تحريك الأجسام . على حين أن المذهب الروحاني لا يشتمل على شيء من ذلك .

والفرق بين علم الروح وعلم ما بعد الطبيعة ، أن علم ما بعد الطبيعة يحاول أن يفسر الظواهر التي يتكلم عليها علماء الروح بتأثير قوى أعلى من قوى النفس الانسانية ، على حين أن علم الروح يحاول تفسيرها بتأثير أرواح الأموات في العالم المادي .

الروحاني (المذهب)

في الفرنسية Spiritualisme

في الانكليزية Spiritualism

١ — المذهب الروحاني نقيض المذهب المادي . وهو القول بروحانية النفس واستقلالها عن البدن ، فكل مذهب يرى أن الانسان مؤلف من روح وبدن فهو مذهب روحاني .

٢ — والمذهب الروحاني في علم النفس مذهب من يرى أن التصورات والظواهر العقلية والأفعال الإرادية لا تعلل بالظواهر العضوية .

٣ — والمذهب الروحاني في فلسفة الأخلاق وعلم الاجتماع مذهب من يرى أن الفرد والمجتمع يهدفان إلى غايتين : إحداهما متعلقة بالحياة الحيوانية أو المادية ، والأخرى متعلقة بالحياة الروحية المحضة . وهاتان الغايتان متعارضتان .

٤ — والمذهب الروحاني في علم الوجود العام (الانطولوجيا — Antologie) مذهب من يرى أن في الوجود جوهرين متميزين : أحدهما روحي ومن صفاته

الذاتية الفكر والحرية ، والآخر مادي ومن صفاته الذاتية الامتداد والحركة . ومن نتائج هذا المذهب : (١) القول ببقاء النفس بعد الموت (٢) والقول بوجود الله (٣) والقول بتقدم القيمة الروحية أو المنوية على القيم المادية .

٥ — ويطلق المذهب الروحاني أيضاً على القول إن الروح جوهر الوجود ، وإن حقيقة كل شيء ترجع إلى الروح السارية فيه .

٦ — وقد يطلق المذهب الروحاني أخيراً على علم الروح نفسه (راجع لفظ علم الروح) . والروحي والروحاني بمعنى ما مترادفان .

الروحي

في الفرنسية Spirituel

في الانكليزية Spiritual

في اللاتينية Spiritalis أو Spiritualis

١ - الروحي هو المنسوب إلى الروح وهو مقابل للمادي والجسماني والبدني . فكل ما كان مادياً أو نباتياً أو حيوانياً لم يكن روحياً ، وعلى ذلك فالحياة الفكرية حياة روحية ، وهي مقابلة للحياة المادية . ومن قبيل ذلك قولهم : يجب أن تكون القيم المادية خاضعة للقيم الروحية .

٢ — والروحي أيضاً هو المنسوب إلى الأمور الدينية والصوفية ، ومنه التمارين الروحية والاتجاهات الروحية .

٣ — والروحي أخيراً ما يقابل الزمني (temporel) أي المتعلق بالحياة الدينية لا الحياة المادية والمصالح الدنيوية ، ومنه السلطة الروحية ، والسلطة الزمنية . قال (أوغوست كومت) : إن النظام الوضعي يزيد في اتصاف الحكومة بالصفات الروحية ، ويقلل من اتصافها بالصفات الزمنية .

الريبية

في الفرنسية Scepticisme
في الانكليزية Scepticism
وهو مشتق من لفظ Skeptikos
اليوناني ومعناه المفكر الذي يلاحظ
الأشياء ويتحنها وينظر فيها

الريب في اللغة الظن والشك تقول رابه الأمر جعله شاكاً وارتاب فيه وبه شك .

والريبية مذهب الريب ، أي مذهب من ينهج طريق الشك في علمه وعمله متردداً أبداً بين الإثبات والنفي .

وقد تكون الريبية مطلقة أو تكون نسبية . فاذا كانت مطلقة أوجبت على المرء أن يشك في كل شيء ، وأن يتوقف عن الحكم لأنه عاجز عن الوصول إلى اليقين . وإذا كانت نسبية أوجبت على المرء أن يشك في بعض الأشياء دون بعض كالريبة الفلسفية ، أو الريبة الأخلاقية أو الريبة الدينية . فان بعض الناس يرتابون في الدين والأخلاق ويؤمنون بالعلم ، أو يشكون في القيم الروحية ويؤمنون بالقيم المادية وبالعكس .

وقد تطلق الريبية على طريقة من يتزيا بالشك في الحكم على بعض الحقائق الجزئية ويكون موقفه العقلي ازاءها موقف الارتياب والتهمة والظن .

والريبي هو المنسوب إلى الريب تقول : هذا الرجل ريبي أي متشكك في الأمور ، وهذه النتيجة ريبية أي ضعيفة لا يمكن الوثوق بها .

ويطلق (كانت) اصطلاح التصورات الريبية على الطريقة التي تثبت بها أن قبول أحد الرأيين المتعارضين يفضي إلى التناقض كاثباتنا أن العالم قديم أو حادث أو إثباتنا أن العالم متناه أو غير متناه ، وهو ما يسمى بمتناقضات العقل Antinomies de la raison

الرياضة (العلوم)

في الفرنسية Mathématiques

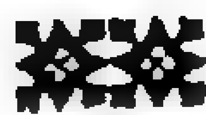
في الانكليزية Mathematics

يطلق هذا الاسم على الحساب والجبر والهندسة ونحوها ، وموضوعها الكم . فاذا كان الكم متصلاً كالامتداد ، سمي العلم الذي يبحث فيه بعلم الهندسة . وإذا كان منفصلاً كالعدد ، سمي العلم الذي يبحث فيه بعلم العدد وهو يشمل الحساب والجبر .

ويطلق اصطلاح الرياضيات الكلية (Mathématiques universelles) على الطريقة التي لا تفتقر إلى المادة في تفسير كل ما تتناوله من أمور متصلة بالترتيب والقياس ، وذلك على النحو الذي فعله (ديكارت) في تفسيره كل شيء بالامتداد والحركة . وقد سميت طريقته هذه بالرياضيات الكلية لأنها تجعل العلوم الطبيعية جزءاً من الرياضيات .

ويطلق لفظ الرياضي على العالم بالرياضيات أو على كل منهج شبيه بالمنهج الرياضي تقول الاستدلال الرياضي ، والعقل الرياضي ، والطريقة الرياضية ، وهي طريقة الاستنتاج الشرطي المطبقة في العلوم المختلفة .

جميل صليبا



أدب الفقهاء

- ٦ -

موضوعاته وأغراضه :

تلك وجوه ومعالم من أدب الفقهاء روعي فيها الناحية التاريخية والجغرافية وتنوع الاختصاص في أصحاب هذا الأدب إذ كان وصف الفقهاء كما قلنا يطلق على مختلف طبقات أهل العلم وخصوصاً في هذا السياق من النقد الأدبي . ونحن نشعر أننا قد اختصرنا الكلام اختصاراً شديداً فيما يقتضيه العرض التاريخي والتقسيم الجغرافي ، لملامح هذا الأدب والتعريف برجاله ، ولكننا مع ذلك قد قاربنا ما يلتزمه مؤرخو الأدب العربي على العموم من الوقوف عند نهاية العصر العباسي في عملية التأريخ ، وإفراد الأدب المغربي والأندلسي بالذكر ، مراعاةً لأصحاب النظرية الإقليمية في الأدب الذين يقولون بتأثير العامل الجغرافي في الأعمال الأدبية ، أو نظراً فقط لبُعد الإقليم المغربي وتأخر وجود أدبه عن أدب المشرق . وعلى كل حال فاعتقادنا أننا قد أعطينا أمثلة حية من أدب فقهاء العصور الأدبية والأقاليم التي يُعنَى بها مؤرخو أدبنا العربي ، وهي من حيث الكمّ لا تقل عما يعطيه هؤلاء المؤرخون من أمثلة الأدب غير الفقهاء من كبار الشعراء ، ومن حيث الكيف على ما وصفنا في كل مثال عند عرضه .

فلنلقِ نظرة على موضوعات هذا الأدب التي سبق أن عددناها عدّاً إجمالياً في صدر هذا البحث ، لنقول كلمة في كل موضوع منها ، ولنعطي

مزيداً من الأمثلة على ما تقدم ذكره من بعضها ، غيرَ مصنَّف ولا مَتَسوق في الباب الذي يخصُّه ، كما أن كثيراً من الأسماء التي لم يرد ذكرها في القسم التاريخي المار ، إنما يمكن استيعابها في هذا القسم الموضوعي بطريقة تعداد الأمثلة واختيار الشاهد ، وهكذا نكون قد قدمنا أدب الفقهاء مرتين ، قدمناه لمن يُعنَى بالناحية التاريخية في تراجم أعلامه مرتَّبة بحسب السنين ، ونقدِّمه لمن يُعنَى بالناحية الموضوعية في فصول وأبواب تنتظم الأغراض والفنون التي تناولها الفقهاء في شعرهم ، والتي تعطينا نماذج من أدبهم النفض وفي كل موضوع ، ليسهل أمر مقارنتها مع أدب غيرهم على من يريد ذلك ثم إننا في هذا التقديم الثاني قد نتجاوز الحد التاريخي الذي وقفنا عنده إلى ما بعده من أزمنة وأشخاص : فنذكر نماذج وأسماء من العصور المتأخرة حتى عهدِ ما قبل النهضة الحديثة ، ولربما تجاوزناه أيضاً رغبةً في ربط الحاضر بالماضي وإعطاء صورة كاملة في الموضوع الذي نعرض له ، والحديث شجون كما يقولون .

شعر العاطفة والوجدان :

ويدخل فيه الغزل والنسيب . وإنما لم نعبِّر بهما لأنهما في شعر الفقهاء يتميزان غالباً بشيء من التحفظ الذي يقتضيه وَقارُ العلم ، وهو تحفظ كثيراً ما بعث أصحابنا الفقهاء على اصطناع الأساليب الرمزية والاهتمام بالصفات المعنوية ، فصار غزلهم بذلك قلما يشبه غزل الشعراء الذي تغلب عليه الأوصاف الحسية ويغرق في المادية حتى يكون أدعى إلى الفجور والاستهتار ، وبكل وجه فهناك آفاق واسعة من الشعر الوجداني نظم فيها الفقهاء ، ليس الغزل إلا جانباً واحداً من جوانبها المديدة ، فحَمْلُه على الشعر الوجداني أولى من حمل هذا على الغزل .

ونفتتح هذا الباب بقول ابن أبي مُليكة فيما هو من معنى قول شوقي (الحياة الحب والحب الحياة) :

من عاش في الدنيا بغير حبيب — فحياته فيها حياةُ غريب
ما تنظر العينان أحسنَ منظراً — من طالب إلفاً ومن مطلوب
ما كان في حور الجنان لآدم — لو لم تكن حواء؛ من مَرْغوب
قدكان في الفردوس يشكو وحشةً — فيها ، ولم يأنَسْ بغير حبيب

نسب هذه الأبيات إلى ابن أبي مُلَيكة الراغبُ الأصبهاني في محاضراته ، وهي حرية أن تكون أم الباب في هذا المعنى نظراً لمكانة قائلها ، فانه من فقهاء التابعين ، وقضاة المسلمين ـ كان يلي قضاء الطائف لابن الزبير ـ ونظراً لما عبرت عنه من كون الحياة بغير حبيب غربة ، فالخَلِيُّ القلب من نوازع الحب كالغريب الذي لا يجد رفيقاً ولا صديقاً يأنس به ويشاطره أفراحه وأتراحه ، فيالوحشته وقلق حياته ! وبذلك كان منظر الإلفين أو قل الحبيبين أحسنَ منظر تقع عليه العين ، فما السماء بقمرها ونجومها ، والأرض برياضها وحياضها ، والشروق بسحره وجماله ، والغروب بروعته وجلاله ، وكلُّ شيء مما كان حسناً جميلاً ، إلا انعكاسٌ لذلك المنظر الذي لا يحلو في العين شيء بدونه ، ولا يبدو فيما يبدو به من حسن وجمال إلا لأن المحبين خلعوا عليه تلك الحُلّة ، وزانوه بذلك الحليّ . وابنُ أبي مليكة يُفرِّغ الجنة من جميع الرغائب ، وهي الجنة حافلةٌ بما تصبو إليه النفس ويميل إليه القلب ـ إذا لم تكن فيها حواء تبادل آدم حباً بحب ، وتقابل شعور الإنس والعطف منه بمثله ، حتى الحُورُ العينُ لا تدخل تلك المداخل ولا تملأ ذلك الفراغ ، وهو معنى بديع لم يُسبق اليه ، وفيه طمأنينة وسكينة لعقائلنا ورفيقاتنا من الجنس اللطيف اللائي يتبرَّمْن كثيراً بهؤلاء الحُور العين ويستوحشْن من مُشاركتهن لهن في أزواجهن في الجنة ، فهذا شاعر

فقيه يبين أنْ لا جمالَ الحور العين ، وهو جمال ضربَ جميع الأرقام القياسية في هذا الصدد ، ولا شيء مما في الجنة من المُغريات ، بقادر على أن يصرف الأحباب عن أحبابهم وبخاصّة الرجل عن شريكته في الحياة الأولى ، لأن ما بينها أسمى وأعلى من كل ذلك ، إنه رباط روحي وامتزاج قلبي ، بدأ منذ كانا مُنجدِلَيْن في الطين ، وما زال ينمو ويقوى ويجذب هذا نحو هذه ، حتى اندمج كل منها في الآخر وأصبحا ذاتاً واحدة تجرُّ وراءها من الذكريات بقدر ما اشتبكت به حياتُها الماضيةُ من العلاقات ، فكيف وأنَّى للحور العين بهذا التجاوُب وما فيه من متاع ؟

إننا لهذه المعاني الجميلة التي تضمنتها هذه الأبيات ، ولتقدُّمها زمناً باعتبار أن قائلها من أهل الصدر الأول ، قلنا إنها حرية أن تكون أم الباب في شعر الغزل والنسيب ، وما أشبهها بأبيات ابن الرومي السائرة في حب الوطن التي يقول فيها (ولي وطن آليتُ أن لا أبيعه) فكما بقيت هذه غُرَّة الشعر العربي في معناها ، كذلك يحق لأبيات ابن أبي مُليكة أن تكون واسطة العقد في بابها ، ولا ننس مع ذلك أن صاحبها فقيه .

ولأبي بكر بن عبد الرحمن الزُّهْري ، وهو من رجال الرواية والحديث :

ولمَّا نزلنا منزلاً طَلَّه النَّدى أنيقاً وبُستاناً من النَّوْر حاليا

أجَدَّ لنا طيبُ الزمان وحسنُه مُنىً ، فتمنينا فكنتِ الأمانيا

هذان البيتان من أحسن ما قيل في تمني لقاء الحبيب عند ما تجلو الطبيعة محاسنها ، ويروق المكان ويطيب المجلس ، فلا يكمل سرور المحب بذلك ، ولا تقرُّ عينه بما يرى ، حتى يحضر حبيبه ويُضفيَ من روحه وجماله على تلك المجالي ، ما يجعلها تحُلُّ من نفسه محلَّ الرضى والقبول ، وإلا فإن الجنة ونعيمها على ما مرَّ آنفاً لا يحلو منها شيء بدون مشاركة الحبيب . ولذلك كان وجوده في مثل هذه الحال أقصى الأماني كما عبَّر عنه هذان البيتان أرق تعبير .

ولا يفوتنا أن تقول إنها من شعر الحماسة ، ولا يختار أبو تمام لديوانه هذا إلا ماكان غاية في حسن أسلوبه ومعناه .

ومن الشعر العاطفي المجرّد قولُ أبي بكر الشبلي من أكابر الصوفية :

رُب ورقاءَ هتوفٍ في الضحى ذاتِ شجوٍ صدحت في فنَنِ
ذكرتْ إلفاً وعيشاً سالفاً فبكت حُزْناً فهاجت حزَني
فبكائي ربما أرقَها وبُكاها ربما أرّقني
ولقد تشكو فما أفهمها ولقد أشكو فما تفهمُني
غيرَ أني بالجوَى أعرفُها وهي أيضاً بالجوى تعرفني
أتُراها بالبُكى مولَعةً أم سقاها البينُ ما جرّعني

وهي مقطعة تكاد تسيل رقة وعذوبة ، فما شئتَ من حسن التقسيم ورد العجز على الصدر ، ومن جمال الأداء لهذا التداعي بينه وبين الحمامة الشجية ، وتشابُه حاله وحالها في الشوق إلى الحبيب والبكاء لبعده ، إلى قوة التخيُّل الذي جعله يعتقد أنها تحس بحرقته وجواه ، كما يحس هو بجواها وحرقتها ، وإن لم يكن الأمر كذلك فلِمَ هذا البكاء المرّ ؟ هل هو وَلوعٌ فقط أم هو في الواقع شُعور بالبين وفُرقة الحبيب مثل شعوره هو بذلك الذي هاج حزنه وبكاه ؟ الحقيقة ان القطعة معبرة أحسن من هذا الذي قلناه في شرحها ، وأنها في غنى عن كل تفسير ، فهي بشكلها ومضمونها قد استولت على الغاية من جمال الصياغة وحسن البيان .

ومن لطيف الغزل قول القاضي عياض :

رأيتُ قمرَ السماءِ فأذْكرتني ليالِيَ وصلِها بالرقمتَيْن
كلانا ناظر قمراً ولكن رأيتُ بعيْنِها ورأتْ بعيني

م (٣)

لهذين البيتين شهرة كبيرة بين الأدباء، وهما وإن لم يعبرا عن عاطفة مشبوبة ولا عن شعور عميق، فقد تضمنا صنعة بيانية عجيبة مبنية على خيال بارع، جعلتها يتمثلان نوعاً فريداً من الرمزية في الأدب العربي، وذلك هو سبب الشهرة التي حظيا بها حتى ادعاهما كثير من الأدباء. (فقوله كلانا ناظر قمرا) هو أعمُّ من أن يراد به قمر سماء ولذلك عقبه بما يفيد أن هناك قمرين، المحبوبة الشبيهة بالقمر، والقمر الحقيقي الذي هو قمر السماء، لكنـــه يرى أن المحبوبة هي القمر الحقيقي فلذلك كان ينظر إليها بعينها هي التي تنظر إلى قمر السماء، وهذا عنده هو القمر المجازي، فلذلك جعل المحبوبة تنظر إليه بعينه هو التي ينظر إليها. وذلك هو قوله في الأول (ولكن رأيت بعينها) وفي الثاني (ورأت بعيني) ولا شك أن تخيله هذا هو من إغراقه في هوى المحبوبة بحيث جعلها هي التي يحق أن يشبه بها القمر، ثمّ كان صَوْغُ هذا المعنى في بيتين اثنين من الشعر؛ منتهى البراعة والمقدرة.

ومن بليغ الشعر في الرقة والنحول قول محمد بن عبد الكريم الفِنْدلاوي الفاسي المعروف بابن الكَتَّاني، أحد مشائخ محي الدين بن عربي:

وما أبقى الهوى والشوقُ مني سوى نفَسٍ تردّد في خيال
خفيتُ عن المنية أن تراني كأن الروح مني في مُحال

ولكي تتبينَ فضل هذين البيتين في معناهما، علينا أن نقارنهما بقول المتنبي في ذلك:

كفى بجسمي نُحولاً أنني رجل لولا مُخاطبتي إياك لم ترني

فانه أثبت لنفسه جسماً وكونه رجلاً يخاطب صاحبه، في حين أن صاحبنا لم يبق منه إلا نفَس متردد في خيال، ثم إن المتنبي جعل صاحبه يراه، وأما صاحبنا فقد خفي حتى عن الموت أن يراه وجعل روحه كأنها في محال، فبين الشعرين بَوْنٌ بعيد.

والشيخ محيي الدين من أعظم شعراء الوجد والغرام من الفقهاء والصوفية ؛ وله ديوان سماه ترجمان الأشواق فيه كل معنى بديع من شعر الغزل والنسيب والحب الإلهي ، ونقتصر من قوله على هذه الأمثلة المختارة بمعرفتنا :

مرضي من مريضة الأجفان — عللاني بذكرها عللاني
هفت الورق في الرياض وناحت — شجو هذا الحمام مما شجاني
بأبي طفلة لعوب تهادى — من بنات الخدور بين الغواني
طلعت في العيان شمساً فلما — أفلت أشرقت بأفق جناني
يا طلولاً برامة دارسات — كم حوت من كواعب وحسان
بأبي ثم بي غزال ربيب — يرتعي بين أضلعي في أمان
ما عليه من نارها ؛ فهو نور — هكذا النور يخمد النيران

وله على طريقة مهيار :

واحربا من كبدي واحربا — واطربا من خلدي واطربا
في كبدي نار جوى محرقة — في خلدي بدر دجا قد غربا
يا مبسماً أحببت منه الحببا — ويا رضاباً ذقت منه الضربا
يا قمراً في شفق من خفر — بخده ، لاح لنا منتقبا
لو انه يسفر عن برقعه — كان عذاباً ، فلهذا احتجبا

وله أيضاً ، والأبيات الثلاثة الأخيرة هي مما شرق وغرب من شعره :

ألا يا حمامات الأراكة والبان — ترفقن لا تضعفن بالشجو أشجاني
ترفقن لا تظهرن بالنوح والبكا — خفي صباباتي ومكنون أحزاني
أطارحها عند الأصيل وبالضحى — برنة مشتاق وأنة هيمان
ومن عجب الأشياء ظبي مبرقع — يشير بعناب ويومي بأجفان
ومرعاه ما بين الترائب والحشا — ويا عجب من روضة وسط نيران
لقد صار قلبي قابلاً كل صورة — فمرعى لغزلان ودير لرهبان

وبيت لأوثان وكعبـــةُ طائف وألواح توراة ومُصحَف قرآن

أدينُ بدين الحب أنى توجَّهَتْ ركائبُه ، فالحبُّ ديني وإيماني

تعطينا هذه النماذج على اقتضابها فكرة عن شاعرية الشيخ الأكبر ، خاصة في موضوع المواجد والأشواق ، فهو شاعر واسع الأفق متفتح الذهن ، يزاوج بين النزعتين الحسية والمعنوية ، ويشير في خفاء إلى مرامه ولكنه لا يَرمُز ولا يُغمض ، ومن ثم كانت أغراضه مفهومة حتى انه لَمُؤاخَذٌ بها عند من لا يقبلون هوادة في ميدان التشرُّع . ونحن نقبل كلامه على أنه من طموح الشمس الشاعرة وبَسْطتها وتحليقها في سماء المعرفة ونُشدانها للكمال . وقد قال ابراهيم عليه السلام (رب أرني كيف تحيي الموتى) وقال موسى صلوات الله عليه (رب أرني أنظر إليك) وقال سيدنا محمد (ﷺ) « نحن أحق بالشك من إبراهيم » فكيف بنا معشرَ المحجوبين عن حكمة الخلق وسرّ الوجود لا نتطلع ولا نستفهم ؟ نعم قد يزلُّ الواحد منا فيسبق لسانه إلى ما فيه مؤاخذة عليه ، لأننا غير معصومين ، وهل كان الغفران إلا للزلل ؟

وما أرقَّ كلام صاحبنا في القطعة الأولى ، وألطفَ صفتَه لحبه بالمرض ، ولحبيته بمريضة الأجفان متوخياً في ذلك هذا الجناسَ الخفيف الذي لا تكلف فيه ، ثمّ محاورتَهُ بعد ذلك لرفيقَيْه ، وصفته للحمام طائراً ونائحاً في الرياض ، مثيراً لشجنه مهيجاً لحزنه ، مما جعله يعود لذكر الحبية وتفديتها بأبيه على عادة العرب في إظهار شعورهم نحو من يحبون ، وما أن جدد وصفَها في رشاقة وتحبُّب بما تعود الشعراء أن يصفوا به الحبائب حتى غلبت عليه نزعتُه المعنوية فأتى في البيت الرابع بما يُفهَم منه أنه يريد الحقيقة العليا مُلمِحاً إلى رؤيا الخليل للشمس بازغةً ثم آفلةً ، ولكنه لم يكن متصرِّفاً بل واصفاً ، لأن شاهد الرسالة على المطلوب قائمٌ معه ، فلذلك

لم يكن غروب الشمس عنده نهايةً وعلامةَ تقلص ، بل بداية للتجلي واستمراراً للاشراق الذي هو عينُ الكمال . ويرقى الحالُ بصاحبنا فيهيم بين أطلال الأحبة ويفنى في ذات محبوبه فلا يشعر إلا وهو يفديه بأبيه مرة ثانية ، ثم بنفسه ويجد حقيقة حبه بين جوانحه وأضلعه المتأججة بنار الشوق والغرام برداً وسلاماً كما كانت نار النمرود على ابراهيم . لا . بل انه ليجدُها نوراً محدداً للنيران ، موحياً السكينة والاطمئنان فيأنسُ ونأنسُ معه ، لأننا لا نملك ، وقد خاطبنا أولاً بما هو من طينتنا وبغزل حسيّ رقيق إلا أن نصحبه في رحلته التي انتهت بنا معه إلى هذا الجو من المعاني السامية ، فإذا نحن قد أحسسنا بما أحس أو ببعض ما أحس ، وأشرق باطننا بنور الإيمان واليقين .

ويطول الأمر لو تتبعنا أغراضه في القطعتين الثانية والثالثة ، وحللنا عناصر شاعريته فيها ، وإنما لا بد أن نشير إلى هذا المنحى الإشاري البارع الذي تضمنه البيتُ الخامس من القطعة الثانية ، وهو الذي يعلل احتجاب المحبوب بالشفقة على المحبين من بهر المكافحة الذي لا تحتمله بنيتهم الضعيفة وهو يرمز بذلك إلى قوله تعالى لكليمه موسى لما سأله الرؤية : (انك لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا) وقد مهد له بالبيت الرابع الذي لا كفاء له في الجمال ، فجاء متمكناً من موضعه ، منسجما مع ما قبله غاية الانسجام .

كذلك نشير إلى اللمحة الشعرية الرائعة التي اشتمل عليها البيت الخامس من المقطعة الثالثة ، وقد عبر عنها بصورة أخرى في البيت السابع من القطعة الأولى وعلقنا عليها بما فيه الكفاية . أما الأبيات الثلاثة الأخيرة من القطعة الثالثة فانها أشهر من أن تعرّف ، وقد ترجمت إلى كل اللغات

الحية من شرقية وغربية ، وهي تدل على روح إنسانية عالية تحتضن سائر العوالم بالحب الذي لا ينضب معينه ، ولا يمنع من ورده أحد .

وغير خفي أن هذه الالتفاتات الروحية الجميلة التي يمتاز بها شعر القوم تجعل له قيمة يفوق بها شعر كبار الشعراء ، وترشحه لأن يكون أدباً إنسانياً عالمياً ، وبالفعل فان ما نقل منه إلى اللغات الأجنبية أكثر مما نقل من شعر الشعراء الآخرين . ولو لم يكن له من ميزة إلا هذه لكان جديراً أن ينظر إليه بعين الإجلال والإكبار ، كيف وهو في الصنعة الشعرية أيضاً لا يقصر عن شعر فحول الشعراء كما رأينا ؟

ويذكرنا الشيخ محيي الدين بسلطان العاشقين عمر بن الفارض ، ذلك الشاعر المتوله ، الذي تغنى بالحب الإلهي ما شاء له الوله ، وتفنن في معانيه وتعمق أسراره حتى صار علماً بين الشعراء بشعره الوجداني الرفيع ومقاصده العليا التي يهيم بها أرباب القلوب ، وتجعلهم يحفلون بديوانه أشد الحفل ولا يعدلون به ديوان شاعر من شعراء العربية . ولاشتهار شعره وديوانه فانا نكتفي بنموذج واحد منه وهو أبيات مختارة من قصيدته الجيمية الرقيقة ، قال :

ما بين معترك الأحداق والمهج ... أنا القتيل بلا إثم ولا حرج
ودعت قبل الهوى روحي لما نظرت ... عيناي من حسن ذاك المنظر البهج
لله أجفان عين فيك ساهرة ... شوقاً إليك وقلب بالغرام شج
لا كان وجد به الآماق جامدة ... ولا غرام به الأشواق لم تهج
عذب بما شئت غير البعد عنك تجد ... أوفى محب بما يرضيك مبتهج
وخذ بقية ما أبقيت من رمق ... لا خير في الحب إن أبقى على المهج

★ ★ ★

مَن لي بإتلاف رُوحي فيهوى رشأ . حُلوِ الشمائل بالأنفاس ممتزج
مَن مات فيه غراماً عاش مُرتقياً ما بين أهل الهوى في أرفع الدَّرَج
تراهُ إن غاب عني كلُّ جارحة في كل معنى لطيف رائق بهج
في نغمة العُود والنّاي الرخيم إذا تألّفا بين ألحانٍ من الهزَج
وفي مسارح غِزْلان الخمائل ؛ في بَرْد الأصايل والأصْباح في البَلَج
وفي مساقط أنداء الغَمام على بساط نَوْر من الأزهار مُنتَسِج
وفي مساحب أذْيال النسيم إذا أهدى إليَّ سُحَيْراً أطيبَ الأرج
وفي التثامي ثغرَ الكأس مُرتشِفاً ريقَ المُدامة في مستنزَهٍ فَرِج

إن هذه الأبيات وحدها كافية لإظهارنا على شاعرية ابن الفارض ورقة معانيه ولطف تعبيره والأجواء الروحية التي يحلّق فيها ، فلم يكن القوم مُحابين له لما بوّأوه مكانَ الصدارة بين الناطقين بلسانهم المعبرين عن حالتهم . وانه فوق ذلك لخليقٌ أن يحتل مقاماً رفيعاً بين الشعراء الوجدانيين في الأدب العالمي ، لو أُتيح لشعره ترجمة وافية بأغراضه إلى اللغات الحية المقروءة في جميع أنحاء المعمور .

وهذا لون آخر من شعر القوم ، وهو قصيدة للشيخ عبد الله بن القاسم الشهرزوري المنعوت بالمرتضى ، يصف فيها رحلة له في عالم الغَيْب طلباً للحقيقة الربّانية أولها :

لمعَتْ نارُهم وقد عسعس الليـــلُ وملَّ الحادي وحارَ الدليل
فتأملتُها وفكري من البيـــن عليلٌ ولحظُ عيني كليل
وفؤادي ذاك الفؤادُ المُعنّى وغرامي ذاك الغرامُ الدخيل
ثمَّ قابلتُها وقلت لصحـــبي هذه النارُ نارُ ليلى فميلُوا
فرموا نحوَهــا لحاظاً صحيحا تٍ فعادت خواسئاً وهي حُول

والقصيدة طويلة أثبتها ابن خلكان بكاملها في وفيات الأعيان وأثنى عليها ، وكذلك أوردها العاملي في الكشكول ، ومن المهم الوقوف عليها فانها من عيون الشعر الرمزي في العربية .

وفي الباب شعر كثير لأبي مَدْين والجيلي والشُشْتري والبكري والنابُلسي والبُرَعي وابنُ وفاء وحُسين بن عبد الشكور والحَرّاق وسواهم ، مما يطول المقام بتتبعه ؛ ولكن لا بد أن نقدم ولو مثالاً واحداً للحراق باعتبار أنه مغربي ، قلما يُعرَف شعره في المشرق مع أنه صاحب ذوق سليم وصنعة محكمة . وليكن ذلك المثال هو الرائية التي ضمّنها قول المجنون :

أماطتْ عن محاسنها الخمارا فغادرتِ العقولَ بها حُيارى
وبثّتْ في صميم القلب شوقاً توقّدَ منه كلُّ الجسم نارا
وألقت فيه سرّاً ثم قالت أرى الإفشاء منك اليوم عارا
وهل يسطيع كتْمَ السر صبٌّ إذا ذُكِر الحبيبُ لديْه طارا
به لعِبَ الهوى شيئاً فشيئاً فلم يشعُر وقد خلعَ العذارا
إلى أن صارَ غيْباً في هواها يُشير لغيرها ولها أشارا
يُغالِط في هواها الناس طراً ويُلقِي في عيونهم الغُبارا
ويسأل عن معارفها التذاذاً فيحسبه الورى أن قد تمارا
ولو فهمــوا دقائق حب ليلى كفاهم في صبابته اختبارا
إذا يَبْدُو امرؤٌ من حيِّ ليلى يذِلُّ له وينكسرُ انكسارا
ولولاها لما أضحى ذليلاً (يقبّلُ ذا الجدارا وذا الجدارا
وما حبُّ الديار شغفْن قلبي ولكن حبُّ من سكنَ الديارا)

ولعلنا أسرفنا في إيراد الأمثلة من هــذا النوع من الشعر الإشاري أو الرّمْزي أو الصّوفي بعبارة أوضح ، وقد بقيت في النفس حاجة من شعر الغزل والنسيب الخالص وضاق المجال عن الزيادة فلنُلْمِع ببعض الأمثلة

القليلة لئلا يظن أن أصحابنا الفقهاء إنما برعوا في هذا الشعر الصوفي وليس لهم في غيره من شعر العاطفة والوجدان كبير أثر ، مع أن ما قدمناه في تراجم أفراد منهم كعروة بن أذينة وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود وأحمد بن المعذل وابن حزم ، كاف لإقامة البرهان على طول باعهم ورحب ذراعهم في هذا الباب على اتساعه . ولكن لا بد من أمثلة أخرى تتمم ما سبق وتذكر في مظنتها هنا ويكون بها مسك الختام للباب .

فمن ذلك قول القاضي أبي حفص بن عمر :

هم لحظوا لواحظها فهاموا ... وتشرب عقل شاربها المدام

يخاف الناس مقلتها سواها ... أيذعر قلب حامله الحسام

سما طرفي إليها وهو باك ... وتحت الشمس ينسكب الغمام

وأذكر قدها فأنوح شوقاً ... على الأغصان تنتدب الحمام

وأعقب بينها في الصدر غماً ... إذا غربت ذكاء أتى الظلام

وله أيضاً :

مشت كالغصن يثنيه النسيم ... ويعـدوه النسيم فيستقيم

لها ردف تعلق في لطيف ... وذاك الردف لي ولها ظلوم

يعذبني إذا فكرت فيـه ... ويتعبها إذا رامت تقوم

وما حبي لها إلا عذاب ... عليه من نضارتها نعيم

وكان هذا القاضي بارعاً في النظم والنثر ، وله في الغزل مقطعات رائعة ، ويقول ابن سعيد المغربي فيه انه «كان على غاية من الظرف إذا أقبل شممت رائحة الطيب منه على بعد ، وإذا غسلت ثيابه لا يكاد يفارقها ، وكان منزله كأنه جنة ، حتى وجد فيه أعداؤه مطعناً ورفعوا للمنصور (الموحدي) أنه غير حافظ للناموس الشرعي بكثرة تغزله واشتهار مقطعاته وانهماكه في العشق » فنقله المنصور من قضاء ثغر إلى قضاء إشبيلية .

وللوزير العالم عبد المهيمن الحضرمي السبتي هذه الأبيات الرقيقة في الحنين إلى عهد وصال الأحبة :

نفسي الفداء لعهدٍ كنت آلفه ... وطيبِ عيش تقضّى كلّه كرَم
وجيرةٍ كان لي أنسٌ بوصلهمُ ... والأنسُ أفضلُ ما في الوصل يُغتنَم
كانوا نعيمَ فؤادي والحياةَ له ... فالآن كلُّ وجود بعدهم عدَم
بانُوا فعاد نهاري كلّه ظُلَمـاً ... وكانَ قربُهم تُمحَى به الظُّلَم
فالعينُ منيَ لا ترقا مدامعُها ... كأنها سُحُبٌ تهمي وتنسجم
تبكي عهودَ وصال منهمُ سلفت ... كأنّما هنّ في إنسانها حُلُم
لئن ضحكتُ سروراً بالوصال لقد ... بكيتُ حزناً عليهم والدموعُ دَم
همْ علموني البكا ما كنتُ أعرفه ... يا ليتهم علّمُوني كيف أبتسم
واسترضعُوني لِبانَ الوصلِ من صِغَري ... حتى إذا علِقَتْ روحي بهم فَطَموا

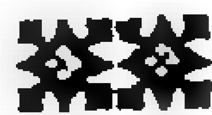
ولابن جابر المكناسي في المعنى :

تالله بعد أحبّائي الذين مضَوْا ... وخلّفُوني رهينَ البثّ والحزَن
ما أبصرتْ مقلتي من بعدهم حسَناً ... ولا نظرتُ إلى شيءٍ فأعجبني

ولأبي عليّ اليُوسي ، وفيه تورية مليحة :

وعاذلٍ عن الهوى عاذلٍ ... يدعو لأمرٍ في الهوى إمْر
قال اسلُهم واصبرْ فكم ذائق ... أمرّ في الهجر من الصبْر
وزَعْ عِنانَ القلب عما حرى ... عليه من بلواء أو يجْري
فأيُّ عُذرٍ في اتّباع الصبا ... قلتُ له إن الهوى عُذري

عبد الله كنون



نظرات في
المعجم الوسيط
- ١٣ -

تتمة تعريف الأعلام الجغرافية والتاريخية والشعوب

الكلمة	تعريفها في المعجم الوسيط	الملاحظـــات
القار	«الزّفت» (انظر زف ت). ويوم ذي قار: يومٌ لبني شيبان، وقعت حوادثه في مكان في النهاية الشرقية للجزيرة العربية إلى الجنوب من الكوفة، وهو أوّل يوم انتصفت فيـه العرب من العجم .. [مادة ق و ر]	ذو قار - كما في معجم البلدان - ماءٌ لبكر ابن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط. وحنوُ ذي قار على ليلة منه وفيه كانت الوقعة المشهورة بين بكر بن وائل والفرس ... يوم عطش الأعاجم فمالوا إلى بطحاء ذي قار وبها اشتدت الحرب وانهزمت الفرس وكانت وقعـــة ذي قار المشهورة في التاريخ. لقد كان من المستحسن أن يشير المعجم الوسيط إلى أن ذا قار بطحاء في جنوبي الكوفة من أرض العراق، لأن إغفال مثل هذه الإشارة، والقول بأن مكان المعركة كان في النهاية الشرقية للجزيرة العربية، لا يعطي تعريفاً دقيقاً لذي قار.

القارَةُ جبلٌ صغير منفرد أسود مستدير ململوم طويلٌ في السماء . و ــــ الأكَمَة . و ــــ الحَرَّة ، وهي أرض ذات حجارة سود . (ج) قارٌ وقُورٌ وقيران . و ــــ قبيلة عربيّة عرفت في الجاهليّة بالحذق في الرماية . وفي المثل : « قد أنصفَ القارَةَ من اماها » .
[مادة ق و ر]

الدُّبَّة الموضعُ الكثيرُ الرَّمْل ...

الدُّبَّة الطَّرِيقَةُ ...

رددت المعجمات القديمة تعريفات كثيرة لكلمة « قارة » واختار المعجم الوسيط واحداً من غريبها ، والقارة ، كما في اللسان ، الجبيل الصغير ؛ وقال اللحياني : هو الجبيل الصغير المنقطع عن الجبال ؛ وقيــــل : هي الصخرة العظيمة ، وهي أصغر من الجبال .

وفي لسان العرب ، كما في غيره ، القارة : الدُّبة (١) ، والقارة : قوم من رماة العرب ينتسبون إلى خزيمة من كنانة ، ومنه المثل : « أنصف القارة من راماها » (٢) .

لقد كان من المستحسن أن يكون التعريف كما يلي: القارَةُ : الجبل الصغير ، والأكمة ، والصخرة العظيمة ، والكثيب من الرمال ...

(١) الدُّبة ، ضبطت في كل من اللسان والقاموس وفي غيرهما من المعجمات ، بضم الدال ، وضبطها محقق مقاييس اللغة لابن فارس بفتحها ، والدَّبة بالفتح : الكثيب من الرمل ، كما في اللسان والقاموس ، أما الدُّبة بالضم فهي الطريق وهي أنثى الدب . ومن يعتمد مقاييس ابن فارس يكاد يجزم بأن لا وجه لضم دال الدَّبة في معاني القارة ، لولا ما ورد في اللسان والتاج من أنه قيل : القارة في هذا المثل الدبة ، وقيل في مثل لايفطن الدب الحجارة ، وذكر ابن بري وجهاً آخر لهذا المثل فراجعه ، وفي مادة (ف ط ن) لا يفطن القارة إلا الحجارة ـــ والقارة : أنثى الدئبة !

(٢) يلاحظ في المعجم الوسيط سقوط الراء في (راماها) أثناء الطبع ، والمثل من شعر ورد في اللسان ، وتتمته :

قد أنصف القارة من راماها
إنّا إذا ما فئـــة نلقاها
نردّ أولاها على أخراهـــا

بُعاث	يوم بُعاث آخر موقعة بين الأوس والخـــزرج في الجاهلية .	في القاموس المحيط : وبُعَاثُ بالعين وبالغين ويثلث : موضعٌ بقرب المدينة ويومُه . لقد كان من المستحسن أن يشير المعجم الوسيط ، إلى أن بُعاث اسم موضع قرب يثرب ، وفيه كانت آخر موقعة بين الأوس والخزرج .
يوم الحرّة	يوم انتهب فيـــه المدينةَ عسكرُ الشام أيامَ يزيد ابن معاوية سنة ثلاث وستين، وكان ذلك في حرّة واقم. مادة [ح ر ر]	في القاموس المحيط : الحرّة موضع بظاهر المدينة ، تحت واقم ، وبها كانت وقعة الحرّة أيام يزيد . لقد كان من المستحسن أن يكتفي المعجم الوسيط بما ورد في القاموس ، إذ لا محل ، في معجم مثله ، للتعريف الذي اختاره .
الأُرمادا	الأُسطول الأسباني الذي هزمه الإنجليز في القرن السادس عشر الميلادي ، وتردد ذكره في التاريخ . (ع) .	لم يكن تعريف (الأرمادة) لازماً في معجم استبعدت منه الأعلام التاريخية ، كما كان من المستحسن أن يكون التعريف ، إذا أثبت ، كما يلي : الأرمادة : الأسطول الإسباني الذي حاول غزو انكلترة في القرن السادس عشر الميلادي فهزم .

الإخْشيد من ألقاب الأمراء عند الفرس . ومنحه الخليفة الراضي العباسيُّ محمدَ بن طُغْج حينا ولاَّه إمارة عام ٣٢٦ هـ (٩٣٧ م) .

مما يلاحظ على تعريف « الإخشيد » الوارد في المعجم الوسيط ما ورد في التاج : « ومما يستدرك عليه الإخشيد بالكسر : ملك الملوك بلغة أهل فرغانة ، ذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء » .

قال ابن الأثير : فرغانة ولاية وراء جيحون وسيحون ؛ ونستنتج من هذا أن فرغانة من بلاد التُّرك وليست من بلاد الفرس ، أيْ أنها من أقاليم خوارزم ، وهي تتبع اليوم « ازبكستان » السوفيتية .

إن المعجم الوسيط كان في غنى عن تعريف الكلمة ، أما وقد عرَّفها ، فكان من المستحسن أن يشير إلى أن دولة الإخشيديين تنسب إلى لقب محمد بن طغج .

التَّلْمُود كتاب لليهود فيه شرائعهم وسننهم .

[مادة ت ل م]

الجَمَارا عند اليهود : شَرْحٌ للمِيشْنَى مَبسوطٌ باللغة الآراميَّة. (انظر المِشْنَى).

[مادة ج م ر]

وردت هذه الكلمات الثلاث في المعجم الوسيط ، وكان مثله في غنى عن إثباتها ، لأنها موسوعية أكثر منها معجمية .

ومما يلاحظ أن المعجم لم يشر إلى صفة الكلمتين الأوليين ، بينا ذكر أن الكلمة الثالثة معربة ، والكلمات الثلاث في حقيقتها دخيلة . يضاف إلى هذا أن التعريفات تخلو من الدقة .

المِشْنَى كتـــاب مؤلف بالعبريّة الحديثة في الفقه اليهوديّ . (مع) . [مادة م ش ن]	فتعريف كتاب (المشنى) بأنه مؤلف بالعبريّة الحديثة ، قد يوحي بأنه مؤلف حديث ، بينما هو مؤلف قديم بالعبريّة ويعتبر جزءاً من التلمود . والمعروف عن التّلمود أنه مجموعة التعاليم والتقاليد اليهودية المنقولة شفهياً والمفسرة من قبل رجال الدين ، وأنه ينقسم إلى قسمين : الأول : المشنّى ؛ ويضم النصوص ، والثاني : الجمارة ؛ ويضم شرحاً وتفسيراً للنصوص وتكملة لها [1] .
قُرَيْشٌ قبيلة عربية من مُضَر ، سكنت في مكة وقامت على الحج ، ومنها رسول الله محمد ﷺ . [مادة ق ر ش]	مادة (ق ر ش) في المعجمات العربية ، أصل لمعانٍ مختلفة ، أورد المعجم الوسيط أكثرهـا . وقد اختلف المؤرخون في السبب الذي من أجله سميت قريش قريشاً ، فقال ابن فارس في مقاييس اللغة : القاف والراء والشين أصلٌ صحيح يدل على الجمع والتجمّع ، فالقَرْش : الجمع ، يقال تقرّشوا : إذا تجمّعوا . ويقولون : إنّ قَريشاً سمّيت بذلك . ... ويقولون : إنّ قريشاً : دابةٌ تسكن البحر تَغلب سائر الدّواب . قال (المشمرخ بن عمرو الحميري) : وقريشٌ هي التي تَسْكن البحـ ـرَ بهـــا سمّيت قريشٌ قريشاً

(١) انظر في الموسوعات الأجنبية الكلمات التالية : Talmud ، و Mischna ، و Gémara .

وقال الفيروزابادي : .. أو سُمّيت بمصغّر القِرْش (١) ، وهو دابة بحرية تخافها دوابُّ البحر كلّها ، أو سميت بقُريش بن مَخْلَد بن غالبٍ بن فهر ، وكان صاحبَ عيرهم ، فكانوا يقولون قدمت عير قُريش وخرجت عير قريش ....

لقد كان مستحسناً ـ في رأينا ـ لو توسع المعجم الوسيط قليلاً في تعريف قريش وأشار إلى وجود اختلاف في سبب تسميتها بذلك . كما كان من المستحسن أن يضاف إلى التعريف : والنسبة إليها ـ كما في القاموس ـ قُرَشِيٌّ وقُرَيْشِيٌّ .

الأُحْبُوشُ والأُحْبُوشَةُ : الجماعة من النَّاس اختلفت أجناسهم. (ج) أحابيش . وأحابيش قريش : جماعة من قريش وكنانة وخزاعة اجتمعوا عند حُبْشِيٍّ ، وهو جبل بأسفل مكة ، وتحالفوا . [مادة ح ب ش]

أجمعت معاجم العربية على القول : إن أحابيش قريش اجتمعوا عند جبل اسمه « حُبْشِيٌّ » ، ولكن اسمهم ـ كما يبدو بعد التدقيق ـ لم يأخذوه من اسم الجبل بل من تجمعهم من قبائل أوبطون شتى .

قال ابن فارس في المقاييس : الحاء والباء والشين كلة واحدة تدل على التجمع ، فالأحابيش : جماعات يتجمعون من قبائل شتى .

(١) عرّف المعجم الوسيط القِرش بأنه : حوت عظيم من حيتان البحر يفترس الإنسان ويخافه معظم السمك . وقد فاتنا نقد هذا التعريف في محله ، لأن القرش ليس من جنس الحيتان ، بل هو نوع من السمك .

وفي أساس البلاغة : اجتمعت قريشٌ والأحابيشُ ، وهي فرق مجتمعة من قبائل شتى ، حلفاء لقريش ، تحالفوا عند جبل يسمى حُبْشِياً . ويقال عندي أحبُوشٌ منهم أي : جماعة .

إن التعريف الذي جاء به المعجم الوسيط ، قد يوحي بأكثر مما يستفاد من المعاني المتفق عليها في مختلف المعجمات ، لذلك كان المستحسن أن يكون التعريف كما يلي :

الأُحبوش والأُحبوشة : الجماعةُ من النَّاس .
و ـــ الجماعة من قبائل أو بطونٍ شتى ...

أُمَيَّةُ مصغر الأَمَةِ .
وبنو أُمَيَّة : من قُرَيش والنسبة إليهم أمويّ على القياس . وأَمَويّ على السَّماع .

إن كان التعريف ببني أُميَّة لازماً في المعجم الوسيط ، فهم يستحقون منه تعريفاً أكثر وضوحاً ، كمثل التعريف التالي :

بنو أُميَّة : بطن من قريش ينتسبون إلى أُميَّة بن عبد شمس ، منهم معاوية مؤسس الدولة الأموية في الشام ، وعبد الرحمن مؤسس دولتهم في الأندلس . .

الأَوْسُ الذئب .	اكتفى المعجم الوسيط في تعريف كلمة (الأوس) ببيان معناها اللغوي ، أما في تعريف كلمة (الخزرج) فقد أشار إلى الفرع الثاني من أنصار الرسول ﷺ ، وكان من حق الفرع الأول أن يشار إليه أيضاً في مادة (أ و س) .
الخَزْرَج الأَسد . و — أحدُ فرعَي الأنصار ، والآخر الأَوْس .	
الأَنباط قوم من الساميين يرجعون إلى أصلين : أحدهما آرامي والآخر عربي ، كانت لهم دولة في القرن السابع قبل الميلاد ، وسقطت في أوائل القرن الثاني بعد الميلاد ، وامتدت أملاكهم من الجزء الجنوبيّ الشرقيّ من فلسطين إلى رأس خليج العقبة ، وكانت عاصمتهم سَلْع أي الصخرة ، وهي التي سمّاها اليونان « بطرة » وسموا	أورد المعجم الوسيط تعريفاً لكل من : الأنباط والعرب والترك والغُزّ ، وقد توسع في بعض التعريفات دون بعضها الآخر ، وأدى توسعه إلى معلومات بعيدة عن الدقة ، كما كان في غنى عن الإشارة إلى قبيلة مثل الغُزّ . لقد كان من المستحسن أن تكون جميع التعريفات دقيقة متقاربة في سمتها ، كأن تكون كما يلي : الأَنباط : شعبٌ عربيٌّ قديم (١) ، كانت له دولة في شماليّ شبه الجزيرة العربية ، وعاصمتهم سَلْع (٢) ، وتُعرف اليوم بالبتراء (٣) .

(١) في تاج العروس : وفي حديث ابن عباس : نحن معاشر قريش من النبط ... وفي حديث الشعبي : أن رجلاً قال لآخر : يا نبطيّ ، فقال : لا حدّ عليه كلنا نبط .

(٢) في معجم البلدان سلع : حصن بوادي موسى .

(٣) في القاموس : البتراء موضع بقربه مسجد لرسول الله (ص) بطريق تبوك . وتبوك — كما في القاموس نفسه — أرض بين الشام والمدينة ؛ والبتراء هو الاسم الذي يطلق اليوم على الموضع نفسه !

البلاد كلها « أريثيا بطرا » أي بلاد العرب الصخرية .	
و ـــ المشتغلون بالزراعة ، واستعمل أخيراً في أخلاط الناس من غير العرب .	
النَّبَطُ الأنباط... وكلمة نبطية: عامية.	
العَرَبُ جيلٌ من الناس ساميُّ الأصل، كان منشؤه شبه جزيرة العرب . (ج) أعْرُبٌ والنسب إليه عَرَبيٌّ .	العَرَبُ : أمّةٌ سامية الأصل . نشأت في شبه الجزيرة العربية ، ثم انتشرت في جميع البلاد الواقعة بين الخليج العربي شرقاً والمحيط الأطلسي غرباً .
التُرْك جيل من الناس . (ج) أتراك. والواحد: تُرْكيٌّ.	التُرْكُ : أمّةٌ مغولية الأصل ، نشأت في شرقيّ أسية ، والأتراك اليوم منتشرون في بلاد أسيويّة كثيرة ، ويسكن معظمهم في دولة تركية .
الغُزّ قبيلة من الترك . الواحد: غُزْيٌّ .	
الكُرْدُ جيلٌ من الناس يسكنون شماليّ العراق . الواحد : كُرْدِيٌّ .	هذا التعريف غير دقيق وناقص ، والأصح أن يكون كما يلي : الكُرْد والأكراد : شعبٌ معروف يسكن هضبـــة فسيحة في آسيا الوسطى ، وبلادهم موزعة اليوم بين كل من دول روسية وتركية وإيران والعراق .

البَرْبَرُ	جيل من الناس يسكن أكثرهم بلاد المغرب . (ج) بَرَابِرُ وبَرَابِرَةٌ .	لقد كان من المستحسن أن يكون التعريف أكثر دقة ، كأن يكون كما يلي : البَرْبَر : شعبٌ أكثره قبائل تسكن الجبال في شماليّ إفريقية .
فارِسُ	أمّةٌ من النّاس ، وهم الفُرْسُ . وفارِسُ أيضاً : بلاد الفُرْس .	لقد كان من المستحسن أن يضيف المعجم الوسيط إلى التعريف ، القول بأن بلاد الفرس تسمى اليومَ : إيران .
العَجَمُ	خلافُ العَرَبِ ، الواحد : عَجَميٌّ نطق بالعربية أو لم ينطق .	لقد فات المعجم الوسيط أن يضيف إلى تعريف كلمة « العجم » أنها : وعلم على الفرس خاصة ؛ بدليل أنه عرّف يوم ذي قار : بأنه أول يوم انتصف فيه العرب من العجم [1] .
السُّودانُ	جيلٌ من الناس سُودُ البشرة . واحدُه والنسبةُ إليه : سودانيٌّ .	السواد لغة ضد البياض ، والأسود من كانت بشرته سوداء ، وجمعه (سودان) ؛ والسودان من النـــاس ضد (البيضان) ، لذلك فكلمة سودان لا تعني لغة شعباً بعينه حتى يسوغ مثل التعريف الذي نقله المعجم الوسيط . إن الشعوب السوداء تسكن أقاليم إفريقيّة غير واضحة الحدود ، تشمل عدة دول منها : تشاد ونيجريا ومالي والسنغال والكنغو ، ومنها

(١) انظر ص ٢٥٩ .

السّودان وهي دولة عربية تقع في إفريقية الشرقية جنوبيّ مصر .

لقد كان من المستحسن أن يعيد المعجم الوسيط النظر في تعريف الكلمة ليكون تعريفه صحيحاً ودقيقاً .

الحَبَشُ نوع من الجنس الأسود . و ـــ سكان بلاد الحبشة . واحده حَبَشِيّ . (ج) حُبْشَان .

إذا كان المقصود من كلمتي حبش وحبشان سكان بلاد الحبشة ، فإن سكانها ليسوا من الجنس الأسود ، وإن علت وجوههم السمرة الشديدة ، وورود هذا التعريف في المعجمات القديمة لا يسوّغ نقله إلى معجم حديث .

النّوبة جيل من السّودان . الواحد : نُوبيّ . وبلاد النّوبة ، وَطَنُ ذلك الجيل ويقع في الجزء الجنوبي من بلاد مصر .

لقد كان من المستحسن أن لا تذكر كلمة « السّودان » مرادفة للجنس الأسود ، للسبب الذي أشرنا إليه في تعليقنا على الكلمة نفسها المذكور آنفاً .

إن النّوبيين ـ في حقيقتهم ـ عناصر حامية قديمة اختلطت بالعرب ، وهم يسكنون منطقة على شاطىء النيل تقع في جنوبيّ مصر وشماليّ السّودان ، وتسمّى بلاد النّوبة .

القِبْطُ جيلٌ من أهل مصر الأصليين ، واحدهم : قِبْطِيّ . (ج) أقباطٌ .

تعريف كلمة « قبط » في المعجم الوسيط قاصر عن اعطاء المُراجع فكرة صحيحة عنها ، والكلمة يونانية الأصل كانت تطلق على سكان مصر القدماء .

أما اليوم فكلمة « قبط » تطلق على النصارى من المصريين .

الزَّنْجُ جيلٌ من السودان يسكن حول خط الاستواء ، وتمتدُّ بلادهم من المغرب إلى الحبشة ، وبعض بلادهم على نيل مصر .	نقل المعجم الوسيط هذا التعريف عن معجم قديم ، ولا يصح لمعجم حديث أن يثبته .
الزِّنْجيُّ واحد الزنج أو الزنوج .	والزّنج أو الزنوج اسم أطلق قديماً على القبائل الإفريقية القاطنة في أقطار شرقيّ القارة ، ومنه كان اسم جزيرة (زنجبار) المعروفة ، ثمّ أطلق العرب كلمة (الزّنج) على الرقيق المحمول من مختلف الأقطار الإفريقية . أما اليوم فأصبحت الكلمة ترادف : العرق الأسود ، وتطلق على جميع السلالات المنحدرة من القبائل الإفريقية المختلفة أنّى استوطنت .
الخَزَرُ جيلٌ خُزْرُ العيون .	نقل المعجم الوسيط هذا التعريف عن القاموس ، وقد تكون فيه علةُ التسمية ، ولكن الخزر في الواقع : اسم إقليم وبحر معروفين ، ويطلق على شعب مغوليّ الأصل يسكن ذلك الإقليم .
الغَجَرُ قومٌ جفاةٌ يسكنون الحُولة ونواحي الأُردنّ . والواحد منهم غَجَرِيٌّ . ويوجد مثلهم في كثير من البلاد (د) .	ورد هذان التعريفان في المعجم الوسيط ، وهما منقولان عن معجمين مختلفين ، وكان من الواجب إعادة النظر فيها ، ليكونا أكثر دقة وصحة .

النَّوَر جيلٌ من الناس دأبُهم التَّرْحال والتَّطواف، لهم لغة خاصة، ويعيشون في الغالب على السَّرقة والكُدية، والتكهُّن بمعرفة البخت. الواحد: نَوَريٌّ. (د).

والمعروف عن الغَجَر أو النَّوَر أنهم شعب متجول منحدر من أصل هندي، وهو منتشر في كثير من البلاد، ويتمسك بتقاليد وعادات خاصة به، وأفراده يدينون بدين الشعب الذي يقيمون في بلاده، ويعتمد أكثرهم على التجارة في معاشه.

المَجُوس قوم كانوا يعبدون الشمس والقمر والنار، وأطلق عليهم هــذا اللقب منذ القرن الثالث للميلاد.

المَجوسِيُّ الكاهن عند الأشوريّين وقُدامى الفُرس. و — الكاهن الذي يقوم على النار. و — الكاهن الذي يباشر أعمال السِّحر.

المَجوسيَّة عقيدة المجوس في تقديس الكواكب والنار. و — دين قديم جدَّده وأظهره وزاد فيه زَرادُشت.

جاء المعجم الوسيط بهذه التعريفات دون أي إشارة إلى أن الكلمة في أصلها معربة على ما في الأمهات.

قال ابن فارس في مقاييس اللغة: الميم والجيم والسين كلمة ما نعرف لها قياساً وأظنُّها فارسية.

وقال الفيروزابادي في القاموس: مجوس كصبور: رجل صغير الأذنين وضع ديناً ودعا إليه. معرَّب منج كوش.

وفي لسان العرب عن ابن سيده: المجوس جيل معروف جمعٌ، واحــدهم مجوسيٌّ .... وهو معرَّب أصله: منج كوش، وكان رجلاً صغير الأذنين كان أول من دان بدين المجوس ودعا الناس إليه، فعربتــه العرب، فقالت «مجوس» ونزل به القرآن.

والمعروف أن المجوسيّة : دين قدماء الفرس ، قبل الميلاد بعدة قرون ، والنسبة إليه : مجوسيّ ، وقد ورد ذكر المجوس في انجيل متّى ، يوم جاء المجوس يسألون عن مولد السيد المسيح .

الإفرنج والإفرنجة جيل من الناس يسكنون أوربّة .(مع) .
[مادة أ ف ر]

نقل المعجم الوسيط هذا التعريف عن معجمات قديمة ، وهو غير دقيق ، فكلمة (إفرنج أو إفرنجة) تعريب كلمة (Franc) .وهي جرمانية الأصل كانت تطلق على مجموعة من القبائل ، وعلى قطعة من النقود ، ومنها أخذ الفرنسيون اسمهم واسم نقدهم ، وكان عرب الأندلس يطلقون الكلمة على نصارى إسبانية ، ثم أطلقها العرب في القديم وما زالوا يطلقونها على سكان أوربّة على اختلاف شعوبهم .

لقد كان من المستحسن أن يكتفي المعجم الوسيط بمثل التعريف التالي :

الإفرنج والإفرنجة : سكان أوربّة . (مع) .

كما كان من المستحسن لو أشار المعجم الوسيط إلى صيغة ثالثة في تعريب الكلمة، وهي (الفرنجة). إذ عربت الكلمة ، كما ورد في تاج العروس : بإثبات الألف في أولها ، وعربها جماعة بحذفها .

الصَّقالِبةُ جيـــل من الناس كانت مساكنهم إلى الشمال من بلاد البُلْغـار وانتشروا الآن في كثير من شرقيّ أوروبا ؛ وهم المسمَّوْن الآن بالسّلاف .

[مادة ص ق ل]

تعريف « الصّقالبة » في المعجم الوسيط ، حديث ولكنه غير دقيق ، لأن الصقالبة ليسوا شعباً واحداً ، بل هم مجموعة من الشعوب تقطن اليوم البلاد الواقعة بين جبال الأورال والبحر الأدرياتيكي .

ويلاحظ أن التعريف أشار إلى بلاد البلغار التي كانت معروفة في القرون الوسطى ، والتي هاجر كثير من سكانها نحو الغرب أي إلى البلاد التي تعرف اليوم بدولة بلغاريا ، ثم أصبحوا من الشعوب السّلافية ، أي من صقالبة الجنوب ، وهؤلاء هم أحد فروع ثلاثة كبرى للصقالبة : أولها صقالبة الغرب ومنهم البولونيون ، وثانيها صقالبة الشرق ومنهم الروس البيض .

الإسْكِيمُو (انظر : إسكيمو) .

[مادة س ك م]

الإسْكِيمُو جيل من الناس يسكنون القطب الشمالي .

[مادة ا س ك]

أورد المعجم الوسيط كلمة (إسكيمو) في مادتين ، بينما أغفل الإشارة إلى شعوب كثيرة لا تقل أهمية عن الإسكيمو .

وصياغة التعريف تخلو من الدّقة ، فكان من المستحسن أن يكون كما يلي :

الإسكيمو : مجموعةٌ من القبائل تسكن البلاد المجاورة للقطب الشماليّ . (د) .

اللاتينيّ المنسوب إلى لاتينيوم : بلاد في إيطاليا . يقال : رجل ولسان لاتينيّ ، وامرأة ولغة لاتينيـة . (ج) لاتينيّون .
[مادة ل ت ن]

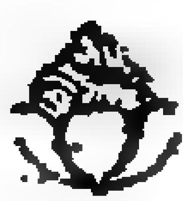
التعريف الدقيق لكلمة لاتيني هو :
اللاتيني المنسوب إلى (لاتيوم) أحد أقاليم إيطالية .
ومما تجدر ملاحظته : أن اللاتين : اسم طائفة من النصارى الكاثوليك ، وهم الذين يستعملون اللغة اللاتينية في عباداتهم . واحدهم : لاتينيّ .

الأصفر بنو الأصفر لقب الرُّوم من سكان آسـيا الصغرى والقسطنطينية وما إليها .

قال صاحب القاموس : بنو الأصفر ملوك الرُّوم أولاد الأصفر بن روم ...
وقال صاحب اللسان : وبنو الأصفر الرّوم ، وقيل : ملوك الرّوم ، قال ابن سيده : ولا أدري لم سموا بذلك .
لقد كان من المستحسن أن يغفل المعجم الوسيط ذكر البلاد التي كان الروم يسكنون فيها ؛ وأن يكتفي بالقول . بنو الأصفر : لقب الرُّوم . أو ملوكهم .

(يتبع)

عدنان الخطيب



محمد بن سلام

— ٢ —

فنونه علمه ومؤلفاته

محمد بن سلاّم عالم واسع العلم ، أخذ من أكثر العلوم شيئاً ، و « تخصص » في علوم أخرى عرف بها واقترنت به . وأهم فنون علمه :

الحديث :

سمع محمد بن سلاّم الحديث مبكراً ، وبلغ به درجة تخوّل له الرواية وتهيئ له لقب « الحافظ »(١) ، وتبعث المؤلفين على ذكره والاهتمام بأمره .

قال الخطيب البغدادي إنه « حدث عن حمّاد بن سلَمة ومبارك بن فضالة وزائدة بن أبي الرّقاد وأبي عوانة »(٢) .

وقال : « روى عنه أبو بكر بن أبي خيثمة وعبد الله بن أحمد بن حنبل وأبو العباس ثعلب وأبوبكر المطوعي وأبو العباس أحمد بن علي الأبّار وغيرهم »(٣) ، وذكر أبا خليفة الفضل بن الحباب الجمحي(٤) . وزاد آخرون : « محمد بن

(١) الذهبي ـ العبر ١ : ٤٠٩ .
(٢) الخطيب ٥ : ٣٢٧ ، وينظر الذهبي ـ الميزان ٣ : ٦٦ ، العسقلاني ٥ : ١٨٢ .
(٣) الخطيب ٥ : ٣٢٧ ، البستاني ١٣٤ ب .
(٤) الخطيب ٥ : ٣٢٧ .

حاتم الرزمي »[١] و « الإمام أحمد بن حنبل »[٢] .

« أخبرنا الحسن بن أبي بكر أخبرنا أحمد بن يعقوب الأصبهاني حدثنا أبو خليفة عن الرياشي قال : أحاديث محمد بن سلام عندنا مثل حديث أيوب عن محمد عن أبي هريرة . قال أبو خليفة : وقال لي أبي مثل ذلك[٣] .

وقال الخطيب : « أخبرني محمد بن أحمد بن يعقوب حدثنا محمد بن نعيم الضبي أخبرني علي بن محمد الحبيبي – بمرو – قال : سألت أبا علي صالح بن محمد جزرة الحافظ عن عبد الرحمن ومحمد ابني سلام الجمحيين فقال : صدوقان . ورأيت يحيى بن معين يختلف إليهما »[٤] .

ويبدو أن عبد الرحمن أكثر انصرافاً إلى الحديث من أخيه ، وكان محدثاً قبل أن يكون شيئاً آخر ، على خلاف محمد[٥] .

---

(١) ابن أبي حاتم ٢ : ٣ : ٢٧٨ .

(٢) ابن الأنباري ١٠٩ .
ولم يذكر ابن الجوزي في كتابه عن أحمد بن حنبل اسم محمد بن سلام بين من ذكر من مشايخ أحمد بن حنبل وكبار من روى عنهم . ويبدو ان في المسألة مبالغة أو التباس .

(٣) ينظر الخطيب ٥ : ٣٢٨ ، الذهبي ميزان ٣ : ٦٦ ، العسقلاني ٥ : ١٨٢ .
ورد الخبر مصحفاً مشوهاً ، وقد أفادنا الأستاذ محمد المنتصر الكتاني – أستاذ علم الحديث في جامعة دمشق في تقويم العوج وذكر أن معنى النص أن الرياشي الأديب البصري يثني ويشيد بابن سلام ، ويعرض بالمحدثين الذين يطعنون في حديثه فيقول : أحاديث محمد بن سلام عندنا – معشر النحاة واللغويين والأدباء – مثل حديث أيوب عن محمد عن أبي هريرة .. أي انها في الذروة صحة واتقاناً واعتماداً عليها .

(٤) الخطيب ٥ : ٣٢٨ . السمعاني ١٢٤ ب ، وينظر : ابن الأثير – اللباب ١ : ٢٣٦ ، الذهبي – ميزان ٣ : ٦٦ ، العسقلاني ٥ : ١٨٣ ، التهذيب ٦ : ١٩٣ .

(٥) بعد أن روى المرزباني ٢٠٨ عن ابن قانع ان محمد بن سلام توفي ببغداد سنة ٢٣١ قال : « ومات أخوه عبد الرحمن .. بالبصرة في هذه السنة وبينهما أيام » . وينظر عنه : الذهبي – سير النبلاء ٧ : ٢٨٣ (مخ . بالمكتبة الظاهرية بدمشق) ، ابن شاكر الكتبي – عيون التواريخ ج ٦ (مخ بالمكتبة الظاهرية) . الخطيب ٥ : ٣٢٧ ، السمعاني ١٣٤ ب ، العسقلاني ٥ : ١٨٢ ، ابن كثير (حوادث ٢٣١) .

والحقيقة أن محمداً لم يكن ذا مكانة عالية في علم الحديث، ولئن وردت شهادات توثقه، قد وردت أخرى تضعّفه. قال الخطيب: «أخبرني الحسن ابن علي الصيمري حدّثنا علي بن الحسن الرازي حدثنا محمد بن الحسين الزعفراني حدّثنا أحمد بن زهير قال: سمعت أبي يقول: لا يكتب عن محمد بن سلام الحديث، رجل يُرمى بالقدر، إنما يُكتب عنه الشعر، فأما الحديث فلا»[١].

ولو لم يكن رميه بالقدر اعتباطاً، فقد كان يذاكر القدر في المجالس[٢]، وكان يروي أخباراً ليست من القدرية ولكنها تدل على اهتمامه بالمسألة نفسها[٣]. وعده الجاحظ في جملة البصريين المحدثين الذين قالوا بالقدر[٤].

فلعله كان يضمر القدرية ويخشى التصريح بها.

ويبدو – على أي حال – أن محمد بن سلام كان يضيق – أحياناً – بأصحاب الحديث ويود لو تمرّدوا قليلاً. ولا غرو أن يروي عن يحيى بن سعيد القطان قوله: «رواة الشعر أعقل من رواة الحديث لأن رواة الحديث يروون مصنوعاً كثيراً، ورواة الشعر، ساعة ينشدون المصنوع ينتقدونه ويقولون: هذا مصنوع»[٥].

لقد كان محمد بن سلام أميل إلى علم الشعر والأخبار واللغة.

---

(١) الخطيب ٥: ٣٢٨، ينظر السمعاني ١٣٤، الذهبي – الميزان ٣: ٦٦ – ٦٧ (٣: ٥٦٨)، العسقلاني ٥: ١٨٢ – ١٨٣.

(٢) الزبيدي ٥٠.

(٣) الجاحظ – الحيوان ٣: ١١.

(٤) ابن المرتضى – طبقات المعتزلة ١٣٩. وقال ابن الأثير – اللباب ١: ٢٣٦: «... قيل انه كان قدرياً».

(٥) القالي ٣: ١٠٥.

اللغة :

وضع الزبيدي محمدَ بنَ سلاّم على رأس « الطبقة الخامسة » (١) من « اللغويين البصريين » وفيها ـ بعده : ابن أخي الأصمعي (عبد الرحمن بن عبد الله) ، وأبو نصر (أحمد بن حاتم) ورفيع بن سلمة (كاتب أبي عبيدة في الأخبار ـ المعروف بدماذ) .

ومع أن التقسيم الطبقي هذا قائم على أساس زمني ، فانه يمكن أن يدل ـ كذلك ـ على « الأهمية » ، أو قلة الأهمية ـ إن شئت .

وقال الزبيدي نفسه إن ابن سلاّم « كان دون الأربعة : إبراهيم بن بكر الزيادي . وأبي محمد عبد الله بن محمد التوزي . والعباس بن الفرج الرياشي . وأبي حاتم السجستاني » (٢) علماً أن هؤلاء جاءوا في الطبقة السابعة من طبقات النحويين ، وأن بينهم من أخذ عن ابن سلام وروى عنه وأن الزبيدي لم يذكرهم في طبقات اللغويين (٣) .

ولئن لم يكن محمد بن سلام لغوياً كبيراً ، إنه كان ـ على أي حال ـ « من أهل اللغة » (٤) وأنه « ثقة جليل » (٥). أخذ اللغة عن أعلامها وسمع مشكلها في مجالس العلماء ، واحتفظت له كتب اللغة بمكان .

ولا نعلم هل كان له مؤلف لغوي خاص ؟ ولو جمعت مروياته في دفتر خاص لكان له شأن ؛ وحفظت الكتب التي وصلت إلينا شيئاً مما وعى وروى ، وتنقل هذه الكتب عنه بثقة واطمئنان لأنه حذر فيما ينقل ، كأنه يخشى أن يجوز حدوده ويخاف أن يقع في وهم .

(١) الزبيدي ١٩٧ ـ ١٩٨ .
(٢) الزبيدي ١٩٧ .
(٣) كما رأينا ، وكما يذكر اللغوي ٦٧ .
(٤) القفطي ٢ : ١٤٣ .
(٥) اللغوي ٦٧ .

الأخبار :

« قال محمد بن يعقوب بن شبة : حدثنا جدي قال : كان محمد بن سلام له علم بالشعر والأخبار وهما من جملة علوم الأدب »(١) ، وعده ابن النديم « أحد الأخباريين »(٢) في الفن الأول من المقالة الثالثة »(٣) من كتابه ، وهذا الفن « في أخبار الأخباريين والنسابين وأصحاب السير والأحداث »(٤) . وقال ابن الأثير : « كان عالماً بالأخبار وأيام الناس »(٥) .

وقد عرف محمد بن سلام في هذا الفن ، فنقلت عنه الأخبار وروت كتب النسب ؛ وألف فيه الكتب — كما سنرى — وأمكن أن ينعت بالأخباري(٦) .

وفي القليل الذي وصل إلينا مما روي عنه أو عن طريقه ما يدل على أهمية الأصل — وطرافته أحياناً .

الرواية — العلم بالشعر :

لنا أن نعد كل ما ورد لابن سلام أو عنه في الحديث واللغة والنحو من من قبيل المشاركات والعلم بالشيء ولوازم المعرفة ، ونرفعه في الأخبار درجة ؛ ولكن قيمة ابن سلام الأولى تنبع من كونه راوية « له علم بالشعر » .

(١) ياقوت ١٧ : ٢٠٤ ، وينظر الخطيب ٥ : ٣٢٩ .
(٢) ابن النديم ١٧١ .
(٣) ابن النديم ١٣٢ .
(٤) ابن النديم ١٧١ .
(٥) ابن الأثير ٥ : ٢٧٥ .
(٦) الصفدي ٣ : ١١٤ ، الحنبلي ٢ : ٢١ .

وليس سهلاً في عصره أن يكون المرء « أحد الرواة »[١] و « من أهل الأدب »[٢] بل « من أعيان أهل الأدب »[٣] و « أئمته »[٤] يكتب عنه وينزل منزلة الشيخ الذي يقصد اليه الطلبة فيمن يقصدون من كبار العلماء .

لم يكن محمد بن سلاّم أول الرواة أو ثانيهم أو ثالثهم في التسلسل الزمني ، فما كان تاريخ ولادته ليسمح له بشيء من ذلك ؛ ولم يكن أكبر راوية في علم الرواية لأن هذا العلم قد بدأ يستنفد آخر عناصر وجوده عندما طلع اليه ابن سلام ؛ وفضيلة هـــذا الطالع الجديد أنه استوعب ما استوعب سابقوه ومعاصروه المتقدمون عليه ، فتنخّله ونقله وجوّد في تصنيفه والتأليف فيه . وتلقى الطلبة هذا العلم عليه في البصرة وبغداد وعلى تلاميذه من بعده ، وعليهم وعلى كتبه على مر العصور ؛ فما زال المؤلفون بعده يروون عنه ويستشهدون به ويروْن فيه الرواية الثقة الذي لا ينحل أو ينتحل ، ولا يكذب أو يخون ؛ وإنما هو العالم الذي يرى من واجبه أن يحق الحق ويبطل الباطل ، ويؤيد الصادقين ويفضح المدلسين .

وكان ثمرة علمه وخلقه كتابه « طبقات الشعراء » ثم روايات هنا وهناك وصلت الينا منبثة في غضون كتب الأدب .

---

(١) ابن النديم ١٧١ .

(٢) الخطيب ٥ : ٣٢٧ ، ياقوت ١٧ : ٢٠٤ ، القفطي ٢ : ١٤٣ . أو من جلة أهل الأدب كما لدى ابن الأنباري ١٠٩ .

(٣) ياقوت ١٧ : ٢٠٤ .

(٤) ابن تغري بردي ٢ : ٢٢١ ، العسقلاني ٥ : ١٨٢ .

مؤلفاته :

لمحمد بن سلاّم عدة مؤلفات ، وكان أكثر من روى هذه المؤلفات تلميذه ابن اخته أبو خليفة الفضل بن الحُباب (١) . وذكر ابن النديم أكثر ما بلغنا من أسماء كتبه ، وإن كان في روايته اضطراب وفي نسخ الكتاب تصحيف (٢) . وكان ممكناً تصحيح الاضطراب لو عُني المؤلفون الآخرون بذكر أسماء الكتب عناية ابن النديم ، ولو تردد ذكر هذه الكتب في بطون المؤلفات التالية عنها زمناً عندما تروى عن ابن سلام أوله ؛ ذلك أنه لم يصل الينا من كتب ابن سلاّم إلاّ كتاب واحد ، وهو الوحيد الذي يرد له اسم عندما تقتبس من الروايات والأخبار ـ ألا وهو « طبقات الشعراء » .

وفيما يلي محاولة للحديث عن مؤلفات ابن سلام ـ وهي ترينا أن مجالات هذه الكتب تكاد تستوعب كل فنون علمه .

١ — طبقات الشعراء — ولم نستطع أن نعثر على نسخة تامة صحيحة له . وقد طبع عدة طبعات : أولاها بليدن عام١٩١٣ — ١٩١٦ م بتحقيق يوسف هل ، وأخراها — وهي الأكمل والأجدر بالاعتماد — بالقاهرة (دار المعارف ، ١٩٥٢) بتحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر ، إلاّ ان المحقق رأى أن يسمى الكتاب بـ « طبقات فحول الشعراء » .

ولا بد من النص على أن من المؤلفين من لم يذكر « طبقات الشعراء » باسمه وإنما ذكر اسمين لكتابين يكوّنان في حقيقتهما هذا الكتاب ، فجاء في الفهرست : « كتـــاب طبقات الشعراء الجاهليين وكتاب طبقات الشعراء

(١) ياقوت ١٦ : ٢٠٤ ـ ، وينظر ابن النديم ١٧١ والبغدادي ٢ : ٨ .

(٢) ابن النديم ١٧١ .

الإسلاميين »[١] ؛ وجاء في الوافي « كتاب طبقات شعراء الجاهلية ، طبقات شعراء أهل الإسلام »[٢] .

وقد يكون ابن سلاّم ألّف — أول ما ألّف — « كتاب طبقات الشعراء الجاهليين ، ثم ألّف كتاب طبقات الشعراء الإسلاميين » وكتب لكل منها مقدمة منفصلة ثم جُمع الكتابان في كتاب واحد بعد أن أضيفت إليها أشياء أخرى ؛ وقد يكون الذي فعل ذلك المؤلف نفسه وزاد المتأخرون ضروباً من الاضطراب .

٢ — كتاب بيوتات العرب — ذكره ابن النديم بهذا الاسم[٣] ، والصفدي بعنوان « كتاب نسب قريش وبيوتات العرب »[٤] . وليس تأليف مثل هذا الكتاب بمستبعد عن أخباري مثل ابن سلاّم ، ولكنه لم يصل الينا ولم يصل

---

(١) ابن النديم ١٧١ .

(٢) الصفدي ٢ : ١١٥ . وفي الكتبي ٦ : ١١٢ (مخ) : « وله كتاب طبقات شعراء الجاهلية وطبقات شعراء الإسلام » . ينظر شاكر ١٧ . « ان ذكر صاحب الفهرست .. كتابين .. لا يدل على انهما كتابان منفصلان .. » أما الدكتور محمد زغلول سلام فيميل في كتابه « تاريخ النقد العربي ١ـ » ـ القاهرة ١٩٦٤ ـ ص ١٠٣ ـ إلى ان لابن سلام كتابين في الطبقات معتمداً ما جاء على (ص ١٦) من طبعة مطبعة السعادة لكتاب طبقات الشعراء » : « فاقتصرنا في هذه على فحول الشعراء الاسلاميين للاستغناء عن فحول شعراء الجاهليين بطبقاتي المؤلفة في ذلك » ، ويقول : وهذه العبارة ساقطة من نسخة المعارف مع انها تورد بعيّنها ... » ، ويقول « .. ويدفعنا ذلك إلى الشك في ان المقدمة لم توضع للكتاب كله ، أي لجزئيه ، إذ قد تكون هناك مقدمتان اختلطتا مع ضياع بعض أجزائهما » .

(٣) ابن النديم ١٧١ ، البغدادي ٢ : ٨ .

(٤) الصفدي ٢ : ١١٥ ؛ الكتبي (مخ) ٦ : ١١٢ « وله كتاب نسب قريش وطبقات العرب » ، ينظر ابن سلام ، وشاكر ٢٧ .

منه أيُّ نقل مسند إليه ، وربما كان في النقول التي وردت عن ابن سلام بما يتصل بالبيوتات وقريش ما يمكن أن يكون مستمداً منه .

٣ — كتاب الفاضل في ملح الأخبار والأشعار — ذكره الصفدي والكتبي باسم « الفاضل في الأخبار ومحاسن الأشعار » (١) . ولم يصل إلينا الكتاب أو نقل عنه ، ولكن تأليف مثله يدخل في طبيعة علم ابن سلام وعمله ، ولعله ضمنه روايات لم يتسع لها كتاب « طبقات الشعراء » ، ولم تكن من منهجه وحدوده الزمنية ، وربما كان منه بعض ما ورد عن ابن سلام غير مسند إلى كتاب الطبقات .

وجاء اسمه في روايات أخرى على : « الفاضل ... » (٢) .

وقال الأستاذ محمود محمد شاكر وهو يعلق عليه : « وحدث فيما رواه أبو الفرج بأسانيده عن ابن سلاّم أكثر من أربعين موضعاً يذكر فيها المغنين ، ومواضع أخرى ذكر فيها بعض الشعراء كعمر بن أبي ربيعة ، ونابغة بني شيبان وبشاراً وغيرهم كسكينة بنت الحسين وسعدى بنت عبد الرحمن بن عوف والحارث بن خالد المخزومي وموسى شهوات ، فأخشى أن يكون لابن سلام كتاب أيضاً في المغنين أو تكون من الكتاب الذي ذكره ابن النديم في الفهرست : الفاضل ... » (٣) .

---

(١) الصفدي ٢ : ١١٥ ، الكتبي (مخ) ٦ : ١١٢ .

(٢) ابن النديم ١٧١ . وعلق الأستاذ شاكر . هامش ص ١٤ بقوله : « لعله الفاضل بالضاد المعجمة » . وورد على « الفاضل » لدى البغدادي ٢ : ٨ (وكأنه يعتمد ابن النديم) .

(٣) شاكر ٢٨ .

وما أشار إليه الأستاذ شاكر يلفت النظر ، وليس مستغرباً أن يروي ابن سلام أشياء عن عمر بن أبي ربيعة وأمثاله ، ولا مستغرباً أن ينقل أشياء من حوادث معاصريه من الشعراء والمغنين فقد رآهم وخالط بعضهم وروى عمن خالط ، ولكن ما عرفناه من ترمته التأليفي ومن خلق رواة ذلك العصر الذين لا يعترفون إلاّ بالعصور التي سبقت زمنهم يجعلاننا نستبعد أن يكون لابن سلاّم كتاب في المغنين — زد على ان مثل هذا الاسم لم يرد بين ما ذكر من أسماء كتبه وفيما نقل عنه من روايات .

٤ — كتاب الحلاب واجراء الخيل — ورد لدى ابن النديم باسم « الحلاب وأجر الخيل »(١) ، ولدى الصفدي باسم « الحلايب واجراء الخيل »(٢) ، ولدى الكتبي : « الحلايب وأجر الخيل »(٣) .

وفيما رواه الجاحظ وحده في كتابه « الحيوان »(٤) عن ابن سلام ما يدل على اهتمام خاص بهذا الموضوع .

٥ — طبقات شعراء الفرسان — قد يكون لمحمد بن سلام كتاب خاص بهذا العنوان . وقد نبه إليه بروكلمان معتمداً ما جاء في الأغاني من نقول لا توجد في كتاب « طبقات الشعراء » وهي تخص الشعراء الفرسان مثل : دريد بن الصمّة الذي جعله ابن سلام أول شعراء الفرسان وخفاف بن نُدبة الذي جعله في الطبقة الخامسة من الفرسان(٥) .

---

(١) ابن النديم ١٧١ .
(٢) الصفدي ٢ : ١١٥ .
(٣) الكتبي (مخ) ٦ : ١١٢ .
(٤) الجاحظ ـ الحيوان ١ : ١٠٤ ، ٣ : ٢٢٥ ، ٥ : ١٦٦ ، ٢ : ٢٦٣ (وينظر ابن هذيل ٨٥) .
(٥) ينظر شاكر ٢٦ ــ ٢٧ .

وأيّد هذا الظن الأستاذ محمود محمد شاكر إذ قال : « وهذان النصّان هما اللذان حملا بروكلمان على الظن بأن ابن سلاّم قد ألّف كتاباً في طبقات فرسان الشعراء وقد أصاب بروكلمان كلّ الإصابة ، فإن ابن سلاّم قال في صدر كتاب الطبقات (ص ٥) : « .. ذكرنا العرب وأشعارها ، والمشهورين المعروفين من شعرائها وفرسانها وأشرافها وأيامها ، إذ كان لا يحاط بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب ، وكذلك فرسانها وساداتها وأيّامها ، فاقتصرنا من ذلك على ما لا يجهله عالم ، ولا يستغني عن علمه ناظر في أمر العرب فبدأنا بالشعر » .

« ولما كان كتاب الطبقات ، كما قال هو في الشعر والشعراء وحدهم على ما بيّن بعد في كتابه ، وقال إنه : « بدأنا بالشعر » فهذا وحده مُشعر بأنه سوف يتبع الشعر بالكلام على « فرسان العرب » ثم « أشراف العرب وساداتها » ثم « أيام العرب » وقد وجدنا كتاب « طبقات فحول الشعراء » ، وذكر ابن النديم كتاباً سماه « بيوتات العرب » ، فهذا ، فيما نعتقد ، هو الذي ذكر « أشراف العرب وسادتها » . فجاء أبو الفرج فدلّنا دلالة قاطعة على كتاب آخر لابن سلام هو كتاب الفرسان أو كتاب « فرسان الشعراء » [١] .

وهو جهد في الاستقراء والاستنتاج ، لا يبعد أن يكون صحيحاً أو قريباً من الصحة .

وكان مما أثار الأستاذ شاكراً قول المستشرق الألماني يوسف هل ـ وهو يقدم للطبعة الأولى من كتاب « طبقات الشعراء » ـ : من الجائز أن يكون كتاب « فرسان الشعراء » قد اندمج في كتاب « الفرسان » لأبي خليفة الجمحي ، وقد ضاع كتاب أبي خليفة فيما يظهر » [٢] .

---

(١) شاكر ٢٦ ـ ٢٨ ، ١٥ .
(٢) ينظر شاكر ١٧ .

ولم يكن لأبي خليفة ـ في حقيقة الأمر ـ كتاب باسم الفرسان ، لأن أبا خليفة راوية أمين لخاله محمد بن سلاّم ، وقد جاء عنه في معجم الأدباء : « روى عن خاله كتبه فأكثر وعن غيره وروى له من الكتب كتاب طبقات الشعراء الجاهليين ، وكتاب الفرسان ... »(١) . وكان الفهرست قد ذكر ـ قبل ذلك ـ وهو يتحدث عن أبي خليفة : « وله كتاب طبقات الشعراء الجاهليين وكتاب الفرسان »(٢) .

ولا بد من أن تكون « له » هذه مسبوقة بما سبقها في رواية معجم الأدباء « ... وروى له .. » ، ولا بد من أن تكون صلة كتاب الفرسان بأبي خليفة صلة كتاب « طبقات الشعراء .. » به ـ أي انها لخاله ؛ وهو الذي رواها ـ فيما روى .

ملاحظة : لمحمد بن سلاّم عناية خاصة بعلماء العربية من أهل البصرة ، يتقصى أول نشأتهم ويساير ترتيبهم وينقل ما علمه عنهم وما سمعه وما رآه ، فمن المحتمل أن يكون له كلام مجموع عنهم في مكان ما : مجلس أو حديث أو رسالة ... أو كتاب . فقد وردت هذه الأخبار متناثرة هنا وهناك من الكتب التي ألفت ـ بعده ـ في النحويين واللغويين ، وورد بعضها في كتاب « طبقات الشعراء » على شكل استطراد أشبه أن يكون مزجوجاً حتى ليخيل أنه وقع من إنسان آخر غير المؤلف(٣) .

---

(١) ياقوت ١٦ : ٢٠٤ (ولا بد من أن يكون شكل روى بفتح الراء على المعلوم ، وينظر الصفدي ـ نكت ٢٢٦ .

(٢) ابن النديم ١٢١ .

(٣) ابن سلام ١٢ ـ ٢١ .

ولدى السيرافي إشارة قد يفهم منها أن لمحمد بن سلام كتاباً في هذا الباب ، فقد قال : « قال أبو سعيد ثم وجدت بخط أبي أحمد الجريري عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب عن محمد بن سلاّم في ترتيب النحويين من البصريين حماد ... وكان يونس يفضله » [١] .

وتكرر الخبر لدى الأنباري [٢] .

ملاحظة أخرى : ذكر أكثر من باحث أن لمحمد بن سلاّم كتاباً بعنوان « غريب القرآن » ، ومن هؤلاء الباحثين الزركلي [٣] وكحالة [٤] ومحمود محمد شاكر [٥] ... ولا بد من أن يكون السبب ـ فيما يكون ـ أنهم نقلوا عن ياقوت [٦] (أو عمن نقل عن ياقوت كالسيوطي) [٧] إذ ورد : « وله غريب القرآن » .

وياقوت مضعَّف لأكثر من سبب : لأنه متأخر عن ابن سلاّم (بحوالى أربعة قرون) ، ولأنه تفرّد بهذه الرواية ، ولأنه غير متخصص فتجوز عليه الأمور وتختلط .

وسر الخلط وجود أكثر من ابن سلاّم في عصر واحـــد ، فهناك أبو عبيد القاسم بن سلاّم وهناك أبو عبد الله محمد بن سلاّم ، وقد اختلط

(١) السيرافي ٣٤ .
(٢) ابن الأنباري ٢٧ .
(٣) الزركلي ــ الأعلام ٧ : ١٦ .
(٤) كحالة ــ معجم المؤلفين ١٠ : ٤١ .
(٥) شاكر ــ ١٤ ، ٢٨ .
(٦) ياقوت ١٦ : ٢٠٤ .
(٧) السيوطي ــ البغية ٤٧ .

ـ كما رأينا ـ الأمر على الناس قبل ياقوت بثلاثة قرون أو أكثر ، كما اختلط عليهم في عصر ياقوت . ولم يكن القاسم بن سلاّم نكرة فيضيع حقه ، فقد عنيت به كتب التراجم وتحدثت عنه وعن مؤلفاته ، ولم تغفل أن تنص على كتابه « غريب القرآن » .

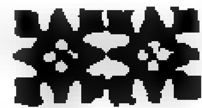
إذاً لم يؤلف محمد بن سلاّم « غريب القرآن » وإنما ألفه القاسم بن سلاّم .

الدكتور علي جواد الطاهر

أهم المصادر

ابن أبي حاتم .. الرازي ـ كتاب الجرح والتعديل ، حيدر أباد الدكن ١٣٧١/١٩٥٢ .
ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ . القاهرة ، المنيرية ١٣٠٧ (دون س) .
ـ اللباب في تهذيب الأنساب . القاهرة ، ١٣٥٧ .
ابن الأنباري ـ نزهة الألباء في طبقات الأدباء . بغداد ١٩٥٩ .
ابن تغري بردي ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ، ١٣٤٨ـ١٩٢٩
ابن حزم ـ جمهرة أنساب العرب ، القاهرة ، ١٩٤٨ .
ابن خلدون ـ العبر ... ، بيروت ، ق ١ ، مجلد ٢ ، ١٩٥٦ ، مجلد ٣ ، ١٩٥٧ .
ابن خلكان ـ وفيات الأعيان ، القاهرة ، ١٣٦٧/١٩٤٨ .
ابن دريد ـ الاشتقاق . القاهرة ، ١٣٧٨/١٩٥٨ .
ابن سعد ـ الطبقات الكبرى . بيروت ، ١٣٧٦/١٩٥٧ .
ابن سلاّم ـ طبقات فحول الشعراء ، القاهرة ، تحقيق محمود محمد شاكر ، ١٩٥٢ .
ابن كثير ـ البداية والنهاية في التاريخ . القاهرة ، ١٩٣٢ .
ابن النديم ـ الفهرست ، القاهرة ، مط . الاستقامة (من دون تاريخ) .
الأصبهاني (أبو الفرج) ـ الأغاني . القاهرة ، مط . دار الكتب المصرية . التقدم (التزام ساسي).
البغدادي (اسماعيل) ـ ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، استانبول ١٣٦٤/١٩٤٥ .
ـ هدية العارفين وأسماء المؤلفين ، استانبول ١٩٥١ ـ ١٩٥٥ .
بلاّت ـ الجاحظ ترجمة الدكتور ابراهيم الكيلاني . دمشق ١٩٦١ .

ثعلب — مجالس ثعلب . القاهرة ١٩٦١ .
الجاحظ — الحيوان . القاهرة ١٩٣٨ — ١٩٤٧ .
الحاجري — الجاحظ . القاهرة ١٩٦٢ .
الحنبلي — شذرات الذهب . القاهرة ١٣٥٠ .
الخطيب (البغدادي) — تاريخ بغداد . القاهرة ١٩٣١ .
الذهبي — كتاب ميزان الاعتدال القاهرة ١٣٢٥ (ط. الحلبي ١٣٨٢—١٩٦٣).
— العبر في أخبار من غبر . الكويت ١٩٦٠ —
— سير النبلاء . ج ١ ، القاهرة ١٩٥٦ ؛ ج ٧ مخطوطة الظاهرية بدمشق .
الزُّبيدي — طبقات النحويين واللغويين . القاهرة ، ١٩٥٤ .
الزبيري — كتاب نسب قريش . القاهرة ١٩٥٣ .
الزجّاجي — مجالس العلماء . الكويت ١٩٦٢ .
زكي (أحمد كمال) — الحياة الأدبية في البصرة ... دمشق ١٩٦١ .
السمعاني — الأنساب . ليدن (زنكوغراف) ١٩١٢ .
السيرافي — أخبار النحويين البصريين ، القاهرة ، ١٩٥٥ .
شاكر (محمود محمد) — المقدمة التي كتبها على تحقيقه لكتاب طبقات الشعراء لابن سلام ، ينظر ابن سلاّم .
الصفدي — الوافي بالوفيات . دمشق ، ج ٣ ، ١٩٥٣ .
العسقلاني — لسان الميزان ، حيدر آباد الدكن ، ١٣٢٩—١٣٣١ (دون نص)
— تهذيب التهذيب ، حيدر اباد ، ١٣٢٥ .
— الإصابة في تمييز الصحابة ، القاهرة ، ج ٣ ، ١٩٣٩ .
العلي (صالح أحمد) — التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة .. بغداد ١٩٥٣ .
القاسم بن سلاّم — كتاب الأموال . القاهرة ، ١٣٥٣ .
القالي — الأمالي ، ط ، القاهرة ١٩٢٦ (معه ذيل الأمالي والنوادر)
القفطي — إنباه الرواة على أنباه النحاة . القاهرة ١٩٥٢—١٩٦٠ (دون نص).
— كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، (مختصر الزوزني) ليبسك ١٩٠٣ .
الكتبي (ابن شاكر) — عيون التواريخ ، ج ٦ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق .
اللغوي (أبو الطيب .. الحلبي) — مراتب النحويين . القاهرة ، ١٩٥٥ .
المرزباني — « مختار من كتاب المرزباني في أخبار النحويين » ، استانبول ، مخطوطة مكتبة شهيد علي رقم ٢٠١٥ :
ياقوت (الحموي) — معجم الأدباء (ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب) . القاهرة ، دار المأمون ١٩٣٦ — ١٩٣٨ .



طرر على معجم الأدباء

أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت

طبعة الأستاذ مرجليوث سنة ١٩٠٧ م

— ٤ —

(المجلد الأول)

٢٦٨ : ١٥ الصواب : كما في الأغاني فنقط من القلم نقطة أو فنكت القلم نقطة ، (١ : ١٨١ / ٤) .

٢٧٠ : ١٠ الديوان ١٠٩ من وِتْرى .

٢٧٠ : ١٥ لعل الأصل أما أنا فأستحسن ، (١ : ١٨٥/١) .

٢٧١ : ٢ الصواب : وأبى أن يَعزَّ إلاّ بذُلّي . الديوان ١٣٠ .

٢٧١ : ٩ البيت ترى لنا تخريجه في ديوان إبراهيم رقم ١٧٣ .

٢٧١ : ١٧ ثلاث ..... ثم ما ، (١ : ١٨٧/١٢) .

٢٧٢ : ١ الديوان أعقب ، (١ : ١٨٨ / ١) .

٢٧٣ : ٨ لعل الصواب من الحرب معتصَر ، (١ : ١٩٠ / ١٢) .

٢٧٣ : ١٠ الصواب : أزاله وأداله من الدولة .

٢٧٣ : ١٨ الصواب : خُطّ لعيني آنَ ترى من قد . المرتضى ٢ : ١٣٠ .

٢٧٤ : ٢ الصواب : ومما روى .

٢٧٤ : ٥ الديوان٨٦ الحماسة بون١٣٧ بولاق ١ : ١٤٧ ، (١ : ١٩٢/٥) .

٢٧٤ : ١٠ (وما ان هذا الخ) كلام غير متّجه .

٢٧٤ : ١١ الصواب : بَقّاها أو أبقاها . وفي البيت الآتي آباء الاثام . الديوان رقم ١٢٥ ، (١ : ١٩٢ / ١٥) .

٢٧٤ : ١٤ حققنا عزو الأبيات وهي لأبي الأسد الدينوري في ديوان ابراهيم رقم ٥٧ والزيادات بعد ١٨٩ بما لا مزيد عليه ، (١ : ١٩٣ / ٤) .

٢٧٤ : ١٤ الصواب : في ناظري حيّة ، (١ : ١٩٣ / ٥) .

٢٧٤ : ١٦ الصواب : وقد كددتني ، (١ : ١٩٣/٧) .

٢٧٥ : ٢ الصواب : أو إنْ هزلا .

٢٧٥ : ٣ الصواب : في الديوان ١٣٢ :

تأسّيا منه بمـــا قد ضمنت من ذكر لا ، (١٩٤:١ / ١) .

٢٧٦ : ١٤ الركازة الخرافة نقله الصاغاني .

٢٧٦ : ١٨ الكلمة في ٢٠ بيتاً في الأغاني ١٩ : ١١٩ لابراهيم بن المدبّر ، (١ : ١٩٧ / ٤) .

٢٧٧ : ٥ البيتان لأحمد بن المدبر في أخيه ابراهيم في الأغاني ١٩ : ١٢٣ ، (١ : ١٩٧ / ١٣) .

٢٧٨ : ٧ تأثّرُه . والأبيات في البغية والوفيات (كافور) .

٢٧٨ : ١٩ الصواب : بما أشمّ مسكاً ... لفاءة بالفاء التراب وكل قليل وهما مثلان « رضي من الوفاء باللفاء » و « بدلٌ أعور » ، (١ : ٢٠١ / ٤) .

٢٧٩ : ٢ الأبيات لإيادي يذكر عذرة الخطيب الايادي كما في البيان ١٩٢٦ م والصواب والدّجَى . إذا ضرّجوها ، (١ : ٢٠١ / ٦ .

٢٧٩ : ٩ الصواب : يتَبَجَّحُ ، (١ : ٢٠٢ / ٥) .

٢٧٩ : ١٥ ترجمته مستقصاة في أصل الزبيدي ١٦٨ وكل ما هنا منه وفي الشذرات سنة ٣٤٦ هـ ، (١ : ٢٠٣ / ١) .

٢٨١ : ٣ الصواب : وقد ذكر .

٢٨١ : ٩ الصواب : حُبيش بن محمد . ابن عساكر ٢ : ٢٣١ قال وضبطه ابن ماكولا جَيْش ، (١ : ٢٠٦ / ١) .

٢٨١ : ١٠ وفي لسان الميزان ج ١ رقم ٢٢٩ ابن الكبري ، (١ : ٢٠٦/ ٢).

٢٨١ : ١٨ الصواب : لأصحاب . ابن عساكر ، (١ : ٢٠٦ / ١١) .

٢٨٢ : ٦ الصواب : وقد أجاد فيه ، (١ : ٢٠٧ / ٧) .

٢٨٣ : ح١ وذلك أن أخاه أبا الوليد توفي سنة ٢٥٦ عن سن عالية كما في طبقات الزبيدي ، (١ : ٢٠٨ / ح ٢) .

٢٨٣ : ٨ ابن عساكر ٢ : ٢٥٢ النديم ٩٢ ، (١ : ٢٠٩ / ٧) .

٢٨٤ : ٥ (كان يكون بالشام) لا غبار عليه .

٢٨٤ : ١٧ الصواب : لفظ ابن عساكر وهو (أمره السلطان بشيء فلم يقبل فغضب عليه وضربه مائتي سوط فغضب له الأوزاعي فتكلم في أمره ، (١ : ٢١٢ / ٢) .

٢٨٥ : ٨ الصواب : ما فيها حرف . ابن عساكر .

٢٨٥ : ١٠ الصواب : يَنْتَخِلانها تَنَخُّلا . ابن عساكر .

٢٨٥ : ١٥ الخُوْصَ . ابن عساكر .

٢٧٦ : ١٨ الفهرست ٧٩ ، (١ : ٢١٥/ ١٢) .

٢٨٨ : ١١ ابن شهر هو الهلال ، (١ : ٢١٨/ ٤) .

٢٨٨ : ١٦ الصواب : مُنْقَطِع ، (١ : ٢١٨/ ١٤) .

٢٨٩ : ٩ ولا تبرو الأصل تَبْرُؤُ من باب نصر ، (١ : ٢٢٠/ ٦) ،

٢٨٩ : ١٥ الصواب : إلاّ أن .

٢٩١ : ١١ (خط رائين) انظر .

٢٩١ : ١٨ الصواب : مَيْتاً بقَفرة .

٢٩٢ : ٣ أخباره في الأغاني ١٩ : ١١٤ ، (١ : ٩/٢٢٦) .

٢٩٤ : ٥ حفظي بالقميص المستجدّ وفي كنايات الثعالبي ٣٥ كما هنا والبيت الثالث فيه ١٤ ، (١ : ١١/٢٣١) .

٢٩٤ : ٨ الصواب : سعدِ هذيم ، (١ : ١٤/٢٣١) .

٢٩٤ : ٩ الصواب : وزُبْد . بلا دال يريد الزُبّ وهو (الفَعْل) ، (١ : ١/٢٣٢) .

٢٩٤ : ١٠ الوَدّ الصديق وهو الوتد أيضاً وشبَّه به هنا الزُبّ وهو الوتد من عصب وجلد ، (١ : ٢/٢٣٢) .

٢٩٤ : ١٤ ترجمته في لسان الميزان ج ١ رقم ٣٠٠ ، وفيه عن أبي نعيم في سنة وفاته ٢٨٠ هـ (١ : ٦/٢٣٢) .

٢٩٥ : ١ الطوسي والنجاشي بومباي ١٣١٧ هـ ص ١٢ ، وقوله (جبارا) في لسان الميزان عن أبي نعيم (غاليا) ، (١ : ١/٢٣٣) .

٢٩٥ : ١٤ المتمتان متعتا الحج والنكاح .

٢٩٥ : ١٧ لفظ النجاشي كتاب الأحداث حروب الغارات السيرة أخبار يزيد ، (١ : ٦/٢٣٤) .

٢٩٦ : ٤ لترجمة الفهرست ١٤٧ .

٢٩٦ : ٥ التشبيهات منه نسختان بمصر ، (١ : ١/٢٣٥) .

٢٩٦ : ٧ الصواب : بابن أبي القراقر ، وذكره ابن القارح ٢٠٠ سنة ١٣٣١ هـ .

٢٩٧ : ٢ الصواب : فأبي . .

٢٩٧ : ٢ الصواب : للجُبْن ، (١ : ٥/٢٣٦) .

٢٩٧ : ٩ الجوابات المسكتة يوجد باستنبول وذُكر لي أنه طبع طبعة محدودة ، (١ : ١٤/٢٣٦) .

٢٩٧ : ١٣ وفي الأغاني ١٣ : ٢٤ أنها لأبي عمر أحمد بن المنجم،(١ : ٦/٢٣٧).

٣٠٠ : ١١ الصواب : حتى دان .

٣٠٠ : ١٧ الصواب : ولا يُعجزه قريب .

٣٠٣ : ١٢ الصواب : إذ كان يحقّق التناسخ .

٣٠٦ : ٩ لعله عن نكبته ، (١ : ١٣/٢٥٢) .

٣٠٧ : ـ لترجمته الخطيب والزبيدي والنزهة والفوات والجزري ١٠٢ والفهرست ٨١ ، والمنتظم ج ٦ رقم ٤٢٧ ، (١ : ١/٢٥٤) .

٣٠٧ : ١١ قوله صيّره الخ ولا ملام عليـــــه فانها كذا بالفارسية ، (١ : ٨/٢٥٥) .

٣٠٨ : ٢ النزهة ٣٢٩ البربهاري الخطيب ٣٢٠٥ البربهاري رئيس الحنبلية وهو الصواب والبَرْبَهاري كما في الأنساب ٧١ لجالب العقاقير والحشيش والأدوية من الهند ، (١ : ٩/٢٥٦) .

٣٠٨ : ١٦ الصواب : مجراها .

٣٠٩ : ٢ لعله قال ابن عرفة .

٣١٠ : ٢ وترجم الخطيب ٢٧٥٠ لابن داود ، (١ : ٥/٢٦٠) .

٣١٠ : ١٣ (الذهب) لا غبار عليه والمرهب في الحاشية صوابه المهرب ، (١ : ١٢/٢٦١) .

٣١١ : ١٠ الصواب : لا أخذ .

٣١١ : ١٤ تأتي الأبيات ٦ : ٢٢٤ و ٤٩٠ .

٣١١ : ١٨ ابن النديم ١٧٢ الوفيات (نفطويه) بيتان بعض اختلاف لأبي عبد الله محمد بن زيد الواسطي المتكلم ، والثالث مما هنا في مختصر طبقات الزبيدي رومة رقم ٨٣ لابن الرومي ولا يوجد في نسخة الأصـــــل ، (١ : ٨/٢٦٤) .

٣١٢ : ١٠ الخطيب ٣٢٠٥ والنزهة وعندهما وليس لي في حرام منهم ، (١ : ١٤/٢٦٥) .

٣١٢ : ١٥ الخطيب من حَيائي يوم ، وهو الصواب ، (١ : ٧/٢٦٦) .

٣١٣ : ١٦ لعله ربّ امرىء أو (أو امرىء) .

٣١٤ : ٧ الخبز الآتي عن النشوار ٨ : ٥٣ ، (١ : ٨/٢٦٩) .

٣١٤ : ١٥ الصواب : أن تُلْفَني ..... سوى دَلّ . ثم وجدته كذلك في النشوار ، (١ : ٥/٢٧٠) .

٣١٦ : ١ الصواب : ابن محمد بن العلاء ، عن نسخة الزبيدي .

٣١٦ : ٢ في الكلام سقط والأصل (حكى فلان عن المبرّد قال في تلاميذ أبي العباس ..... على أبي العباس الخ) . أو ما يشبهه ، (٢ : ٥/٣) .

٣١٦ : ٨ الصواب : ابن الإفليليّ بالفاء ينسب إلى إفليل أو إفليلاء بالشام كان سلفه منها ترجمته في الصلة رقم ١٩٥ والضبّيّ ٤٨٥ والوفيات .

٣١٧ : ٧ الصواب : أبو مروان بن حَيّان وهو مؤرخ الأندلس الشهير ، (٢ : ١٥/٦) .

٣١٧ : ١٦ الصواب : عبد الرحمن المستكفي .

٣١٧ : ١٩ الصواب : ولحقته .

٣١٨ : ٢ الصواب : ثم أُطلق .

٣١٨ : ٧ الصواب : في العَمَى ، (٢ : ١/٩) .

٣١٩ : ٧ كامرىء القيس يريد قوله : (٢ : ٣/١١)

بكى صاحبي لما رأى الدَّرْبَ دونه وأيقن أنّا لاحقان بقيصرا

٣١٩ : ١٨ الصواب لعله : بأكناف الحِمَى ، ثم وجدته كذلك في المنتظم ٨ : ٢٨٨ ، (٢ : ٦/١٢) .

٣٢١ : ١ ترجمته عنه في نكت الهميان ٩١ ، (٢ : ٧/١٥) .

٣٢٤ : ٤ امحُ (اله) ، (٢ : ٢٠/٧) .

٣٢٤ : ٩ ترجمته الصابي في المعاهد ١ : ١٥٤ حكماء القفطي ، (٢ : ٢٠/١٢) .

٣٢٥ : ١٧ في الوفيات ٧١ سنة ، (٢ : ٢٦/١) .

٣٢٦ : ٨ الصواب : يَهْمِي على ، ثم رأيته كذلك في المعاهد ، وقوله في ح (٣) : لعله خلب رحمُه .

٣٢٧ : ١ (بَثّه وحزنه) تفسير (عجره وبجره) .

٣٢٧ : ٨ الأبيات في المعاهد أتمّ ، (٢ : ٢٩/١٢) .

٣٢٩ : ١٣ الأبيات في المعاهد والجواهر وانظر الأدباء ٦ : ١٤٧ ترجمة قابوس ، (٢ : ٣٤/١٠) .

٣٢٩ : ١٧ القبض عليه مختصراً في الجواهر ٢٥١ ومبسوطاً في ذيل أبي شجاع سنة ٣٧١ هـ ، (٢ : ٣٥/١) .

٣٣٠ : ٥ الصواب : ونَفِق عليه ، (٢ : ٣٥/١٠) .

٣٣٤ : ١١ الصواب : لك تَرّة .

٣٣٥ : ٦ الصواب : يلذع .

٣٣٧ : ١٣ الصواب : مُحَلَّأُونَ مطرودون ، (٢ : ٥١/١) .

٣٣٨ : ١٢ الصواب : وعظاماً مسبريّة ، (٢ : ٥٥/١٠) .

٣٤٠ : ١١ البيتان من أربعة لابن العميد وقال ابن النجار إنها لرزق الله الواعظ في ولده أبي العباس المعاهد ١ : ١٧٣ وهما لابن العميد في خاص الخاص للثعالبي ١٢٦ ، (٢ : ٥٦/١١) .

٣٤٦ : ١١ الأبيات في المعاهد ١ : ١٥٦ وانظر لبيتين آخرين في المنى النشوار ٨ : ١٣٧/ ، (٢ : ٦٨/١٥) .

٣٤٧ : ٣ في المعاهد ، (٢ : ٧٠/٤) .

٣٤٨ : ٢ الأبيات في النشوار ٨ : ١٣٧ ، (٢ : ٧٢/٧) .

٣٤٨ : ١٣ اسم غلامه على ما في الوفيات يُمْن وفيه : ببياضه استعلى علوّ الخاتن ، (٢ : ٧٣/٧ و ٨) .

٣٤٨ : ١٨ الأبيات أربعة في الوفيات ، (٢ : ٧٤/١) .

٣٥٠ : ٥ الصواب : لعله فنعى حياتك .

٣٥٠ : ح (٢) الردى في اليتيمة غير محرّف .

٣٥١ : ٦ الصواب : كالدَّوْح ثم رأيت الأبيات في المعاهد .

٣٥٢ : ٤ وشبع الفتى الخ من ٤ أبيات في الحماسة بون ١٢٩ بولاق ١ : ١٤١ الجهشياري ٢٤٢ لبشر بن المغيرة بن المهلب وعزاها القالي ٢ : ٣١٧ ، ٣١٣ للبختري بن المغيرة ، (٢ : ٨١/١٥) .

٣٥٣ : ٤ تستحل هو الصّواب من الحلالة .

٣٥٥ : ١٧ جِيسُوَان معرّب گيسوان وهي الذوائب بالفارسيّة وهي جنس من النخل له بُسر جيّد (٢ : ٨٩/١٤) .

٣٥٦ : ١ البيتان في النشوار ٨ : ١٣٧ .

٣٥٦ : ٩ الصواب : أمِّنوا .

٣٥٧ : ١٠ الأبيات في المعاهد ، (٢ : ٩٢/١٠) .

٣٥٨ : ح (٢) قول الصفدي هذا لابن خلّكان في وفياته . وأنا أراه وهما من ابن بسام إذ أن ابن رشيق وهو بلديّ الحصري وصاحبه يعد أن عيته قبل ٤١ سنة .

٣٥٨ : ٢ الأبيات في المعاهد (٢ : ٩٣/١٢) .

٣٥٩ : ٦ الصواب : ذكّرتني .

٣٦٠ : ٤ (وله عندي كتاب الجواهر ..... كتبه عبد القادر البغدادي غريب من المصحح أن يدرج هذا الكلام في صلب المتن وإنما هي حاشية لصاحب خزانة الأدب عبد القادر في نسخة الأدباء بخزانة بادلي باكسفورد وكان يسمى الكتاب الجواهر الخ (الخزانة ١ : ١١ ، ٢٥١ ؛ ٣ : ١٦٨ ؛ ٤ : ٢٨٤) خلافاً لما ثبت في طبعة الكتاب جمع الجواهر وبخط المرحوم محمد حفني المهدي عقود الجواهر الخ ، (٢ : ٩٧/٨٠) .

٣٦٠ : ٩ ابن عساكر ٢ : ٣٠٨ الخطيب ٣٢٦٤ النزهة ٢٢٣ ابن الجزري ١٢٢ ، (٢ : ٩٧/١٤) .

٣٦٠ : ١٥ هذا المؤلف الجليل وجدته بخزانة كوپرولو رقم ٣٢٧ في ٢٠١ ورقة والمسطرة ١٨ سطراً نسخة عتيقة لعلها من القرن الرابع جليلة مقروءة مسموعة بالية مخرومة أقلّ من النصف الأوّل نقلت عن نسخة الشيخ وقوبلت بنسخة أبي الحسن المهلّبي ثم وقفت سنة ٥٨٠ هـ بالقاهرة لتجعل إماماً ، (٢ : ٩٨/٩) .

٣٦٢ : ١٠ الأبيات ثلاثة في جواهر الحصري ٦١ ، (٢ : ١٠١/٥) .

٣٦٤ : ٦ الصواب : وممن جال ، (٢ : ١٠٥/١) .

٣٦٤ : ١٠ الصواب : بشكوال القرطبي صلته رقم ٤ .

٣٦٤ : ١٢ الحميدي وعنه بغية الملتمس رقم ١٥٦٣ و ٣٨٠ ، (٢: ٢٠٣/٧) .

٣٦٤ : ١٧ قوله ان ابن حزم لم يسمه قلت سمّاه كما هنا في رسالته النفح مصر ٢ : ١٣٢ وقال صاحبه ٢ : ٢٣٤ رأيت بعضه بفاس قلت ولا أعرف أحداً من المتأخرين رآه غير المقري ، (٢ : ٢٠٤/١) .

٣٦٥ : ح ٢ روايات الطوسي إن هي إلا سخافات النساخ ، وله ترجمة في لسان الميزان أيضاً ج ١ رقم ٤١٦ .

٣٦٥ : ٩ الصواب : ثابت قطنـــة كما عند الطوسي والنجاشي ٦٨ ، (٢ : ١٣/٢٠٤) .

٣٦٦ : ٤ الصواب : غضروف .

٣٦٦ : ٦ حك (ثم) ، (٢ : ٨/٢٠٦) .

٣٦٧ : ١٠ لعله أبا عليّ ما ترى .

٣٧٠ : ٤ تبيّغ وتبوّغ ثار وغلب .

٣٧١ : ١٥ الصواب : الشديد حجابه .

٣٧١ : ١٦ الصواب : الغايات .

٣٧٢ : ١٥ طبقات الزبيدي نسخته الفريدة ص ١٦٥ ، (٢ : ١٢/٢١٨) .

٣٧٣ : ٢ الزبيدي : أبا طالب ، (٢ : ١٠/٢١٩) .

٣٧٣ : ٣ الزبيدي : الملاحة يختال ، (٢ : ١٣/٢١٩) .

٣٧٣ : ٦ الصواب : واللين مُفتال والزبيدي : قتّال ، (٢ : ٤/٢٢٠) .

٣٧٣ : ٨ الزبيدي : سُقيتُ نجيعَ السم ان ، (٢ : ٧/٢٢٠) .

٣٧٣ : ١٦ الدّنّيّة قلنسوة كانت تشبه الدّنّ ، (٢ : ٦/٢٢١) .

٣٧٦ : ٨ والنجاشي ٧٠ ، (٢ : ١٢/٢٢٥) .

٣٧٦ : ٩ الصواب : حنظلة بن مالك بن زيد مناة كما في النجاشي أيضاً ، (٢ : ١٣/٢٢٥) .

٣٧٦ : ١٠ أبو أحمد الجلودي النديم ١١٥ قال وتوفي بعد سنة ٣٣٠ هـ النجاشي ١٦٧ الطوسي مع الذيل ١٨٣ ، (٢ : ١/٢٢٦) .

٣٧٦ : ١١ الشيعة يسمّون أهل السنّة عامّة ، (٢ : ٣/٢٢٦) .

٣٧٦ : ١٧ الجفر وفي نسخة الزبيدي الجبر ، (٢ : ١٠/٢٢٦) .

٣٧٧ : ١٠ المذار قصبة ميْسان بين واسط والبصرة . (٢ : ١/٢٢٨) .

٣٧٧ : (٢) ح حنّكتها .

٣٧٨ : ٢ البيتان في أدب الكتاب للصولي ١٠١ ، (٢ : ١٣/٢٢٨).

٣٧٨ : ٨ الصواب : حَسَّن المعرفة ، (٢ : ٨/٢٢٩) .

٣٧٨ : ٩ بنات المخر في بيت طرفة : (٢ : ٩/٢٢٩) .

كبنات المخر يمأدن كما أنبت الصيف عساليج الخَضَر

٣٧٨ : ١٣ الأبيات في نسخة تصحيف العسكري بالدارق ٨ ب والطبعة ١٠ وأدب الكتاب للصولي ٤٩ وفيه كثير من شعر نطاحة ،(٢ : ١٥/٢٢٩) .

٣٧٩ : ١ له ترجمة في لسان الميزان ج ١ رقم ٤٣٣ ،(٢ : ١١/٢٣٠).

٣٧٩ : ٤ كتاب الفتوح له ألفه سنة ٢٠٤ هـ وطبع ترجمته الفارسية وألّفت سنة ٥٩٢ ببومباي سنة ١٣٠٠ هـ انظـــر مجلة المجمع العلمي بدمشق ص ١٤٢ سنة ١٣٤٤ هـ .

٣٨٠ : ١٥ الصواب : إنّ . والبيت الثالث يشبه قول الحماسي :

ثم انصرفت إلى نضوى لأبعثه إثر الحمول الغوادي وهو مشكول

ثم وجدتها أربعة أبيات في أدب الصولي ١٩٤ وفيه تفضي إلى عرصة وراجعه لمنى التعريض فقد أجحف أبو هفّان بالبيان ، (٢ : ١٤/٢٣٤) .

٣٨٠ : ١٨ الصواب : بشر بن محمد (ابن الفرضي رقم ١٠٢ الزبيدي ص ١٩٤ الضبّيّ ٣٨٦) وسنة وفاته ٣٢٦ عند الزبيدي وعند الآخرين ٣٢٧ ، (٢ : ٥/٢٣٥)

٣٨١ : ٧ ترجمته في النزهة ٤١٠ ولسان الميزان ١ : ١٤١ والوفيات رقم ٣٩ ، (٢ : ٦/٢٣٦) .

٣٨١ : ١٣ (وكان ابن) هو الصواب وكذا هو في النزهة .

٣٨١ : ١٦ النزهة ضمير الاثنين ضمير الاثنين إذا قلت أنتما تضربان كما تقول ضربتا فلمّا حذفت مع ضمير الاثنين علم أن فيها الخ وفيه سداد خرم نسختنا ، (٢ : ٩/٢٣٧) .

٣٨٢ : ٣ البغية ١٢٩ أحمد بن أبي بكر .

٣٨٢ : ٤ البغية يلقب بالمجد وبه يعرف . وأما (عرف سيرين) فإنه لم يأت به في بُلدانه وهناك بالشام معرّة مصرين ، (٢ : ٩/٢٣٨) .

٣٨٢ : ١٨ طبقات الزبيدي ص ١٤٦ ، (٢ : ٢/٢٤٠) .

٣٨٣ : ٢ الصواب : وعزا .

٣٨٣ : ٩ المنتظم ج ٦ رقم ٤٤٦ ، (٢ : ١/٢٤١) .

٣٨٣ : ١٢ لعل صوابه لقّبني به فانه لقيني يوماً فقال .

٣٨٣ : ١٦ خُنياگر المغنّي ومنــــه الخُنْگرين فيما سيأتي ص ٣٩٠ وفيما مرّ ١٤٥ ترجمته الخطيب ١٦٨٨ والوفيات والجواهر ١٨٢ .

٣٨٣ : ١٧ الصواب : متصرّفاً .

٣٨٤ : ١ لعل صوابه بجَبْتَل .

٣٨٤ : ٨ الصواب : عليلا .

٣٨٤ : ١٥ الخطيب بالعُمر واربِتُه . ولعل صواب ما هنا أوثقته .

٣٨٥ : ٦ بَزَوْغَى قرية ببغداد على فرسخين منها .

٣٨٥ : ١٣ البيت فكان الخ لعمر بن أبي ربيعة .

٣٨٦ : ١٩ الصواب : من الحير .

٣٨٧ : ٢ الصواب : أنحى عليّ (٢ : ١٢/٣٤٩) .

٣٨٧ : ١٣ الصواب : لشيْمة .

٣٨٧ : ١٤ وفي كنايات الجرجاني ١٢ شنيئتهم وفيـــه الثلاثة الأبيات الأخيرة ، (٢ : ٣/٢٥١) .

٣٨٧ : ح (٣) و (١) حكتُها .

٣٨٨ : ٩ القمّوث الديّوث ، (٢ : ١١/٢٥٢)

(يتبع)  عبد العزيز الميمني

الشهاب الشاغوري

٥٣٣ — ٦١٥ ﻫ

١١٣٩ — ١٢١٨ م

حياته وآثاره

مراحل حياته

في بانياس الساحلية (١) ، ولد الشاعر فتيان بن علي بن فتيان بن ثمال الأسدي الخزيمي (٢) ، المعروف بـ « الشاغوري المعلم » : سنة ٥٣٣ ﻫ .

يظهر أنه اتخذ من حي الشاغور (٣) في دمشق سكناً له ، فأنشأ فيه كتّاباً لتعليم الصبيان في مطلع حياته بعد ارتحاله عن مدينته .

ولا نعرف على الضبط سبب مغادرة بلده الساحلي الجميل ، وأغلب الظن أنه بسبب الأخطار المحدقة به ، ولا سيما بعد احتلال الفرنجة

---

(١) وهي غير بانياس الداخلية وقد ضماها ياقوت (بلنياس) بضمتين وسكون النون ، وذكر أنها كورة ومدينة صغيرة وحصن بسواحل حمص على البحر (معجم البلدان ، ج ١ ص ٤٨٩) وضبطها صاحب القاموس المحيط (بلنياس) بكسرتين وسكون النون ، وذكر أنها مدينة حسنة بسواحل حمص (القاموس المحيط ، ج ٢ ص ٢٠٣) .

(٢) نسبة إلى أسد بن خزيمة وهو أبو قبيلة من مضر ، وابن ربيعة بن نزار .

(٣) ذكر ياقوت أن الشاغور محلة بالباب الصغير مشهورة وهي في ظاهر المدينة (معجم البلدان ، ج ٣ ص ٣١٠) .

الطراز الأخضر(١) السوري ، وهو العامل نفسه الذي اضطر ابن القيسراني ، وابن منير الطرابلسي إلى الهجرة من بلديهما قبله .

لا نعرف عن طفولته شيئاً يذكر ، شأننا في ذلك عند معظم من نترجم لهم ، وكل ما يمكن ذكره أنه اشتهر أمره في دمشق ، وكانت له حلقة خاصة في الجامع الأموي ، يُقرئ النحو ، ويُدرّس الأدب ، وقد لقيه ياقوت الحموي في أخريات أيامه بعد أن ناهز التسعين ، فسمع منه بعض شعره ، وأعجب به كثيراً (٢) .

خدم الشاعر الملوك الأيوبيين ، ومدحهم بغرر قصائده ، وآثر أن يختص بعض أمرائهم الذين كانوا يجزلون له العطاء ، فتعلق بخدمة الأمير نور الدين مودود بن المبارك شحنة دمشق ، وهو أخو عز الدين فروخ شاه وابن أخي صلاح الدين لأمه ، فمدحه بقصائد كثيرة وأطنب في ذكره ، فكتب إليه صاحبه ابن عنين مداعباً :

يا من تلقب ظلماً بالشهاب ولن يأتي بظلمته في أفقها الشهبا
لا يَغْرُرَنَّكَ من مودود دولته وإن تمسَّكتَ من أسبابها سببا
فلست تنبح فيها غير واحدة حتى تلفّ على خيشومك الذنبا (٣)

لم يرتحل الشاعر عن دمشق إلا للإقامة في بعض ضواحيها القريبة فسكن الزبداني ، واشتغل فيها معلماً (٤) ، وقد ورد في ديوان صاحبه ابن عنين

(١) ذكر أبو شامة أن الطراز الأخضر هو بلاد الساحل المطلة على البحر من الداروم وغزة وعسقلان وعكا وصيدا وجبيل وغير ذلك ، وحبذا استعمال هذه التسمية الجميلة في كتبنا الجغرافية والتاريخية (ينظر في كتاب الروضتين في أخبار الدولتين ، ج ٢ ص ١٠٤) .

(٢) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ص ٣١٠ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ص ٤٠٨ .

(٤) ديوان ابن عنين ، ص ١١٩ .

المار ذكره أنه اجتاز بها ذات يوم ، وقصد مكتبه ليزوره فلم يجده فأخذ لوحاً من أحد الطلبة وكتب له فيه :

أتيت فما حظيت لسوء بختي بخدمة سيدي ورجعت خائب
إمام ما تيممنـــاه إلا رجعنـا بالرغائب والغرائب (١)

أعجب الشاعر بطبيعة الزبداني الجميلة ، فوصف ثلوجها وشدة قرّها . ويلاحظ في حياته أنه كان كثير الخمول ، يفضل الاستقرار على الارتحال ، راضياً من الحياة بما قسم له ، مؤثراً السلامة على السعي وراء المجد والشهرة ، ثم يود بعد كل ذلك لو تبتسم له الأقدار عن حظ سعيد ، وهو قابع في كتّابه يسعى ما بين الشاغور والجامع الأموي والزبداني ويتساءل قائلاً :

عَلامَ تحركي والحظ ساكنٌ ؟ وما نهنهت عن طلب ولكنْ
أرى نذلاً تقدمـــه المساوي على حرّ تؤخره المحاسن (٢)

هكذا قضى عمره يرقب الحياة ، فلا يرى فيها غير التناقض ، فآثر العزلة في كتّابه ، يسعى إليه الطلبة والأدباء ليلتقوا به حتى شاخ وهرم فناهز التسعين ، وتوفي سحر الثاني والعشرين من المحرم سنة ٦١٥ هـ ، ودفن بمقابر باب الصغير .

آثاره الأدبية

للشاعر ديوان شعر مشهور (٣) ، وهو كبير فيه مقاطيع حسان (٤) ، وأغلب الظن أنه لم يقم بجمع ديوانه في حياته ، وإنما قام بجمعه واختياره

(١) ديوان ابن عنين ص ١١٩ .
(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ص ٤٠٨ .
(٣) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٢٢٤ .
(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ص ٤٠٨ .

ابنه بعد ثمانية أعوام من وفاته ، وفي الهند نسخة وحيدة مخطوطة منه (١) ، كتبت سنة ٦٢٣ هـ . وله أيضاً ديوان آخر صغير (٢) ، اقتصر فيه على ما نظمه وجمعه من الفن الشعري المستحدث المسمى بالرباعي ، والمعروف باسم « الدوبيت » ، وهو مفقود ، ولا نعرف منه غير مقطوعة واحدة سنذكرها في معرض حديثنا عن شعره ومذهبه الفني .

شعره ومذهبه الفني

أغراض شعره

في شعره وصف رائع للطبيعة الدمشقية ، تتجلى فيه بأزهى حللها ، وهو غالباً ما يتبعها بنسيب تقليدي ، ثم يخلص من كل ذلك لمدحه المختلفة .

طبيعة دمشقية

وصف الشاعر الطبيعة الدمشقية وصفاً دقيقاً ، تطرق فيه إلى كثير من متنزهاتها وغير ذلك ، فهو يضفي على وصفه طابعه الشامي ، ويقتصر منه على بيئة معينة ومكان معروف ، فلم يكن كسائر الشعراء يتحدث عنها حديثاً عابراً أو عاماً ينطبق على كل بيئة ويصلح لكل زمان ومكان .

أعجب بالزبداني ، فأقام فيها ، ونقل إليها كتابه ، فراقه فيها ثلجها المندوف في كانون شتائها القارس ، فأنشد يقول :

قد أجمد الخمر كانون بكل قدح ... وأخمد الجمر في الكانون حين قدح

يا جنة الزبداني أنت مسفرة ... عن وجه حسن إذا وجه الزمان كلح

(١) في المجمع العلمي بدمشق صورة مصورة عن المخطوط المذكور برقم ١٤١ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٦ ص ٤٠٨ .

فالثلج قطن عليك السحب تحلجه   والجو ندافه، والقوس قوس قزح
متى يجل فيك طرف الطرف من مرح   قرنته لحاً تأتي بحسن ملح
تلقى النواظر من روض نواضر في   قلوبنا فرجاً من همها وفرح[1]

لا تخلو هذه الصورة من تصنع بديعي هام . بيد أنها على الرغم من كل ذلك صورة حقيقية لمصيف قائم في مكان مرتفع شديد القر تعبث به الثلوج الكثيرة في أيام الشتاء .

وفي قلب دمشق ، في باب بريدها ، جنة عارشة ، أعجب الشاعر بها فتحدث عنها ، وأشار إلى ما حولها من متنزهات : كالنيرب وجسر ابن شواش ، والشرف الأعلى ، والقصر المنيف ، والمرج الأخضر ، ومما قاله :

يا حبذا جنة باب البريد بها   والحسن قد حُشيتْ منه حواشيه
فالمرج فالنهر فالقصر المنيف على الـ   ـقصور بالشرف الأعلى فشانيه
فجسر جسر ابن شواش فنيربها   تحلو معانيه لا تخلو مغانيه
كأن في رأس عليين ربوتها   يجري بها كوثر سبحان مجريه
تلك المرابع لا رضوى وكاظمة   ولا العقيق تواريه بواديه[2]

تلك هي الطبيعة التي يرى الشاعر أن ينصرف إليها كل شاعر آخر ، فيكف عن ذكر البوادي والعقيق ورضوى وكاظمة . صورة تشعر بالجدة التي أخذ بها الشاعر نفسه في وصفه ، ولو شفعها بنبضات قلبه كما في غيرها لكانت عجباً ولكنها جاءت خفاجية الديباجة ، عبثت بها الصنعة الجناسية جرياً على أسلوب العصر .

---

(١) مصورة مخطوطة ديوان الشهاب الشاغوري ، ج ١ ل ٤٦ .
(٢) مصورة مخطوطة ديوان الشهاب الشاغوري ، ج ١ ل ١٢٤ .

يحلو لنا بعد هذا التجوال في ضواحي دمشق ومتنزهاتها النائية أن ندخلها مع الشاعر لتشهد طبيعتها عن كثب ، وقد تفتحت أكامها ، ورقت أنسامها ، واختال ربيعها الضاحك ، فبدت رائعة الحسن تسر الناظرين :

نوح الحمام الورق في أوراقها ... دل أخا التشوق على أشواقها
فأظهر الدمع وأخفى زفرة ... خاف على البانات من إحراقها
لو بكت الورق ببعض دمعه ... لمحت الأطواقَ من أعناقها
فاعجب لها شاكيةً باكيــة ... لم تسلك الدموع في آماقها
ما أفرقت مهجته من الجوى ... لكنه أشفى على فراقها
دع العريب والنقا وزينباً ... تجذب للبين بُرى نياقها
وعج على دمشق تلف بلدة ... كأنما الجنات من رستاقها
سقى دمشق الله غيثاً محسبا ... من مستهل ديمة دفاقها
مدينة ليس يضاهي حسنها ... في سائر البلدان من آفاقها
تود زوراء العراق أنها ... منها ولا تُعزى إلى عراقها
أهدت له يد الربيع حلة ... بديعة التفويف من خلاقها
بنفسج مثل الخدود أدميت ... بالقرص والتجميش من عشاقها
ونرجس أحداقــه رانية ... عن مقل النيد وعن أحداقها
تنزّل المنثور من رياضها ... تنزل الأعلام من شقاقها
فأرضها مثل السماء بهجــة ... وزهرها كالزُهر في إشراقها
مياهها تجري خلال روضها ... جري الثمانين لدى استباقها
مسفرة أنهارها ضاحكة ... تنطلق الوجوه لانطلاقها
نسيم ريا روضها متى سرى ... فكَّ أخا الهموم من وثاقها
قد خيَّم الربيع في ربوعها ... وسيقت المنى إلى أسواقها

لا تسأم العيون والأنوف من رؤيتها يوماً ولا استنشاقها (١)

استهل الشاعر بوصف طبيعة دمشق مطلع المدحة التي خص بها ممدوحه مودوداً ، فتحدث باديء الأمر عن الحمائم الورق ، وقارن بين حاله وحالها ، ووصف بعد ذلك ما يلقاه من الوجد والجوى ، وذكر أنه أشفى على الهلاك . ويخاطب صديقه بعد ذلك ، فيدعوه بصراحة إلى ترك التغني بزينب والعريب والنقا ، ويطلب منه أن يعرج على دمشق ذات الجنان والينابيع ، ويخلص من كل ذلك ليطنب في وصف ربيعها الذي أبدعته قدرة خلاقها ، ويصور بدقة البنفسج والنرجس والشقائق والمنثور ، ثم ينتقل لذكر الأنسام والجداول ، ولا ينسى في ختام هذا الوصف إشراك حاسة أخرى غير البصر ليصل ما بين الطبيعة والنفس بلذة الاستمتاع ونشوة الجمال .

نسيب تقليدي

كان الشاعر في الغالب يتبع وصف الطبيعة بنسيب تقليدي كما في القصيدة السابقة ، إذ تحدث بعد وصف الطبيعة عن شادن تحسده البدور ، ثم تطرق بعد ذلك لوصف الممدوح .

لم يكن الشاعر مبدعاً في نسيبه وغزله كما في وصف الطبيعة وشتان ما بينهما ، وإنما هما ضرورة اقتضتها طبيعة التقليد في الفن الشعري العربي .

كان في نسيبه يجري في حلبة شعراء العصر ، وطبيعي فيمن طلب من صديقه أن يعرض عن ذكر زينب والنقا والعريب ويحذو حذوهم فيتغزل بظبي شادن من الترك .

---

(١) مصورة مخطوطة ديوان الشهاب الشاغوري ، ج ١ ل ١٢٤ .

وميض برق أرى في فيك أم شنبا ؟ … وهل رشفت رضاباً منه أم ضربا ؟

أفدي الذي ما أبى باللحظ سفك دمي … لكنْ متى ما طلبت العطف منه أبى

ظبي من الترك أصمتني لواحظه … وأسهم الترك إن أصمت فلا عجبا

يبدو بضدين في خديه قد جمعا … ماء الشباب ونار الحسن فاصطحبا

فذلك الماء أبكى ناظريّ دماً … وذلك الجمر أذكى في الحشا لهبا

شكا فؤاديّ من عبء الهوى تعباً … كما شكا خصره من ردفه تعبا

يهز أعطافه دلُّ الصبا فترى … غصناً من البان يثنيه النسيم صبا

يا مطلع البدر فوق الغصن معتدلاً … يلوح ما بين شربوش وطوق قبا (١)

اعدل فإن رسوم الجور قد درست … مذ صار فينا مكين الدين محتسبا (٢)

ليس في هذا النسيب غير ما ألفه الناس في شعر هذا العصر : صور تقليدية معروفة من أوصاف مبالغ فيها ، وذكر أحوال المحب وعذابه ، وما يلقاه من لاعج الشوق وحرقة الجوى . يضاف إلى ما أسلفنا ذكره استخدام بعض الألفاظ المعربة الشائعة على ألسنة العامة ، كما رأينا ذلك أكثر من مرة ، فمن قبل استخدم الرستاق ، واستخدم في هذه القصيدة الشربوش ، وقد وردت مراراً في ديوان شعره وغير ذلك كثير .

أما خمرياته فتكون تارة ضمن نسيبه ، وتكون أخرى مستقلة كما في هذه القصيدة التي جاء فيها قوله :

قم فاجل بنت الكرمة الخضراء … في الكأس كالياقوتة الحمراء

(١) الشربوش : قلنسوة طويلة ، وهي معربة عن السربوش ، وتطلق على غطاء الرأس . والقبا : وهي مقصور القباء ، وهي ثوب يلبس فوق الثياب .

(٢) العماد الكاتب : الخريدة ، قسم شعراء الشام ، ج ١ ص ٢٥٤ . هذه القصيدة غير موجودة في الديوان المخطوط .

راح متى ما أشرقت كاساتها فاضت أشعتها على الجلساء
في شربها من كل قلب شهوة فكأنها خلقت من الأهواء
وإذا انجلت في الليلة الليلاء هزمت ظلام الليـل بالآلاء
يا لائمي في شربها أغريتني باللوم فيها غاية الإغراء
يا حبذا هي في الخريف وغيره في سائر الأوقات والآناء
ما العيش إلا في المدام وشربها لكنْ مع الظرفاء والعقلاء (١)

يظهر أن الشاعر كان يعرض في بيته الأخير بالشعراء الإباحيين ، وقد سلك في هذه الحرية سبيل عرقلة الكلبي (٢) إمام الجماعة في مذهبه الخمري ، وهم يمثلون علاقة شعراء هذه المدرسة الشامية بشعراء المدرسة الخيامية .

مدح مختلف

يخلص الشاعر بعد مقدماته المستفيضة في وصف طبيعة دمشق ، والتخلص منه إلى النسيب التقليدي المعروف ليثني على ممدوحيه ، ومن الخير أن نقتطف الأبيات التي مدح بها صاحبه مودوداً من القصيدة التي استهللنا بها الحديث عن وصفه طبيعة دمشق ، وجاء فيها قوله :

أشكو إلى الأشواق ما شكته جلـق إلى الودود من أشواقها
حق لبدر الدين أن تحسده على العلى البدور في اتساقها
كماله أحسن من كمالهـا فصين ، طول الدهر ، عن محاقها
قد خيم الربيع في ربوعهـا وسبقت المنى إلى أسواقها
اختـاره الله لخير أرضـه إذ ليس مثل الشام في آفاقها
فقابل الشام برأي رتق الـ أمور بعد شدة انفتاقهـا

---

(١) مصورة مخطوطة ديوان الشهاب الشاغوري ، ج ١ ل ٩ .
(٢) عرقلة الأعور حسان بن نمير بن عجل الكلبي (٤٨٦ ـ ٥٦٧ هـ) شاعر من الندماء في زمن صلاح الدين الأيوبي .

ما غلّ في الحرب، ولكن غلّ أيـــدي عُصَب الكفر إلى أعناقها
لا فتئت أيامـــه سعيـــدة لا تَنكث الدهرَ قوى ميثاقها(١)

نشير إلى آخرين ممن مدحهم كالناصر صلاح الدين ، وقد مدحه وهو في دمشق مرارا ، ولا بأس أن نقف عند القصيدة التي أنشده إياها في قلعة دمشق بعد فتح بيت المقدس ، وهي تبلغ نحواً من مائة بيت ، ومنها قوله :

يا ناصر الإسلام فزت بمورد حسن الثنا في العالمين ومصدر
فلقد وأدت الشرك يوم لقيتهم وغدوت للإسلام عين المنشر
ورأيتهم لما التقى الجمعان بالـــبيت المقدس هول يوم المحشر
ورددت دين الله بعد قطوبه بالمسجد الأقصى بوجه مسفر (٢)

نكتفي بهـــذا القدر مما أوردناه من أغراض شعره ، ونخلص لنؤكد ما ذكرناه ، ونقول إن وصف الطبيعة الدمشقية كان أبرز أغراضه الوصفية ، وقد أبدع الشاعر فيها كل الإبداع ؛ أما سائر شعره فكان شأنه فيا شأن أي شاعر آخر من شعراء هذا العصر .

مذهبه الفنيّ

لاحظنا أن الشاعر كان يؤمن بالثورة على المعاني التقليدية في بعض الأحيان ، وعلى الأساليب الشعرية الموروثة ، وبخاصة فيا يتعلق بهيكل القصيدة العربية ، فنظم في فن الرباعي الفارسي (الدوبيت) ديواناً كاملاً ، لم يصلنا منه مع الأسف الشديد غير رباعية واحدة اختارها لنا ابن خلكان من هذا الديوان المفقود ، وهي قوله :

---

(١) مصورة مخطوطة ديوان الشهاب الشاغوري ، ج ١ ل ١٢٥ .
(٢) المصدر السابق ، ج ١ ل ٦٧ . .

الورد بوجنتيك زاهٍ زاهر والسحر بمقلتيك وافٍ وافر
والعاشق في هواك ساهٍ ساهر يرجو ويخاف فهو شاكٍ شاكر (١)

ولم يكن ليقتصر في تجديده على الهيكل المعروف ، وإنما كان يحاول أن يخرج كما ذكرنا عن طوق التقليد الأعمى ، فقد كان يكره ذكر زينب والعريب والنقا ، وتأخذ طبيعة دمشق بلبّه ، فيعرض عن ذكر رضوى وكاظمة والبوادي وعقيق جرياً على سنة أبي نواس من قبله .

نترك هذا وذاك لنقرر أن الشاعر نهج في مذهبه الفني نهج شعراء عصره ، فأخذ نصيبه من التطبيق والتجنيس ، بيد أنه لم يكثر منها في شعره ، وأخذ من السهولة والانسجام نصيباً آخر ، فبدا تصنعه جميلاً في رونق الطبع ، ورشيقاً في قالب من الوضوح ، ودقيقاً في إطار من الطبيعة والوصف .

هكذا جمع الشاعر في مذهبه الفني بين اتجاهين معروفين في عصره : اتجاه من سبقه من الشعراء أمثال ابن القيسراني وابن منير الطرابلسي وغيرهما ، واتجاه من جاء بعده كابن عنين والشرف الأنصاري (٢) .

الدكتور محمد موسى باشا



---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ص ٤٠٨ .
(٢) مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد ٤٠ ، ج ٢ ، ج ٣ .

أبو عبد الله المقري

(٧٥٨ ه — ١٣٥٧ م)

وكتابه الحقائق والرقائق

إذا كان أبو العباس المقري صاحب نفح الطيب المتوفى بالقاهرة سنة ١٠٤١ ه قد أخذ مكانته في عالم الشهرة عند الباحثين ولا سيما منهم عشاق الأدب المغربي والأندلسي .. فان جده الإمام أبا عبد الله قاضي فاس ، ونابغة تلمسان ودفينها ، قد وقفت به شهرته في حدود المعاجم والفهارس الخاصة ، ولم ينل في عصرنا هذا حظه من الدراسة والبحث ـ فيما نعلم ـ ولعل ذلك يرجع إلى أن مؤلفاته ظلت قليلة التداول بين الناس منذ أجيال ، رغم أهميتها العلمية ، ورغم أن مؤلفها كان في عصر ما فارس ميدان العلوم الإسلامية المعقول منها والمنقول ، وصاحب فكر موسوعي لا يعرف في الثقافة اختصاصات ولا حدوداً ... وصاحب عارضة قوية وتضلع من معارف عصره قدرها تلامذته : ابن الخطيب ، وابن خلدون [1] ، والإمام الشاطبي ، وابن عباد الرندي ، وغيرهم من الأعلام في المغرب والأندلس .

---

(١) يتحفظ ابن خلدون في شان تلمذته لأبي عبد الله المقري فرغم أنه يذكره في قائمة الشيوخ الذين أخذ عنهم فانه يعبر عنه بقوله : « صاحبنا » تارة ، وبقوله : « قاضي الجماعة بفاس ، وكبير علماء المغرب » انظر ذلك في كتاب « التعريف » ص ٥٩ و ص ٢٤٧ من طبعة لجنة التأليف سنة ١٩٥١ م .

عاش أبو عبد الله المقري في عصر بلغت فيه الثقافة الإسلامية أوج نشاطها وذروة عزها في بلاد المغرب العربي والأندلس وظهرت عبقريات في ميادين المعرفة المختلفة ... رغم الصورة الشوهاء التي رسمها ابن خلدون في المقدمة لانقطاع سند العلم – في عصره – في كل من المغرب الأقصى والأندلس ...

إلا أن الباحث المطلع على النشاط العلمي والأدبي وقائمة الهيئة العلمية ، وأخبارها ورحلاتها ، ومؤلفاتها ، ومدارسها ، لا يسعه استناداً على ذلك ، إلا أن يعتبر رأي ابن خلدون – في الباب – بمعزل عن الحقيقة التاريخية ، أو على الأقل مجرد وجهة نظر ....

ورأى المقري نور الحيـاة في مدينة تلمسان في تاريخ لم يحدده هو ولا من تولوا ترجمة حياته ... وقد سئل عن تاريخ ميلاده فأجاب برواية خبر مسلسل معنعن بالأشياخ إلى الإمام مالك ... وقد سأله الإمام الشافعي عن سنه ... فأجابه : أقبل على شأنك ... ليس من المروءة للرجل أن يخبر بسنه [1] ... على أن المقري يذكر في نفس الجواب : أنه ولد على عهد السلطان : أبي حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن الذي حكم تلمسان بعد فك الحصار المريني الطويل عنها ... وقد كان حكم أبي حمو هـــذا ما بين سنة ٧٠٧ هـ وسنة ٧١٨ هـ [2] .

وقد وجد المقري نفسه يعيش في مدينة توالت عليهـا الفتن وأهوال الحرب والحصار ، وأسرة لها ماض في التجارة والثروة والجاه غير أن أهلها تنكر لهم الزمن وتبدلت بهم الأحوال الأمر الذي جعل المقري يقول :

---

(١) الإحاطة ج ٢ ص ١٦٤ الطبعة الأولى .
(٢) روضة النسرين ص ٥١ طبعة الرباط .

« فلم تزل حالهم في نقصان إلى هذا الزمان .. فهأنذا لم أدرك من ذلك إلا أثر نعمة ، اتخذنا فصوله عيشاً ، وأصوله حرمة ، ومن جملة ذلك خزانة كتب كبيرة وأسباب كثيرة تعين على الطلب فتفرغت بحول الله عز وجل للقراءة » (١) ويزيد قائلاً عن نشاط في الدراسة والتحصيل .. « فاستوعبت أهل البلد لقاء وأخذت عن بعضهم عرضاً وإلقاء ، سواء المقيم القاطن والوارد والظاعن » .

وأخذ المقري في بواكير شبابه عن العالمين الشهيرين أبي زيد وأبي موسى المعروفين في كتب الطبقات والتاريخ بابني الإمام ، وكانت لهما شهرة عظيمة بالعلم والاطلاع في المغرب والمشرق لا سيما بعد رحلتهما إلى الشرق واتصالهما بعـدد من أعلام ذلك العصر ، ومناظرتهما الشهيرة للإمام الكبير تقي الدين ابن تيمية ، تلك المناظرة التي كان لها شأن عظيم في المحافل العلمية إذ ذاك حتى قال بعض المؤرخين ان ابني الإمام ظهرا فيها على ابن تيمية (٢) .

ويحدثنا المقري أنه حضر مجلسين علميين من المجالس التي كان يقيمها السلطان : أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو في تلمسان (٧١٨ هـ — ٧٣٧ هـ) إلى جانب شيخيه الأخوين أبي زيد وأبي موسى ابني الإمام ، وشيخـه أبي موسى عمران المشذالي ، وشارك بآرائه في المناظرة العلمية التي دارت في حضرة السلطان بين العلماء ... وعقب على ذلك بأنه كان إذ ذاك حديث السن (٣) ... ونحن نعلم هذه الحداثة من القرائن التاريخية إذ أنه كان في الغالب ما يزال في أوائل العقد الثالث من عمره ...

(١) الإحاطة ج ٢ ص ١٣٨ .

(٢) نفح الطيب ج ٣ ص ١١٦ .

(٣) نفس المصدر السابق ص ١١٧ .

وتتميماً للملاقة بين المقري وشيخيه ابني الإمام نذكر أنه انقبض عنها وحاول الابتعاد عن الانتساب إليها عندما رحل إلى الشرق ودخل مدينة بيت المقدس ولكنه فوجيء بما للرجلين من سمعة وشهرة هنالك بين العلماء فاضطر إلى العدول عن رأيه ، وقبول نصيحة المغربي الذي عرفه سوء منبة الابتعاد من الانتساب إلى شيخيه اللذين أدركا شهرة لا يؤثر فيها انقباضه أو ابتعاده ... منشداً شطر البيت الشهير :

« وليس لما تبني يد الدهر هادم » [١] .

وقائمة شيوخ المقري في تلمسان طويلة الذيل ذكرها ابن مريم في « البستان » [٢] وابن فرحون في « الديباج » [٣] وابن الخطيب في « الإحاطة » [٤] وابن خلدون في « التعريف » [٥] مع ما ذكره صاحب « نفح الطيب » [٦] ..... خلال ترجمته لجده ...

ونلاحظ أن صاحب البستان يجمل ضمن هذه القائمة اثنين من المرازقة وهما الأخوان ؛ أبو عبد الله محمد وأبو العباس أحمد ابنا ولي الله محمد ابن محمد ابن مرزوق العجمي وليس أحدهما بمن يعرف عند المؤرخين بابن مرزوق الجد ، ولا بابن مرزوق الحفيد ... بل ان أبا العباس المذكور هو والد ابن مرزوق الجد ... أما أخوه أبو عبد الله ، فهو عم لابن مرزوق الذي يعرف بالجد ... وهذه الملاحظة سوف نشير إلى أهميتها فيما يأتي :

(١) نفح الطيب ج ٣ ص ١١٧ .
(٢) البستان في الأولياء والعلماء بتلمسان ص ١٥٦ طبعة الجزائر سنة ١٩٠١ م .
(٣) ص ٢٨٨ وما بعدها .
(٤) الإحاطة ج ٢ ص ١٤٣ .
(٥) ص ٦٠ .
(٦) ج ٣ ص ١١٦ وما بعدها .

أما ما درسه المقري على هؤلاء الأعلام فهو ماكان معروفاً في ذلك العصر من علم يرجع إلى العلوم الشرعية : الأصول ، والفقه ، والتفسير والحديث مع أبحاث علم التوحيد التي تتجاذبها العقليات والسمعيات ... أو علم يرجع إلى العلوم العقلية : المنطق ، والجدل ، وفلسفة الملل والنحل ... أو علم يرجع إلى اللغويات والأدبيات : من نحو وصرف وبيان وعروض ولغة ...

وكان لثقافة العصر طابع الربط بين مناهج العلوم العقلية والشرعيـــة والأدبية من جهة وبين الأشواق الروحية والأذواق الصوفية من جهة أخرى حتى أن الباحث في محصول الفكر الإسلامي في هذا العصر ليخيل إليه أن الفكر الصوفي غزا النحاة والشعراء والفقهـــاء والقضاة والمؤلفين على اختلاف مشاربهم :

ففي الأندلس وأقطار المغرب العربي رغم أن الصولة والدولة والنفوذ كانت إلى جانب المالكية في الفقه والتشريع . . . والأشاعرة في التوحيد والعقائد ... فان هؤلاء وأولئك لم يكونوا بمعزل عن الذوق الصوفي والمساهمة في الأدب الروحي ... بل إننا نجد منهم من إذا قرأنا شعره أو نثره من دون أن نعرف ترجمته الشخصية ووظيفته الاجتماعية ظنناه صوفياً متجرداً نفض يده من الدنيا وما فيها ومن فيهـا ...

وصاحبنا أبو عبد الله المقري ابن عصره يتسم بهذه السمة ويحمل هذا الطابع فهو إلى جانب علمه الغزير وثقافته الواسعة في المعقول والمنقول يأبى إلا أن يذوق من خمرة الحلاج ، والجنيد ، ورابعة ، والسري السقطي وابن الفارض وابن عطاء الله ....

وإذا قرأنا قصيدته التائية البديعة (١) التي عارض بها تائية ابن الفارض خيل إلينا أنهما يشربان من معين متحد الخصائص والصفات ويحلقان في جو متشابه المبادئ والغايات ... وإذا قرأنا رسالة الحقائق والرقائق خيل إلينا أن صاحبنا صنو ابن عطاء الله صاحب « الحكم » الشهيرة .

وينقل صاحب نفح الطيب أخباراً عديدة عن شيوخ جده أبي عبد الله وكلها تصور لنا فيهم طابع العصر في الذوق الصوفي والرياضة الروحية واحتقار الحياة المادية احتقار إيمان وزهد ويقين . ومن أجل ذلك لا نتعجب إذا رأينا المقري يتحدث عن رقعة التصوف التي ألبسه إياها أحد أشياخه وهو محمد بن محمد بن مرزوق (٢) العجمي ... وسندها إلى الرسول عليه السلام .

هذه ثقافة المقري وهذه عناصرها الأساسية وهذا هو الجو الفكري الذي عاش فيه في فترة من الزمن كانت فيها تلمسان تعيش في نوع من الاستقرار السياسي بين حصار أبي يعقوب المريني الذي دام أكثر من ثماني سنوات ولم ينته إلا بعد اغتياله سنة ٧٠٦ هـ وبين دخول السلطان أبي الحسن سنة ٧٣٧ هـ ... فهذه المدة التي تبلغ ثلاثين سنة فيها ولد المقري وفيها تعلم وفيها أصبح شاباً مستقيم الخلق مهذب النفس واسع المعرفة والشهرة ..

ورحل عن مسقط الرأس بعد دخول الجيش المريني وسقوط دولة بني عبد الواد ، وحط رحاله أولاً بمدينة بجاية وكانت في ذلك العصر مدينة علم وأدب وحضارة ، فاتصل بأعلامها وأخذ عنهم ... ثم حط رحاله ثانياً بمدينة تونس وهي في ذلك الظرف عاصمة الحفصيين ومساجدها ومعاهدها مثابة العلماء والفقهاء في ضروب العلوم والفنون فأخذ عن كثير من أعلامها وناقش

(١) اقرأها في نفح الطيب ج ٣ ص ١٦٨ وفي الإحاطة ج ٢ ص ١٤٦ .
(٢) نفح الطيب ج ٣ ص ١٢٨ .

وناظر وأفاد واستفاد ، ولعل هذه الرحلة القصيرة كان يقصد منها المقري الابتعاد عن الأحداث التي قلبت الأوضاع في تلمسان فقتل السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن ... كما قتل الشيخ أبو عبد الله السلاوي شيخ المقري وعمدته لجريمة سياسية قديمة كان أبو الحسن يعتدها عليه وينتظر الفرصة للانتقام منه (١) بسببها ...

ورجع المقري إلى تلمسان ليحظى بمجالس شيخ العلوم العقلية أبي عبد الله محمد بن ابراهيم الآبلي الذي رافق ركاب السلطان أبي الحسن إلى تلمسان ... وكان الآبلي هذا من رجال الفكر الذين أخذ عنهم ابن خلدون وتحدث عنهم بإعجاب كبير ، ومن تلمسان رحل المقري إلى المغرب الأقصى فزار مدينة فاس واتصل بأعلامها وأخذ عنهم وجال في المغرب من الشمال إلى الجنوب ... من سبتة إلى اغمات وقال :

« فاستوعبت بلاد المغرب ، ولقيت بكل بلد من لا بد من لقائه ، من علمائه وصلحائه ثم قفلت إلى تلمسان فأقمت بها ما شاء الله تعالى » (٢) .

وهكذا سلم أبو عبد الله المقري من الرواجف والروادف السياسية التي أصيب بها غيره وظهر أمام الملأ بمظهر العالم الذي يعمل بعيداً عن دنيا المطامع والمطامح ، باحثاً عن علم يستفيده ، أو كتاب يقتنيه ، أو شيخ يأخذ عنه .

وبعد رجوعه من رحلته إلى المغرب ومكثه بتلمسان ـ ما شاء الله تعالى ـ على حد قوله السالف رحل إلى المشرق ماراً في طريقه إلى مكة بمصر حيث لقي عدداً من أعلامها ... وفي مقدمتهم أثير الدين بن حيان الغرناطي النحوي الشهير صاحب التفسير المعروف بالبحر ...

(١) انظر « التعريف » لابن خلدون ص ٦٠ .
(٢) نفح الطيب ج ٣ ص ١٣٣ .

وحج سنة ٧٤٤ ﻫ وكان وقوفه بعرفة يوم الجمعة (١) ولقي بالحرمين عدداً من العلماء فأخذ عنهم .واستفاد منهم وتحدث عنهم باعجاب وفخر ... وعرج على مدينة دمشق فاتصل بالإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية العالم السلفي الشهير وأخذ عنه ... كما مر على القدس واتصل بشيوخه وأخذ عنهم .

وكانت هذه الرحلة تعريفاً بقيمته العلمية لدى أعـــلام الشرق ، وربطاً لأسانيد أهل المغرب والأندلس بأسانيد علماء الشام ومصر والحجاز ..... فنجد في فهارس أهل المغرب والأندلس الذين أخذوا عنه أو أخذوا عمن أخذ عنه يجعلونه واسطة في رواياتهم وإجازاتهم وأسانيدهم العلمية إلى شمس الدين ابن قيم الجوزية مفخرة دمشق وأثير الدين ابن حيان إمام النحو وغيرهما ممن أخذ عنهم المقري في رحلته هذه ... كما أن كتب الطبقات التي ألفت في الشرق في القرن الثامن الهجري وما بعده لم تهمل ترجمته والتعريف بمكانته العلمية ...

ولو وصلتنا فهرسة شيوخه كاملة وهي التي سماها :

« نظم اللآلي (٢) في سلوك الأمالي » لعرفنا الشيء الكثير عن شيوخه المشارقة وما أخذه عنهم وارتساماته وملاحظاته ومشاهداته في رحلته إلى الشرق ... وقد اطلع على هـذه الفهرسة حفيده أبو العباس المقري وروى لنا شيئاً منها في نفح الطيب ، وقد استغرقت هذه الرحلة ما يقرب من ثلاث سنوات رجع بعدها إلى مسقط رأسه ليجد وضعاً سياسياً جديداً نشأ عن الأحداث الكبرى التي تعرض لهـــا السلطان أبو الحسن المريني في تونس والنكبات التي تعرض لها جيشه وأسطوله ... الأمر الذي جعل ولده أبا عنان

(١) نفح الطيب ج ٣ ص ١٤٥ .

(٢) فهرس الفهارس ج ٢ ص ٩٢ ويلاحظ ان المقري في النفح يسميها مشيخة وان صاحب فهرس الفهارس يسميها رحلة انظر ج ١ ص ٢٠١ .

يقوم بالدعوة لنفسه ليتبوأ عرش أبيه المنكوب إثر الاخبار المتضاربة التي وصلته عن مصير الجيش البري والأسطول وثورة الأعراب بزعامة بعض أحفاد الملوك الموحدين ...

ورغم هذا الوضع فان المقري عزم أول الأمر على أن يتمسك بخطته في الانقطاع إلى العلم والمعرفة وسار في هذا السبيل خطوات لولا أن الأحداث أخذ بعضها برقاب بعض فدخل أبو عنان تلمسان ، وانتهت مأساة أبي الحسن ... ووقع اختيار أبي عنان على المقري ليكتب بيعته ويرافق ركابه إلى مدينة فاس ليتولى قضاء الجماعة بها وذلك سنة ٧٤٩ هـ (١) .

وفي مدينة فاس أصبح المقري عمدة في القضاء والتدريس ونال الشهرة والجاه والقبول وازدحمت على أبوابه وفود الطلبة وطوائف أهل العاصمة المرينية على اختلاف مشاربهم وأهوائهم لإفادة علم أو نيل حظوة أو الفوز بوساطة ... وقد اشتهر عن المقري أنه كان صارماً في أحكامه عدلاً ضابطاً (٢) ، كما اشتهر عنه في تدريسه أنه كان متبحراً واسع الأفق قوي العارضة فصيح اللهجة ...

وكانت أيام أبي عنان في فاس أياماً شهيرة في التاريخ المغربي لا حاجة بنا إلى تكرار القول فيها وقد حفلت كتب التاريخ والتراجم بأعلامها من أمثال ابن خلدون وبني رضوان ... وبني الحضرمي ... وبني الفشتالي ، وبني أبي مدين ، وابن الأحمر ... وغيرهم ... وكانت هناك اتصالات بين المقري وبين هؤلاء الأعلام ، كما أن المقري اتصل بمن كان يفسد على السلطان أبي عنان من سفراء وزائرين من الأندلس والشرق ...

(١) الاحاطة والنفح ج ٣ ص ١٤٥ و « التعريف » ص ٦٠ .

(٢) حضر ابن الخطيب بعض مجالس حكمه الاحاطة ج ٢ ص ١٣٩ .

وقد بنى أبو عنان المدرسة العظمى الحاملة لاسمه في فاس وكان مدرسها الأول أبا عبد الله المقري كما أن مجالس العلم والمناظرة التي كانت تقام في حضرة أبي عنان كان يتصدرها المقري ويملي فيها دروسه ومحاضراته واشتهر عند المؤرخين موقفان للمقري في مجالس أبي عنان .

الأول : امتناع المقري من الوقوف إجلالاً لنقيب الشرفاء وقد كانت العادة أن يقف له السلطان فمن دونه .

الثاني : تقريره الحديث « الأئمة في قريش وغيرهم متغلب »[1] .

وظل المقري أثيراً عند أبي عنان إلى أن سخطه لبعض النزعات الملوكية على حد تعبير ابن خلدون[2] وأخره عن القضاء سنة ٧٥٦ هـ وكان ابن خلدون شاهد عيان لهذا السخط وهذا التأخير ...

واستعمل المقري بعد ذلك في السفارة إلى الأندلس ودخل غرناطة سنة ٧٥٧ هـ وهناك اتصل به ابن الخطيب[3] اتصالاً وثيقاً وأخذ عنه كما أخذ عنه عدد كبير من أهل غرناطة وفيهم أبو اسحاق الشاطبي وطبقته .

وحينما أدى واجبه في السفارة عزم على الاستيطان بالأندلس والانقطاع عن العمل السياسي إلى جانب أبي عنان ... الأمر الذي هاج ثائرة أبي عنان فأرسل إلى ابن الأحمر رسالة في الموضوع طالباً رد سفيره . . . وبعد مراسلات[4] بين بلاط غرناطة وفاس من إنشاء وزير الدولة لسان الدين

---

(١) انظر ذلك في نفح الطيب في ترجمة المقرى من الجزء الثالث .
(٢) التعريف ص ٦٠ .
(٣) الاحاطة ج ٢ ص ١٣٩ .
(٤) انظر نصها في نفح الطيب .

ابن الخطيب في شأن تأمين المقري وأخذ الضمانة على إعفائه من كل مؤاخذة ... رجع المقري صحبة قاضي غرناطة أبي القاسم الشريف والشيخ أبي البركات ابن الحاج البلفيقي ... إلى فاس وشاهد ابن خلدون هذا الرجوع وأرخه ... وقال (واستقر القاضي المقري في مكانه بباب السلطان مُعطلاً من الولاية والجراية ... وجرت عليه بعد ذلك محنة من السلطان بسبب خصومة وقعت بينه وبين أقاربه امتنع من الحضور معهم عند القاضي القشتالي، فتقدم السلطان إلى بعض أكابر الوزعة ببابه بأن يسحبه إلى مجلس القاضي حتى أنفذ فيه الحكم فكان الناس يعدونها محنة (١) .

ثم ولي قضاء عسكر أبي عنان في رحلته إلى قسنطينة ورجع إلى فاس آخر سنة ٧٥٨ هـ مريضاً وبها أسلم روحه سنة ٧٥٩ هـ ودفن بها لمدة سنة ثم حمل إلى مسقط رأسه تلمسان وأقبر بها ...

أما مؤلفاته فهي : كتاب القواعد الشهير في الفقه وكتاب الطرف والتحف .. وكتاب عمل من طب لمن حب ... وكتاب المحاضرات ... ونظم اللآلي في أسلاك الأمالي ... وكتاب الحقائق والرقائق (٢) .

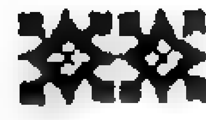
---

(١) التعريف ص ٦١ .

(٢) أرسل إلينا الأستاذ صاحب هذه المقدمة نسخة من كتاب (الحقائق والرقائق) لنشره في المجلة . ولما كان موضوع الكتاب على جلالة قدره وطرافة أسلوبه ـ هو في التصوف وخارجاً عن منهج مجلتنا ولذلك اكتفينا بنشر المقدمة التي تعرف بالمؤلف ومنزلته العلمية . (المجلة)

ولعل في إحياء بعض آثار هذا الإمام ما يؤدي بعض الواجب نحو رجل كان من ضمن تلامذته الإمام الشاطبي مؤلف الموافقات والاعتصام ... وابن الخطيب الوزير الشهير .. وابن خلدون أستاذ علم الاجتماع ، وألف في ترجمة حياته الإمام ابن مرزوق الحفيد كتاباً سماه « النور البدري [1] في التعريف بالفقيه المقري » وكذلك الونشريسي كما في النفح ..

فاس (المغرب الأقصى) عبد القادر زمامة



(١) نفح الطيب ج ٣ ص ١١٠ وما في فهرس الفهارس ج ٢ ص ٩٢ من أن التأليف المذكور لابن مرزوق « الجد » مجرد سبق قلم ، وانظر مناقشة هذه التسمية وكلام صاحب النفح في ضبط كلمة « المقري » بالتشديد أو التخفيف ، والخلاف في ذلك شهير .

أضواء على ماهية

معركة ذات الصوارى

ودورها في تطور خطة الحرب العربية

بينما كانت جيوش الفتح الإسلامية سائرة في طريقها بسرعة لإخضاع الأقاليم الشرقية فإننا نجد بأن موجة الفتح هذه قد هدأت في سورية ، بعد أن استتب بها الأمر فأصبحت نقطة ارتكاز وبعدئها الثغرية هددت سيطرة الروم في آسيا الصغرى .

فبعد موت الامبراطور هرقل لم تكن الروح المعنوية في الامبراطورية تشجع أية بادرة تهدف إلى استئناف الصراع مع العرب ، ورغم ذلك فقد بذلت عدة محاولات فاشلة على الساحل السوري ، ولم تتلها بعد ذلك أية مبادرة أخرى . وفي هذا الوقت كان معاوية بن أبي سفيان منهمكاً في تنظيم الجهاز الإداري في سورية ، عاملاً في الوقت نفسه على تقوية وضعه في سورية تمهيداً للظروف الآتية هذا بينما ساد السلام في الجبهة الجنوبية إذ أن عمرو بن العاص قد تمكن من إخضاع مصر لإدارته القوية .

وبالرغم من أن الدولة البيزنطية قد فقدت مُعظم أقاليمها المهمة ، فان ذلك لم يعن بأنها سلمت بالأمر الواقع ، فقد قامت عدة محاولات لإخراج العرب من تلك الجهات ولكنها لم تكن ذات أثر عميق على مجرى الحياة في البلاد . فالروم وبعض السكان الذين تخوّفوا من الحكم الإسلامي ، تواطؤوا مع البلاط البيزنطي وبنتيجة ذلك جهز اسطول من (٣٠٠) سفينة

بقيادة مانويل والذي استطاع في ٦٤٦ م (٥ هـ) استرداد الاسكندرية بدون أي مقاومة تذكر ، وطرد منها الحامية العربية [١]. غير ان نتيجة هذا النصر كان مؤقتاً ، وتمكن العرب من طردهم من المدينة . ومما لا شك فيه أن المصريين لم يسهموا في هذه الأحداث ومساندة الروم ، إذ أنهم لم يرغبوا في الدخول في محاولات جديدة تجرهم للدمار ولا سيما وهم تمتعوا بحريات دينية وشخصية لم تكن مكفولة لهم من قبل .

لذلك اتجهت المحاولات التالية إلى الشرق ، وبصفة خاصة لمناطق الحدود بين الامبراطورية والدولة العربية الناشئة .. وكانت هذه المناطق ثغوراً ومدناً واقفة على الحدود ، وهي دائماً كانت معرضة لرحمة الأقدار ، هذا إلى جانب دور العرب في أرمينية وتشجيعهم لأهل البلاد على التمرد والثورة على الروم .

وقد لعب معاوية دوراً بارزاً في هذه المراحل الأولى للاصطدامات . إذ أنه سرعان ما أصبح مسؤولاً عن كل سورية بعد موت أخيه يزيد ، وصار الحاكم المطلق اليد خلال حكم الخليفة عثمان بسبب رابطة الدم والقرابة [٢] .

وبنتيجة السياسة الجديدة للامبراطور قنسطانس الثاني (Constans II) فقد توقع العرب بعض الاصطدامات القليلة الأهمية على الحدود ، ولهذا تمتعت سورية إلى وقت ما ببعض الراحة والسلامة . غير أنه في عام ٦٤٧ أي العام الثاني لتولي عثمان الخلافة نجد بأن معاوية قد أفزعته تحركات بعض التجمعات الرومية في آسيا الصغرى ، والتي لم يستطع أن يقف في سبيلها ، لذلك سرعان ما طلب المدد من الولايات الشرقية فانضم إلى جنده ٨٠٠٠ متطوع وقوي بذلك مركز الجند الشامي ، واستطاع إبطال أثر التحرك الرومي [٣] .

(١) الطبري جزء ٥ ص ٤٧ .
(٢) البلاذري ـ فتوح .. ص ١٤٦ ـ ١٤٧ .
(٣) الطبري . جزء ٥ ص ٤٥ .

وقد شجع هذا النجاح العرب فداهموا آسيا الصغرى ، مجتازين بأرمينية حتى وصلوا إلى طبرستان ، وبذلك أمّنوا سلامة همزة الوصل بينهم وبين إخوانهم الذين يحاربون في منطقة بحر الخزر (١) .

ومنذ تلك اللحظة استحكمت العداوة بين العرب والروم وتجدد التصادم بينها في كل صيف ، وخرج العرب من الغزوات الصائفة . . وآزر العرب في ذلك الأسطول الإفريقي الذي تجمع في الموانى الإفريقية ، واندفع القادة في سورية في طريقهم لتوسيع مدى غزواتهم في آسيا الصغرى ، ومنطقة شرقي البحـــر المتوسط معززين بذلك تخومهم بالثغور ، ورادئين الموانى والثغور الساحلية .

ومما لا شك فيه أن تلك الخطوط الجديدة في السياسة الحربية التي اتبعها العرب بركوب البحر في غزواتهم ، والتي لم تكن تلقى الأذن الصاغية من الخليفة عمر ، حازت على رضاء الخليفة الجديد عثمان الذي وافق على محاولات معاوية المتكررة في تكوين الأسطول العربي . وقد وافق عثمان أخيراً على شرط أن تكون خدمة البحرية غير إجبارية . وكان أول أمير عربي للبحر هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح حاكم مصر ومتولي جبايتها من قبل (٢) .

وكانت أولى بشائر هذا الأسطول أن توجه إلى قبرص في عام ٦٤٩ (٢٨ هـ) بقيادة أبي قيس (٣) . وقد جهز أسطول الفتح هذا بـ (٧٠٠)

(١) الطبري . جزء ٥ ص ٤٥ .

(٢) بصدد انشاء الأسطول راجع مقدمة ابن خلدون ص ١٠٠ والطبري جزء ٥ ص ٥٢ ، ٥٣ ، وابن الأثير جزء ٢ ص ٢٦٤ .

(٣) ابن العبري : تاريخ الأمم طبعة بيروت ص ١٠٤ . الطبري جزء ٥ ص ٥١ و Constantine Porphyrogenitus : De administrendo Imperio بودابست ١٩٤٩ ص ٨٩ .

سفينة (١) بعد أن انضم إليه ابن أبي سرح ببعض السفن المصرية التي جهزت بملاحين مصريين إلى جانب محاربي الحامية العربية بالاسكندرية (٢) . وقد سقطت قبرص بدون أي مقاومة تذكر . وجمع كثير من الأسرى والرهائن من الجزيرة ومن كافة أنحائها . وقد وافق القبارصة على دفع نفس الضرائب التي كانوا يدفعونها من قبل للروم . ولكن الخليفة أعفاهم من دفع الجزية لأنها حماية للرأس وهذا ما لم يستطع العرب القيام به في ذلك الوقت (٣) .

وبهذه العملية سقطت أولى القواعد البحرية الرومية في أيدي العرب الذين أصبحوا على مقربة من السواحل الرومية (٤) .

وبينما كان معاوية مشغولاً في حملة قبرص تجمعت لديه المعلومات بأن هناك تحركات رومية موجهة نحو سواحل الشام ، وذلك رداً على حملة قبرص ولاتخاذ مواقع للمراقبة على الساحل الشامي (٥) .. لذلك أسرع معاوية في أواخر عام (٢٨ هـ) بالسير نحو جزيرة « أرادوس (أرواد) Aradus » الواقعة أمام الساحل الشامي للاستيلاء عليها حتى لا تكون قاعدة صالحة يستعملها الروم ضد سورية . وقد وطّد العزم على تدمير تلك القاعدة الخطيرة ذات الأهمية

---

(١) أغابيوس « محبوب » : كتاب العنوان نشره فاسيليف ص ٢٢٠ ذكر بأن عدد السفن ١٧٠٠ ولكن Constantine VII أورد في ص ٨٩ بأن السفن هي ١٢٠٠ ولكن فاسيليف ناشر « العنوان » رجح أن العدد ٧٠٠ .

(٢) رواية الواقدي في الطبري هي : « غزا معاوية في عام ٢٨ هـ قبرص وغزاها أهل مصر وعليهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح حتى لقوا معاوية فكان على الناس » ج ٥ ص ٥٣ .

راجع لذلك Becher : Cambridge Mediuale History Vol II P. 352

و Muir. W. The Calphato P. 205 .

(٣) أغابيوس ص ٢٢٠ والطبري ج ٥ ص ٥٣ .

(٤) فاسيليف : تاريخ الامبراطورية البيزنطية ج ١ ص ٢٨٢ .

(٥) بروكلمان : تاريخ الشعوب . لندن ١٩٠٩ ص ٧٣ .

الاستراتيجية حتى لا يستفيد منها الروم . وقد وكل إلى الأسقف توما بابلاغ أوامره إلى سكان المدينة باخلاء الحصن وهجر الجزيرة والانصراف إلى الروم ... غير ان السكان القوا القبض على الأسقف واعتصموا بالمدينة ، فاضطر معاوية لإرجاء الحملة إلى حين انقضاء فصل الشتاء الذي كان على الأبواب (١) . وعاد إلى دمشق (٢) .

وفي الربيع التالي عاد اليها معاوية ومعه حامية قوية ، وحاصر الجزيرة بعد وصوله وشدد عليها الحصار فاضطر أهلها إلى طلب الأمان بشرط أن يسمح لهم في السكن في سورية فوافق معاوية على ذلك ثم هدم المدينة وحطم أسوارها وأحرقها (٣) .

وانتبه معاوية إلى أهمية جزيرة رودس لذلك غزاها في عام (٦٥١ م) واستولى عليها وأصبحت الجزيرة قاعدة للمراقبة وثغراً (٤) . وقد روت المصادر الرومية بأنه حطم تمثال رودس المشهور اثناء الحصار . وهذه رواية ضعيفة(٥) .

وبسقوط قبرص ورودس وتقوية السواحل والثغور الشامية أصبح الأمر مستتباً في يد معاوية ، وبذلك زال خطر الغزو الرومي غير المتوقع ، هذا بينما توصل إلى تهديد السواحل الجنوبية لا سيما الصغرى والتي أصبحت في

(١) أغابيوس ص ٢٢٠ .

(٢) أغابيوس ص ٢٢٠ .

(٣) أغابيوس ص ٢٢٠ و Constantine VII ص ٨٥ .

(٤) أغابيوس ص ٢٢٠ و ص ٢٠٠ Halphen L. Les Barbars des grand Invision aur Conquest Turque du XI siecle, Paris 1930

(٥) ابن العبري ص ١١١ . اغابيوس ص ٢٢٠ - نقل رواية ثيوفانس Theophanes في كتابه طبعة دي بور ص ٣٤٥ وهي مذكورة كذلك ص Constantine VII . وهذه الرواية الأخيرة تتفق مع الطبري (ج ٥ ص ٧٧) حتى ان معاوية غزا مضيق القسطنطينية في عام ٣٢ هـ .

متناول البحرية العربيـــة التي أصبحت منذئذ تهدد سلامة الملاحة الرومية وتهدد هذه المناطق بالغزو .

وقد استغل معاوية كراهية أهل أرمينية للامبراطورية ، وأسهم بدور كبير في الثورة التي قامت في أرمينية أثنـــاء سقوط رودس (٦٥١) منه قنسطانس والتي قادها البطريق بسجناطس Pasagnatha [١] وقد تم الاتصال بين المتمرد وبين معاوية الذي وجه إليه جيشاً وأخضع الحامية الرومية بها ، وذلك أثناء تحرك قنسطانس لإسعاف حامياته هناك ، غير أنه رجع عن محاولته وقد يكون ذلك لفقده الأمل في اخضاعها [٢] .

وتذكر إحدى المصادر الموثوق بها بأن قنسطانس الثامن أرسل إلى معاوية بعد فتح قبرص وتحطيم جزيرة أرادوس وفداً طالباً منه عقد معاهدة للصلح وهذه الرواية لا تتفق مع المنطق . إذ أنه من المتوقع أن تكون محاولة قنسطانس هذه ، بعد احتلال العرب لجزيرة رودس وبعد التمرد الذي قام ضده في أرمينية ، وليس قبل ذلك .. إذ أن سقوط قبرص وأرادوس لا تشكل خطراً كبيراً على الدولة مثل سقوط رودس ذات الأهمية الاستراتيجية والتي تهدد بسقوطها سلامة عاصمته . ومن المتوقع كذلك أن يطالب عقد مثل هذه المعاهدة عند ما بدأ العرب في التدخل الفعلي في أمور أرمينية وليس قبل ذلك . وقد أورد أغابيوس تفاصيل هذه المحاولة وكيف أن قنسطانس أوفد رسولاً إلى معاوية يسأله الصلح وكان بدمشق وكان الرسول هو منويل الذي قام

---

(١) ثيوفانس ص ٢٢٤ ـ واغابيوس ص ٢٢٢ .

(٢) أغابيوس ص ٢٢٢ ، وقد ذكر الطبري (ج ٥ ص ٥٤) رواية بأن حبيب بن مسلمة غزا سورية الروم SYRIAE PORTAE وقال بأن هذه الغزوة كانت عام ٢٨ هـ .

من قبل يغزو الاسكندرية عام (٦٤٥) غير أن معاوية فرض شروطاً قاسية لم يقبلها الروم[١] .

وبسقوط جزر شرقي البحر المتوسط في أيدي العرب ، أصبحت مناطق كاريا وليقية وقليقية (Caria, Cilicia, Lycia) قريبة المنال وأصبحت مهددة بخطر الغزو العربي وعزلها عن بقية آسيا الصغرى ، وذلك لاستحالة وصول الإمدادات الحربية إليها براً بسبب موقعها الجغرافي الذي يجعل خطط الدفاع عنها منصبة بالدرجة الأولى على البحر فقط .

ومنذ عام (٦٥٤) بدأ معاوية بعد سيادته على مناطق ارتكاز وقواعد بحرية متاخمة للساحل الرومي ، يبدأ في الاستعداد لغزوة كبرى ضد الامبراطورية، وقد شجعه على ذلك السهولة التي حاز بها على انتصاراته السابقة وعلى نجاح حملاته المستمرة على الثغور الرومية الأمامية .

لذلك أخذ في إعداد وتجهيز أسطول كبير يساعده في تنفيذ غرضه[٢] هذا وجعل مركزه مدينة طرابلس الشام وأخذ في تجهيزه بالسلاح والعتاد ، غير انه قام تمرد ضد قيادة الأسطول العربي . قام به أخوان من البحارة المسيحيين الذين كانوا يعملون في خدمة الأسطول والترسانة البحرية ، وهما ابنا بقنطر « Baqantar »[٣] ويظهر بأن السبب في هذا التمرد يرجع إلى أعمال الضغط والسخرة التي استعملها معاوية أثناء تجهيزه للأسطول . وتمكن المتمردون بمساعدة بعض الأسرى الروم في سجن حصن طرابلس من إطلاق

(١) أغابيوس ص ٢٢٢ نقل رواية ثيوفانس ص ٣٤٤ .
(٢) أغابيوس ٢٢٣ .
(٣) أغابيوس ٢٢٣ نقلاً عن ثيوفانس ص ٣٤٥ .

سراح بقية الأسرى ، وقتلوا عامل المدينة وأتلفوا بعض السفن ثم ركبوا البحر ولحقوا بالروم (١) .

ويظهر بأن هذا التمرد دفع معاوية إلى الإسراع بتنفيذ خطته والقيام بغزوته . وهنا يظهر نبوغ معاوية الحربي الذي أثبت بأنه يملك عقلية ذات مستوى حربي عال ، إلى جانب تمرسه في مسائل الاستراتيجية العسكرية الذي يضعه في مصاف كبار القادة العسكريين . وكانت نتائج هذه الغزوة روايات مشتتة لما يسمى بذات الصواري . تلك الموقعة التي أخطأ الكثير من المؤرخين في تقييمها ووضعها في مكانها الصحيح . وقد تم الخلط في هـــذه الرواية منذ الأيام الأولى للتاريخ الإسلامى ... إذ أن الرواة قد خلطوا بينها وبين تدمير الأسطول الرومي المنسحب من ذات الصواري قرب الاسكندرية ، وأطلقوا عليها مصطلحاً جديداً وهو موقعة الاسكندرية .

وقد وضع معاوية خطته الحربيـــة التي تعتمد على شقين للوصول إلى القسطنطينية ... وهذا ما لم تأت به المراجع الحديثة ... فقد هدف معاوية إلى استخدام البحر والبر للوصول إلى هدفه ... واستخدام الجيش البري يهدف إلى خديعة الروم وجذبهم بعيداً عن العاصمة ... وفي نفس الوقت يقطع خط الهجوم المعاكس الرومي في حالة ما إذا فكروا في الاغارة على الشام وقت انشغال الجيش العربي بغزوته . هذا إلى عزل الجيش الرومي عن العاصمة بعملية إنزال جيوش عربية خلف ظهر الروم القادمين لملاقاة الجيش البري العربي وذلك في منطقة ليقية Lycia (٢) .

---

(١) أغابيوس ٢٢٣ . وابن عبد الحكم ص ١٨٩ .

(٢) أغابيوس ٢٢٤ .

لذلك توجه جيش بري صوب ملطية (Malatia) فوطأ أرض الروم وافتتح في طريقه المدن الصغرى ووصل إلى حصن المرّه بباب ملطية وسبى من أهلها حسب بعض الروايات مائة ألف نفس (١)، وكان الهدف من هذه التجريدة قطع الطريق على نواحي بيزنطة (٢).

وفي نفس الوقت تحرك الأسطول العربي في عام (٣٤ هـ) (٦٥٥ م) في يونيو أو يوليو (٦٥٥) إذ أن عام (٣٤ هـ) يبدأ في (٢٧) يوليو (٦٥٤) ولهذا التاريخ أهمية تتعلق بمركز التجمع في رودس إذ أنها تقع في منتصف الطريق إلى القسطنطينية. وقام عبد الله بن سعد بن أبي سرح (٣) بإنزال نصف قواته على ساحل ليقية Lycia بقيادة بُسر بن أبي أرطاة، وذلك حتى يقطع الطريق على قوات الروم في آسيا الصغرى في حالة انسحابها نحو العاصمة للدفاع عنها (٤). تلك القوات التي خدعتها التجريدة العربية المتوجهة إلى ملطية. هذا وإن هذه القوات النازلة في ليقية سوف تستدرج بقية القوات المرابطة بالقرب من العاصمة، وبذلك يضعف مركز العاصمة العسكري ويسهل الهجوم عليها.

فدخلت القوات العربية ميناء فونيقية Pheonix الواقعة على ساحل ليقية (٥) وقامت بعمليات ذات طابع ارهابي شديد ونهبت حسب بعض الروايات أفسوس وازمير ووصلت إلى Halicarnaseus وإلى بعض المدن الايونية (٦).

---

(١) أغابيوس ص ٢٢٤. والطبري ج ٥ ص ٨٠ ذكر رواية مقاربة لغزو معاوية لحصن المرّه التي جاءت في أغابيوس.
وقد ذكر ابن العبري ص ١٠٤ بأن أنقرة سقطت في يد العرب.

(٢) أغابيوس ص ٢٢٤ و Constantine VII ص ٨٠، ٨٩.

(٣) أغابيوس ص ٢٢٤ ابن العبري ص ١٠٤ - ابن عبد الحكم ص ١٨٩ الطبري ج ٥ ص ٦٨ .. وأخيراً رواية ثيوفانس ص ٣٤٥.

(٤) ابن عبد الحكم ص ١٨٩. والسيوطي في حسن المحاضرة ص ١٠٣.

(٥) أغابيوس ص ٢٢٤ نقلاً عن ثيوفانس ص ٣٤٥، وميشيل السوري ج ٢ ص ٤٤٥.

(٦) Constantine VII ص ٨٠.

غير أن قنسطانس تنبه إلى خطورة الأمر وأحس بأن العاصمة قد أصبحت في خطر إذا ما هاجمها العرب عن طريق البحر (١) لذلك رأى أن يفاجيء الأسطول العربي القادم إليه فتوجه إلى ساحل ليقية ليلقى العرب هناك (٢).

ورغم التقاء الأسطول العربي بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح مع الأسطول الرومي بقيادة أخي الامبراطور ثيودوسيوس Theodosius (٣). ورغم أن قوى العرب الضاربة كانت منقسمة إلى قسمين برية وبحرية (٤)، إلا أن الغلبة كانت للعرب إذ سرعان ما التحمت المراكب وتلاصقت وأخذ القتال يتم بالنبال والنشاب وقد وصفه ابن عبد الحكم وصفاً دقيقاً. وما لبث الأسطول الرومي أن انهزم (٥) وفر قنسطانس هارباً إلى صقلية (٦)، غير ان الريح ألقت به قرب الاسكندرية فغرق معظم اسطوله وأخيراً وصل إلى صقلية في حالة يرثى لها (٧).

ولكن تلك الخطة العسكرية المنطقية قد أساء الكثير من مؤرخي الغرب فهمها إذ أنهم تجاهلوا القسم البري من حركة الغزو، ونقلوا الجزء الأخير البحري بعد أن قسموه إلى واقعتين (٨). وتجاهلوا الأساس المنطقي لهذه الخطة واستمسكوا بالروايات التي وصلت إليهم من مراجع عربية خالصة لذلك لم يكن مستغرباً أن يذكروا معركة ذات الصواري وما يسمى النصر

(١) أغابيوس ص ٢٢٤.
(٢) ابن عبد الحكم ص ١٨٩ وبروكلمان ص ٧٣.
(٣) الطبري ج ٥ ص ٦٨، ٦٩. ابن عبد الحكم ص ١٨٥.
(٤) أغابيوس ص ٢٢٤ أورد نفس رواية ثيوفانس ص ٣٤٥.
(٥) ابن عبد الحكم ص ١٨٩، الطبري ج ٥ ص ٦٨.
(٦) انظر ما نبله ٣٤، ٣٣.
(٧) عبد الحكم ص ١٩٠ ــ السيوطي ص ٩٧ الطبري ص ٦٨، ٧٠ جزء ٥.
(٨) موير ص ٢٠٦ وجيبون.

البحري بالاسكندرية كل منها على أساس منفصل عن الآخر .. والواقع فان ذات الصواري بدأت بعد التمهيد البري للجيوش في أواخر شهر ذي الحجة لعام (٣٤ هـ) الموافق لـ (٦٥٥ م) وشهر ذي الحجة يقع في شهري يونيو ويوليو (٦٥٥ م). بينا تحطم الأسطول الرومي في عاصفة قرب الاسكندرية في عام (٣٥ هـ) التي تبدأ في (١١) يوليو (٦٥٥) طبيعياً. إن هناك حدثاً واحداً، الانهزام في ذات الصواري والتحطم قرب الاسكندرية وهو يستغرق عامين. فقد بدأ في نهاية (٣٤ هـ) وانتهى في أوائل (٣٥ هـ). وهذه الحقيقة التي تنبه لها مؤرخونا العرب جلهم يفصلون شطري الحدث الواحد ويذكرونها من أحداث سنتي (٣٤ هـ)، (٣٥ هـ) [1] ... ولكن الرواة المتأخرين زمنياً اختلط عليهم الأمر ووجـــدوا رواية لتحطم الأسطول الرومي قرب الاسكندرية ... لذلك حاولوا تقليد ذلك بأنه، أي الأسطول الرومي كان موجهاً لغزو الاسكندرية، وبسبب الإسناد الواحد للرواية الواحدة التي شطرت .. نجدهم يخلطون أحداث الشق الأول بالشق الثاني وينسبونه للغزوة الاسكندرية. والسبب في ذلك هو أن التصنيف التاريخي كان حولياً ولم يكن موضوعياً [2].

وليس من المعقول أن يكون قنسطانس الذى هزم هزيمة نكراء في ذات الصواري في صيف (٦٥٥ م) قد حاول أن يهاجم ويسترد الاسكندرية بعد هذه الكارثة مباشرة. غير أن السبب الذي دفع هؤلاء المؤرخين الغربيين أمثال موير وغيره من مؤرخي الغرب المعاصرين هو اعتمادهم بدون تفكير أو تفهم لروح النصوص على نص مثل نص ابن عبد الحكم الذي نقل من

(١) السيوطي وابن عبد الحكم، الطبري ٦٨، ١٦١ جزء ٥.

(٢) لقد قدم لنا الطبري في ج ٥ ص ١٦١ أوضح رواية عن الأحداث فقد ذكر في حوادث عام ٣٥ هـ ما يفيد ذلك.

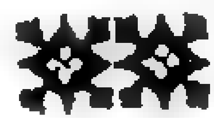
تاريخ حولي إلى تاريخ خاص بموضوع هو فتح مصر الذي كان موسوعياً . فوقعوا في الخطأ بينما ابن عبد الحكم وغيره عند ذكره لهذه الرواية إنما حاول تعليل تحطم الأسطول قرب الاسكندرية ، فلذلك ذكر موقعة ذات الصواري هذا بالرغم من اعترافه اعترافاً صحيحاً بأن الأسطول قد تحطم بدون أي هجوم على الاسكندرية ، أو اشتباك مع حامية الاسكندرية . ومن البديهي أن ذكر ذات الصواري كان لتعليل هذه الكارثة بقرب الاسكندرية (١) .

ولكن تسلسل الأحداث في مختلف الروايات يبين بجلاء وضوح الأمر ، وأن الأسطول تحطم بسبب الريح العاصف عقب فراره من ذات الصواري (٢) .

أما سبب عدم الاستمرار حتى تنفيذ خطة الغزو والتوجه للقسطنطينية رغم الانتصار في ذات الصواري ، فان المراجع تقف عاجزة عن تقديم أي بارقة من الإيضاح ... ولكن عسى الأيام تقدم لنا وثائق تشرح هذا الصمت ، ولكن قد يكون السبب المباشر لذلك هو الوضع الداخلي المتأزم في الخلافة وخروج الأقاليم على عثمان بن عفان بسبب سياسته الداخلية ..

وبطبيعة الحال فان معاوية ما كان يترك جيوشه بعيدة عن مسرح الأحداث وهو رجل ذو أطماع وآمال عراض .

وإجمالاً فقد أثبتت أحداث ذات الصواري بأن العرب قد وصلوا خلال أعوام قليلة إلى مستوى عال من المعارف العسكرية .

(بودابست) 

عبد المنعم مختار
المحاضر في جامعة بودابست
Dr. Mukatar Abel

---

(١) موير ص ٢٠٦ رجع في روايته إلى ابن الأثير وقسم الغزوة وحدد لذات الصواري عام ٣١ هـ .

(٢) ابن عبد الحكم ص ١٩٠ ـ السيوطي ص ٩٧ الطبري ج ٥ ص ١٦١ بروكلمان في ص ٧٣ و Constantine VII ص ٨٥ .

مدرسة سالرنو الطبية

- ٢ -

مدرسة سالرنو الطبية :

نشأت هذه المدرسة في مدينة سالرنو كما ذكرنا ، وقد أطلق عليها بعض الكتاب اسم جامعة (١) وسماها بعضهم مدرسة ، وهذه التسمية الأخيرة « مدرسة » هي الأصح لأنه لا يمكننا القول بقيام جامعة بالمعنى المعروف في سالرنو حيث لا نعلم عن نظم هذه المدرسة شيئاً كما يقول المؤرخ الشهير (راشدال (٢)) ، ويؤيده في ذلك الأستاذ (٣) ألفرد گيوم حيث يقول : كانت سالرنو مدرسة طبية بكل ما في كلمة مدرسة من معنى وبساطة ، فهي لم تكن جامعة لأن أقدم الجامعات المسيحية في بولونيا وباريس ومونبلية واكسفورد لم تنشأ إلا في القرن الثاني عشر » .

تأكد لدينا إذاً أن سالرنو كانت مدرسة وليست جامعة ، فما علينا الآن إلا أن نستقصي أخبار تأسيسها .

---

(١) راجع كتاب معالم تأريخ الإنسانية تأليف (ا ج جي ولز) جـ المجلد الثالث الصفحة (٧٢١) .

(٢) راجع Rashdal Vol. 1. P. 7

(٣) راجع تراث الإسلام ج ٢ من ص ٣٨٥ ــ ٣٩٤ .

تأسيس مدرسة سالرنو :

إن المصادر المتعددة التي تكلمت على سالرنو وعلى نشأتها الأولى كانت على اختلاف وتباين بيّن ، ذلك لأنها لم تستند على حقائق تأريخية ثابتة ، بل اعتمدت على ما حكته الأساطير ؛ فما دام الأمر كذلك فما علينا إلا أن نسرد ما قالته المصادر لنلتقط من هنا ومن هنا ما نراه الأقرب إلى الصحة فنضيف بعضه إلى بعض .

قال محمد كرد علي (١) « وفي باليرم Palermo أنشأ العرب أول مدرسة للطب ما عهد مثلها في جميع أوربا بل إن مدارس الطب في الغرب أنشئت بعد مدرسة صقلية العربية بأعوام ومنها انتشر الطب في بلاد إيطاليا على يد أساتذة من العرب وغيرهم في جامعة سالرنو » .

وقال كامبل (٢) « وكان بعض الجوّابين من اليهود قد حملوا علوم الطب العربي وتوغلوا بهـــا في شبه الجزيرة الإيطالية ، ونشروا وصفات العرب وأساليب علاجهم بين مرضاهم . وأشهر هؤلاء الجوابين سبّاي بن ابراهيم المشهور بدونولو Donnolo وقد استقر بجنوب إيطاليا وألف كتابين أحدهما في الصيدلة ضمّنه بعض الوصفات الطبية ... وإن بعض الأساتذة العرب استقروا بسالرنو منذ بداية القرن الثامن الميلادي » .

وقال الدكتور التجاني الماحي (٣) « تعتبر الحروب الصليبية التي شبت نارها عام (١٠٩٧ م) وامتد لهيبها إلى عام (١٢٧٢ م) من العوامل المهمة في

---

(١) راجع كتاب حضارة العرب والإسلام لمحمد كرد علي ج ١ ، ص (٢٧٢) .
(٢) Arabian Medicine Camphbel . P. 115 .
(٣) راجع كتاب مقدمة في تأريخ الطب العربي ص ١٣٥ .

نقل العلوم العربية وخاصة الطب إلى بلاد الغرب فقد حمل كثير من المرضى والأطباء وغيرهم من الراجعين إلى أوطانهم الكثير من الوصفات العربية إلى بلادهم وكانت « سالرنو » أهم الثغور التي يرجع عن طريقهـــا المحاربون العائدون إلى أوطانهم » .

وقالت « زيغرد[1] هونكه » المستشرقة الشهيرة « إن أصل سالرنو يضيع في دفق من الأساطير ، ولكن هذا الأصل كأشباهه من الأساطير فيه شيء من الحقيقة ؛ وهذه الحقيقة تقول إن أربعة رجال أسسوها ، وهم يوناني ولاتيني ويهودي وعربي ؛ والعربي يدعى عضله ؟ (Adala) وأنا أقول بأن الأرجح « عبد الله » كما هو معروف في التسمية العربية[2] . وليس عجباً في شيء أن يشترك عربي في تأسيس هذه المدرسة . فايطاليا الجنوبية عرفت في القرن التاسع فتوحات عربية كثيرة بل وسلطة عربية على أراضيها ويكفي أن نذكر أيضاً العلاقات المتبادلة بين صقلية العربية والشواطيء الإيطالية ، هذه العلاقات التي ظهرت في أكثر من مناسبة » .

وورد في دائرة المعارف البريطانية[3] « ان أهمية سالرنو التاريخية تتمركز حول مدرستها الطبية ، تلك التي بني هيكلها العلمي على أربعة أعمدة من الثقافات ، هي الثقافة اللاتينية والثقافة الإغريقية والثقافة العبرية والثقافة العربية » .

وقال هـ . ج .[4] ولز : « وفي عام ١٢٢٤ أسس فردريك جامعـــة نابولي وأغدق الأموال على المدرسة الطبية الكبيرة بجامعة سالرنو أقدم الجامعات ووسعها .

(١) راجع كتاب شمس العرب تسطع على الغرب للمستشرقة زيغرد هونكه (ص ٢٩٢).
(٢) أو لعل الاسم أيضاً « عطا الله » . (لجنة المجلة) .
(٣) راجع دائرة المعارف البريطانية ج ١٩ ص ٨٧٧ .
(٤) راجع كتاب معالم تأريخ الانسانية . المجلد الثالث (ص ٧٢١) .

وقال أيضاً (١) : « وكان الأمراء والمتعلمون في أوربة يقرأون رسائل فردريك ويتناقشون فيها ، واستساغوا كتب فردريك التي في متناول أيديهم باللاتينية . وألقت سالرنو على روما نوراً مهلكاً مؤذياً » .

ويقول ول ديورانت (٢) « ويرجع الفضل في بقاء الطب العلمي في بلاد الغرب أثناء العصور المظلمة إلى الأطباء اليهود الذين نشروا المعلومات الطبية اليونانية ـ العربية في بلاد العالم المسيحي وذلك عن طريق الثقافة البيزنطية التي انتشرت في جنوب إيطاليا ، وترجمة الرسائل الطبية اليونانية والعربية إلى اللغة اللاتينية . وربما كانت مدرسة سالرنو الطبية قائمة في أحسن المواقع ، وكانت أحسن المدارس استعداداً للإفادة من هذه المؤثرات ، فقد كان الأطباء اليونان واللاتين والمسلمون واليهود يُعَلِّمون ويتعلمون فيها » .

وقال الدوميسيلي (٣) : « إن تأريخ نشأة مدرسة سالرنو مظلم حقاً ، وترجع الأسطورة الفضل في تأسيسها إلى أربعة أساتذة مختلفي الأوطان وهم :

الأستاذ « هاينوس » وهو يهودي كان يقرأ على تلاميذه بالعبرية ، والأستاذ « پونتوس » الذي كان يقرأ باليونانية ، والأستاذ « عبديلا » ـ أقول هو (عبدالله) ـ الذي كان يقرأ بالعربية ، والأستاذ « سالرنوس » الذي كان يقرأ باللاتينية (٤) .

وقال الدوميسيلي كذلك (٥) « ولا نستطيع ان نتعرف فعلاً على تأثير معين

(١) المصدر السابق رقم (٢٣) .
(٢) راجع الجزء السادس من المجلد الرابع من كتاب « قصة الحضارة » ١٨٨ .
(٣) راجع كتاب العلوم عند العرب لدوميسيلي .
(٤) يلاحظ أن رواية « دوميسيلي » حول نشأة مدرسة سالرنو ورواية المستشرقة « زيغرد هونكه » تتشابهان .
(٥) راجع كتاب العلوم عند العرب لالدوميسيلي ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨ .

للعلم العربي في الطب الغربي إلا في أواسط القرن العاشر للميلاد، ففي سالرنو (موطن ابقراط) ازدهرت زمناً طويلاً مدرسة للطب مؤسسة على النقل والاتصال المباشر على وجه كاف بالإغريق . وليس علينا أن نبحث كيف تكونت هذه المدرسة وكيف كانت أحوال هذه المدرسة نفسها مؤاتية لنموها وازدهارها . وحسبنا أن نذكر أن يهودياً ولد قريباً من « اوترانته » سنة ٩١٣ واسمه « شبطاي بن ابراهيم بن يول » كان قد وقع أسيراً عند العرب وسيق إلى مدينة « پالرمو » وفي هذه المدينة تعلم العربية ثم استطاع بعد ذلك الرجوع إلى اوترانته وتوفي بعد سنة ٩٨٢م . وهذا اليهودي المعروف على وجه العموم باسم « دومنولوس » أو « دونولو[1] » صنّف بالعربية بعض الكتب الطبية التي كان أشهرها كتاب في قوانين الأدوية اسمه « سفر هاياقر » أي « الكتاب النفيس » ، ويعد دونولو هذا أيضاً من الشخصيات التي أسهمت بقوة في إنشاء مدرسة سالرنو . فلا شك انه اجتذب اليها بعض العناصر العربية . ولكن من المؤكد أن هذا التأثير لم يكن جد عظيم كما أنه على كل حال لا يشبه ذلك التأثير الذي حصل بعد ذلك بنحو قرن والذي يبقى فريداً حقاً بل غريباً تقريباً حتى إذا جردناه مما حيك حوله من أساطير المبالغات» اه .

إن التأثير الذي يعنيه الدوميسيلي والذي حصل بعد قرن هو تأثير ترجمة « قسطنطين الإفريقي » لكتب في الطب العربي كما سنرى في الأبحاث القادمة .

وقال الأستاذ ألفريد گيوم Alfred Guillaume [2] : « وفي أوربة كانت « سالرنو » قد طار صيتها بوصفها جامعة . فلو كانت هذه المدرسة من بقايا مدرسة الطب اليونانية الغابرة فالفضل في ذلك يعود إلى أن إيطاليا الجنوبية

---

(١) ان رواية الدوميسيلي هنا ورواية كامبل التي سبق ذكرها تتشابهان تقريباً .

(٢) راجع كتاب تراث الإسلام ج ٢ صفحة ٣٩٤ ـ ٣٩٥ .

كانت جزءاً من الامبراطورية البيزنطية حتى القرن الحادي عشر فبقيت حتى بعد الفتح النورماندي منزلاً لأمة كبيرة تتكلم اللسان اليوناني ؛ كما ان فاتحي صقلية من النورمان بسطوا رعايتهم على الدراسات العربية واقتبسوا العادات الإسلامية بصورة واسعة حتى صار من الصعب علينا أن لا نستنتج بأن الطب العربي كان له بدون شك نفوذ عظيم على تلك المدرسة إن لم يكن تأثيراً ابتداعياً خلاقاً فهو على أقل تقدير تأثير تغذية وإدامة » .

وقال غوستاف لوبون (١)« لا أحد يجهل أن هذه المدرسة ـ مدرسة سالرنو ـ التي غدت أول مدرسة في أوربة زمناً طويلاً هي مدينة للعرب بشهرتها وذلك أن النورمان لما استولوا على صقلية وعلى جزء من إيطاليا في أواسط القرن الحادي عشر من الميـــلاد أحاطوا مدرسة الطب التي أنشأها العرب بما أحاطوا به المدارس الإسلامية من الاعتناء الكبير ، وأن قسطنطين الافريقي الذي كان من عرب قرطاجنة عين رئيساً لها .

يتضح للقارئ ـ استناداً إلى الروايات العديدة التي تدور حول نشأة مدرسة سالرنو والتي سقناها تباعاً ـ أن العرب هم الذين أنشأوا مدرسة سالرنو الطبية وحدهم أو بمعاونة علماء يونان ويهود ورومان ؛ ولا يخفى أن اليهود ـ إن صح أنهم ساهموا في تأسيسها ـ كانوا عرباً في ثقافتهم (٢) وعلومهم

(١) راجع كتاب حضارة العرب لغوستاف لوبون ترجمة عادل زعيتر صفحة ٤٩٣ .

(٢) جاء في كتاب حضارة العرب في الأندلس (تأليف جوزيف ماك كيب) تعريب (الدكتور تقي الدين الهلالي) ص ٦٠ « وجميع الكتب التي ألفها العرب ترجمت إلى العبرانية » ؛ « وكان اليهود بالخصوص أطباء نطاسيين ، وكان كبار أطبائهم يقلدون العرب في التضلع بجميع الفنون الثقافية » . وفي ص ٦٣ نفس المصدر « واليهود هم الذين نقلوا معظم ثقافات العرب إلى الآفاق .كما قال اسكوت » .

الطبية بالخاصة لذا فان الفضل الأكبر في تأسيس هذه المدرسة الطبية يعود للعرب كما يعود لهم الفضل في تغذيتها وإدامتها كذلك ؛ هذا وإن الشهرة الواسعة الخالدة التي تدفقت من سالرنو لتدور العالم وتلفه لفـــاً آنذاك ، لم تكن ثمرة النبتة الرومانيه أو الإغريقية في أرض سالرنو الخصبة بل كانت ثمرة للتراث العربي الأصيل الذي حوول طمسه والقضاء عليه وعلى أسماء أعلامه ولكن دون جدوى ، إذ من بإمكانه أن يحجب شمس الحقيقة إلى الأبد (١) ؟

بماذا اشتهرت مدرسة سالرنو

« لا يخفى على أحد من الناس أن سالرنو خالدة (٢) بشهرتها تلك الشهرة التي تلف الأرض لفاً وتشفي الغليل ، لذا كان طلب العلم فيها من أشهى الأمور ، وإني بهذا لمقر » .

بهذه الكلمات المتدفقة إعجاباً وحباً والنابعة من صدر شاب ملأت عليه نفسه السنوات التي أمضاها في دراسة الطب على أساطين هذا العلم في مدينة سالرنو الواقعة على خليج Paestum أو بوستانوس ، بهذه الكلمات توجه هذا الشاب عند عودته إلى كولونيا ومقابلته لقيصر الامبراطور (راينالدفون داسال) في عام (١٦٦٢ م) . فبماذا امتازت سالرنو التي تغنى بذكرها هذا الشاب ومن أين أتتها الشهرة ؟

يروى أن هايتريش (٣) المسكين ، أحدق به المرض حتى فقد الأمل

(١) راجع كتاب شمس العرب تسطع على الغرب تأليف المستشرقة (زيغرد هونكه) ص ٢٩٣.
(٢) راجع المصدر السابق (رقم ٣٣) ص ٢٩١ .
(٣) راجع المصدر السابق رقم (٣٤) ورقم (٣٣) صفحة ٢٩١ و ٢٩٣ .

بالحياة ولم يفد معه نطس أطباء مونبليه فلم ير بداً من تعليق آماله في الشفاء على أطباء سالرنو في القرن الثاني عشر للشهرة العظيمة التي كانت لسالرنو في عالم الطب . وقد توجه إلى سالرنو كذلك ولهلم الفاتح ملك انجلترا فيما بعد ، رغبة منه في مداواة الجروح التي أصابته خلال الحرب ، وإلى أطباء سالرنو الذين طبقت شهرتهم الآفاق بفضل معارفهم الطبية الواسعة ذهب بعد أول حملة صليبية عام (١١٠١ م) ابن النبيل روبير النورمندي مع رهط من رفاقه للتداوي ومعالجة الجروح التي خلفتها فيهم سيوف العرب وسهامهم في القرون الوسطى ، فسالرنو هي الواحة الوحيدة في وسط الصحراء الأوربية التي يتعلل بها المرضى المسيحيون ، وهي مدينة العلم الوحيدة خارج عالم الثقافة الإسلامية التي أمدت النشء الجديد بمعارف طبية صحيحة وثقافة علمية عالية ، شأنها في ذلك شأن المدارس الإسلامية في دمشق وبغداد وقرطبة ، فهنا ، كهناك قمة في العلم ، قمة لها حديث طويل ، ولا عجب في ذلك فقد كانت سالرنو هذه مركزاً عالياً في وسط المحيط الطبي الاكليريكي ؛ ففيها رجال من كل حدب وصوب ، وأبوابها مفتوحة أمام كل الأديان والمقائد ، ورؤساؤها وأساتذتها متآلفون ، وفيها أساتذة رجالاً ونساءً يدرسون فيها على حد سواء ، وكانت النساء يدرسن التمريض والقبالة في سالرنو ، وأكبر الظن أن النساء اللاتي يسمين طبيبات سالرنو كنّ قابلات تدربن في تلك المدرسة .

وكان من أشهر ما أخرجته مدرسة سالرنو الطبية رسالة في التوليد (١) نشرت في القرن الثاني عشر بعنوان « تروتولا وعلاج أمراض النساء » وأكثر المؤرخين يجمعون على أن تروتولا Trotula هذ كانت قابلة سالرنو .

---

(١) راجع كتاب قصة الحضارة تأليف (ول ديورانت) الجزء السادس من المجلد الرابع صفحة ١٨٨ و ١٨٩ .

لقد وصلتنا من مدرسة سالرنو عدة رسائل هامة تشمل فروع الطب كلها تقريباً منها رسالة لارخماثيوس Archimatheus تشير على الطبيب وهو واقف بجوار سرير المريض أن يتحلى وهو ينظر إلى حال المريض بالرزانة حتى لا تقلل من مكانته خاتمة المريض السيئة ، وحتى يضيف شفاؤه عجيبة أخرى إلى ما اشتهر به من عجائب ؛ وعليه أن لا يغازل زوجة المريض أو ابنته أو خادمته ، وحتى إذا لم تكن ثمة ضرورة لدواء ما وجب عليه أن يصف له مركباً عديم الضرر ، حتى لا يظن المريض أن العلاج لا يساوي أجر الطبيب ، وحتى لا يظن أن الطبيعة هي التي شفت المريض دون الطبيب .

واشتهرت كذلك بطبها العملي الذي استند إلى الطب العربي في تطبيقاته ومداواته كما سنرى في الأبحاث القادمة . واشتهرت بالجراحة كذلك ، وأشهر جراحيها روجر السالرني الذي نشر حوالى عام ١١٧٠ م كتابه « العمليات الجراحية » وهو أقدم رسالة في الجراحة معروفة في بلاد الغرب المسيحي . وهذه الرسالة هي مزيج من تجاربه الخاصة وما ورد في كتاب كامل الصناعة لابن المجوسي من معلومات جراحية قيمة هي تلك التي ترجمها عن العربية قسطنطين الافريقي .

وامتازت مدرسة سالرنو الطبية بقضايا أخرى ذات صلة بالطب والصيدلة سنذكرها تباعا .

اجازة ممارسة الطب تمنحها سالرنو :

لقد حظيت(١) سالرنو باعتراف رسمي عام (١٢٣١ م) عندما أصدر الامبراطور(٢) فردريك الثاني في تلك السنة مرسوماً خاصاً بممارسة مهنة

---

(١) راجع : Rashdall Vol 1, P. 82

(٢) راجع الملحق .

الطب وأصول تدريس هـــذه المهنة داخل دولته حتم بموجبه الحصول على ترخيص ملكي لكل ممارس على أن يعطى هذا الترخيص بعد امتحان الطالب أمام لجنة من أساتذة سالرنو. وقد دون الامبراطور لذلك بنوداً في المرسوم ذاته يحدد بموجبها السنوات التي يجب أن يقضيها الطالب في دراسة الطب. فاذا أراد أي إنسان أن يحصل على إجازة في الطب وجب عليه أن يتلقى منهاجاً يدوم ثلاث سنوات في العلوم المنطقية Scientia Logicalil ؛ والمقصود من هذا اللفظ (العلوم الطبيعية والفلسفية). وكان عليه بعدئذ أن يدرس الطب في المدرسة مدة خمس سنين وينجح في امتحانين ويتمرن عاماً تحت اشراف طبيب مجرب[1] ويمنح الخريج درجة علمية ويعطى كتاباً ويوضع له في إصبعه خاتم وتطبع على جبينه قبلة .

إن مرسوم فردريك الثاني[2] الذي قصد به تنظيم مهنة الطب قد جاء إعادةً حرفيةً لتعليمات الملك روجر الثاني في امتحان الأطباء على أيدي أساتذة سالرنو . وقد دونت في هـذا المرسوم الامبراطوري البنود الخاصة بلزوم مناقشة الأطروحة التي يقدمها طالب الإجازة بحضور الامبراطور شخصياً. وقد فرق الامبراطور فردريك الثاني بين مهنتي الطب والصيدلة حاذياً في ذلك حذو العرب .

يلاحظ القارئ أن الامبراطور فردريك الثاني في مرسومه حذا حذو جده الملك روجر الثاني وأنهما معاً سارا على نهج العرب في هذا الباب ، فقد دعى المقتدر بالله الخليفة العباسي (— ٩٣١م) نحو تسعمائة طبيب للامتحان من أجل الحصول على إجازة في التطبيب ؛ وهؤء هم غير الأساتذة الثقات الذين

(١) راجع كتاب قصة الحضارة تأليف ول ديورانت الجزء السادس من المجلد الرابع صفحة ١٩٠ وكتاب قصة الطب تأليف جوزيف جارلند ترجمة سعيد عبده صفحة ٧٣ .

(٢) راجع كتاب شمس العرب تسطع على الغرب لزيغرد هونكه صفحة ٣٣٠ .

تجاوزوا مرتبة (١) الامتحان ، فمنح منهم الاجازة من استحقها وحجبت عمن أخفق في الامتحان . وقد أجرى المقتدر للصيادلة مثل ما أجراه للأطباء وسبق المقتدر في امتحان الصيادلة المتصم الخليفة العباسي إذ أمر هذا الخليفة بامتحانهم لأول مرة في تاريخ الطب والصيدلة .

لقد كانت هذه الإجراءات التي اتخذت في مدرسة سالرنو شيئاً غير مرغوب فيه بنظر بقية البلدان الأوربية ، لأن الكنيسة قد رأت في ذلك تهديداً مباشراً لمصالحها ، وكيف لا ترى هذا وقد أصبح جلّ هذا الموضوع منوطاً بالدولة في شخص رئيسها . فالأطباء والصيادلة يقسمون اليمين أمام الامبراطور ، ولا يعملون إلا بترخيص منه ، كما تعمل البيمارستانات والصيدليات باشرافه .

وأمام هذا الأمر لم ير البابا غريغوريوس التاسع بدأ من أن يتخذ من التدابير ما يحفظ عليه كيانه وسلطته وهيبته فأصدر تصريحاً علنياً وجهه إلى الإمبراطور يقول له فيه أن لا يشتط في أعماله فيعتدي على حقوق الكنيسة .

ومع ذلك فقد صارت قوانين فردريك الثاني فيما بعد هي القوانين المعمول بها في البلاد الأوربية . وكانت بمثابة الخطوة الأولى نحو العصر الحديث بعد ليل العصور الوسطى المدلهم ، قوانين ممارسة مهنتي الطب والصيدلة لستمدت أصولها من السوابق العربية ، ورأس الجسر الذي انتقل بالطب وصناعة الصيدلة من العصور الوسطى إلى العصر الحديث كان من صنع العرب في القرنين الثامن والتاسع للميلاد .

(١) راجع أثر العرب في الحضارة الاوربية لعباس العقاد .

(٢) راجع شمس العرب تسطع على الغرب صفحة ٣٣٠ و ٣٣١ .

التدريس والأساتذة :

كان قيام أستاذ بالتدريس في جامعة من الجامعات الثلاث — سالرنو وباريس وبولونيا — أو السماح له بالانضمام إلى نقابة الأساتذة فيها يعطيه حق التدريس في غيرها من المعاهد العلمية التي تأتي دونها في المكانة والشهرة في حين لم يكن من السهل على أي استاذ أن يقوم بالتدريس في باريس أو بولونيا أو سالرنو إلا بعد امتحان جديد شاق وذلك نتيجة للصفة العالية التي خلعتها هذه الجامعات الثلاث على أساتذتها (١) .

الزي الجامعي :

كان زي الطلاب في جامعات أوربا في العصور الوسطى موحداً ، أي زياً أكادمياً خاصاً ، ففي الجامعات الايطالية ومنها مدرسة (٢) سالرنو حتمت اللوائح أن يرتدي الطلبة عباءة سوداء (Cappa) (ولعل هذا الاسم اللاتيني محرف من كلمة عباءة العربية) (٣) وكان غطاء الرأس قلنسوة من الفراء السنجابي .

علم الأدوية في سالرنو (والصيدلة) :

إن البلاد الأوربية الكائنة في شمال جبال الآلب لم تعرف الصيدليات بمفهومها العربي ومفهومها الحديث إلا بعد زمن طويل . وقد انتقل نظام الصيدلة والأقرباذين ، إلى دستور الأدوية المركبة ، من العرب إلى بلاد أوربة عن طريق مدرسة سالرنو الطبية وطرق أخرى كصقلية والبندقية والأندلس .

---

(١) راجع كتاب واشدال Vol 1. p. 7.

(٢) راجع : Rashdal Vol. I PP 194 — 195 & Vol. 3 PP 385 — 388

(٣) أو قَبَاء العربية ، بفتح القاف وهو ثوب يلبس فوق الثياب . (لجنة المجلة)

فالفارماكوبيا الحديثة اشتقت أصولها ونظامها من الأقرباذين العربي ؛ هذا وقد غمر سالرنو دفق من العقاقير الطبية العربية ودفق كذلك من الكتب الطبية منها ما هو خاص بعلم الأقرباذين — كما سترى في الأبحاث القادمة — . وقد وصلت العقاقير العربية وبعض كتب الطب العربي بلاد الراين حيث سطع تأثيرها في الآفاق فقلدها المقلدون وأفاد منها المبتكرون .

إن عميد (١) مدرسة سالرنو الطبية طبع بعد موت قسطنطين الإفريقي كتاباً على الطريقة العربية يبحث في علم الصيدلة أسماه Offizinell وقد أصبح فيما بعد أساساً لعمل أجيال وأجيال من الصيادلة مع كتاب آخر وضعه عالم آخر من سالرنو بعنوان Circa Instans .

هذا وقد وصف « روجر السالرني » (٢) الأعشاب البحرية عام ١١٨٠ م لعلاج تضخم الغدة الدرقية — وهي تحتوي على مادة اليود كما هو معروف في الطب الحديث — وقد استنبط هذا العلاج من دراسته للطب العربي حيث درس الطب في مدرسة سالرنو وتتلمذ فيها على كتب العرب الطبية .

ووصف السالرني كذلك مركبات الذهب — متأثراً بالطب العربي كذلك — لعلاج آلام المفاصل . ومازال بعض الأطباء في الطب الحديث يستعملون مركبات الذهب لعلاج أمراض المفاصل الرثوية (الروماتزمية) .

لقد كان الترياق من أكثر العقاقير استعمالاً في القرون الوسطى ، في سالرنو وغيرها من كليات الطب في ديار الغرب ، والترياق Theriacum (٣)

---

(١) راجع كتاب شمس العرب تسطع على الغرب لزغرد هونكه صفحة ٣٢٢ .

(٢) راجع كتاب قصة الحضارة العربية (لول ديورانت) الجزء السادس من المجلد الرابع صفحة ١٩٠ .

(٣) راجع المصدر السابق صفحة ١٩٠ .

هو مزيج غريب من نحو سبع وخمسين مادة أشهرها لحم الأفاعي ، استعملوه كواق وشاف من السموم . والترياق اختراع عربي أدخلوه في علم الأقرباذين وانتشر في اوربة ردحاً طويلاً من الزمن .

وهكذا نرى أن رأس الجسر الذي انتقل بالطب وصناعة الصيدلة من العصور الوسطى إلى العصر الحديث كان من صنع العرب في القرنين الثامن والتاسع للميلاد . وقد احتلت أسماء علماء العرب مكاناً سامياً في جامعات الغرب حتى لجأ بعض أطباء ايطاليا إلى نسبة كتبهم إلى أعلام الطب العربي لرفع شأن تلك الكتب والباسها ثوب الوجاهة العلمية ؛ فقد نسب أحدهم كتاباً وضعه في علم الأقرباذين إلى عربي زعم أنه كان تلميذاً لابن سينا في بغداد وسماه ماسويه الصغير Massawih وفي اللاتينية Grabadin Meseues [١] .

كلمات عربية في الطب والصيدلة دخلت لغات الغرب

من القضايا المسلم بها أن الغرب اقتبس الكثير من الكلمات العربية في شتى أنواع المعرفة ومنها ما هو في الطب والصيدلة والكيمياء ، وقد دخلت الكلمات العربية في اللغات الأوربية من مسالك مختلفة أهمها مدرسة سالرنو — في الطب وفروعه — ؛ ولما كان بحثنا يطول إذا ما أحصينا جميع الكلمات العربية الداخلة في لغات الغرب اكتفيت بذكر القليل للاستشهاد وليس للحصر ، والكلمات التي انتخبتها وانتقيتها هي من الانكليزية فحسب وهي :

---

(١) راجع شمس العرب لهونكه صفحة ٣٣٢ .

Saffron	أصلها في العربية (زعفران)
Syrup	〃 〃 〃 (شراب)
Lemon	〃 〃 〃 (ليمون)
Borax	〃 〃 〃 (بورق)
Alanbic	〃 〃 〃 (الأنبيق)
Seasame	〃 〃 〃 (السمسم)
Cubebs	〃 〃 〃 (كبابة)
Rhubarbe	〃 〃 〃 (راوند)
Alhandal	〃 〃 〃 (حنظل)
Sugar	〃 〃 〃 (سكر)
Coffe	〃 〃 〃 (قهوة)
Senna	〃 〃 〃 (سنامكي)
Sesban	〃 〃 〃 (سيسبان)
Natron	〃 〃 〃 (نطرون)
Cummin	〃 〃 〃 (كمون)
Lablab	〃 〃 〃 (لبلاب)

الخ .

يتبع: (الموصل) الدكتور فيصل دبدوب



التعريف والنقد

من كنوز السنة : رسائل أربع

١ — كتاب الإيمان للحافظ أبي بكر بن أبي شيبة (١٥٩ — ٢٣٥)
٢ — كتاب الإيمان للإمام أبي عبيد القاسم بن سلام (١٥٩ — ٢٣٤)
٣ — كتاب العلم للحافظ أبي خيثمة زهير بن حرب (١٦٠ — ٢٣٤)
٤ — كتاب اقتضاء العلم العملَ للخطيب البغدادي (٣٩٢ — ٤٦٣)

حقّق الرسائل الأربع (١) ، وخرّج أحاديثها وعلّق عليها
الأستاذ المحقّق محمد ناصر الدين الألباني

هذه الرسائل تغذي العقول بلبان التوحيد الخالص ، وتشرب النفوس حب الإيمان الصادق ، وتطهر القلوب من كل ما يخالطها من أدران الشوائب ، فتصبح العقائد ، وتزكو الأخلاق ، وتتوحد المبادئ والغايات . يذكر هؤلاء الأئمة مسائل الإيمان ما للعلم واقتضاءه للعمل ، بأسانيدها المرفوعة إلى النبي ﷺ ، والموقوفة على الصحابي ، والمرسلة للتابعين ، والمنقطعة السند ، ويعزو المؤلفون والمعلّق ناصر الدين الأقوال إلى أهلها مُوضحين أنّ القصد من العلم ، وإن قلّ ، هو العمل بمقتضاه ، ثم يبيّن دليل القول وتعليله ، مع الإشارة إلى ترجيح الراجح ، وتضعيف غيره ، وفي أول كل رسالة ترجمة موجزة لمؤلفها ، وفيها تخريج أحاديثها ، والأستاذ الألباني هو محققها

---

(١) هي موجودة في خزانة دار الكتب الظاهرية بدمشق .

ومصححها ، وموورد أدلة أحكامها على كثرتها واختلافها ، وقد بذل في هذه السبيل جهداً عظيماً . وإنما يقدره قدره من غاص في بحر السنة نظراً واستدلالاً ، وأمعن في كتبها بحثاً واستقراءاً . ومن مزايا هذه الرسائل — علاوة على تحقيقها وتصحيحها على أصولها — أنها تسند كل حديث وأثر إلى أصله المنقول عنه ، وتنبه بما عليه من الكلام من تصحيح وتحسين ، أو تضعيف وتوهين ، وضبط ما أشكل من أسماء الرجال ، أخذاً من شروح الحديث ، وغريب جامع الأصول ، ومجمع الزوائد ، ومختصر نهاية ابن الأثير ، وغيرها من أمهات المراجع ، وكتب اللغة ، ويشير المحدث ناصر الدين إلى أجزاء المراجع المطبوعة وصفحاتها ، ليكون المطالع على علم بها وليرجع إليها إذا شاء .

هذا وإن من مشكلات الأحاديث ما كان منها معلولاً بعلة خفيّة ، أو شاذّاً من رواية ثقة أو غير ثقة ، وقد قال الحافظ ابن كثير : علّة الحديث سبب غامض خفي قادح في الحديث ، مع أن الظاهر السلامة منه ، والعلّة قد تكون بالإرسال في الموصول ، أو الوقف في المرفوع ، أو بدخول حديث في حديث ، أو وهم واهم ، أو غير ذلك مما يتبيّن للعارف بهذا الشأن ، من جمع الطرق ومقارنتها ، ومن طرائق تنضم إلى ذلك اهـ .

ومن الفوائد المهمة مما جاء في الكتاب الأول لابن أبي شيبة من حديث الجارية التي كانت ترعى غنماً لمعاوية بن الحكم السلمي ، وإذا ذئب قد ذهب بشاة من غنمها ، فلطمها على وجهها ، فأتيْتُ الرسول (ﷺ) فعظّم ذلك علي ، فقلت يارسول الله ألا أعتقها ، قال : ائتني بها ، فقال لها : أين الله ؟ قالت في السماء ، قال : من أنا ؟ قالت : أنت رسول الله ، قال : فأعتقها فإنها مؤمنة .

قال الأستاذ المحدث الشيخ محمد ناصر الدين ، إسناده صحيح على شرط الشيخين ، وقد أخرجه مسلم من طريق المصنف وغيره ، وأخرجه أحمد (٥/٤٤٧ و ٤٤٨) بإسناده ، ومن طرق أخرى (قال) : والأحاديث الدالة على علوّه تبارك وتعالى على خلقه أكثر من أن تحصر ، وفي ذلك ألّف الذهبي كتابه « العلو للعليّ الغفّار » وهو مطبوع ، ومن قبله الشيخُ ابن قدامة ، وكتابه مخطوط . ثم إن جواب الجارية مستفاد من مِثلِ قوله تعالى : « أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض » ؟ الآية .

ويقول الضعيف كاتب هذه السطور : قال عبد الرحمن بن أبي حاتم : سألت أبي وأبا زرعة رحمها الله تعالى عن مذهب أهل السنة في أصول الدين ، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار ، حجازاً وعراقاً ومصر وشاماً ويمناً ، فكان من مذهبهم أن الله تبارك وتعالى على عرشه ، بائن من خلقه ، بلا كيف ، أحاطَ بكلّ شيء علماً ، وقد قدّمنا في (كتاب حياة شيخ الإسلام ابن تيمية) بعض العبارات الصريحة لأولئك الأئمة الأعلام في إثبات صفة العلوّ المُطلق (لا النسبيّ) لله تعالى على خلقه ، وأنه عال على عرشه ، ومستغن عنه كاستغنائه عن سائر المخلوقات ، وحسبنا في ذلك قصة المعراج وهي متواترة ، وفيها تجاوز النبي ﷺ السمواتِ سماءً سماء ، حتى انتهى إلى ربه تعالى ، فقرّبه وأدناه وفرض عليه وعلى أمته الصلاة .

وفي مقدمة الألباني للكتاب ، أن الأستاذ السلفي الشهير الشيخ محمد نصيف هو الذي اقترح عليه أن ينتخب رسائل نافعة للطبع والنشر ، فاختار هذه الرسائل الأربع ، وصورها بطلب منه ، وقدّمها إلى فضيلته ، فأعجبته ، ورأى أن يطبعها بدمشق مع التعليق عليها ، قال المحقق : فاستجبت لرغبته ، وشرعت في إعداد الرسائل الأربع للطبع ، فاستنسختها وقابلتها

بالأصول ، وعلّقت فيها تعليقات مختصرة مفيدة ، وأضفتُ إلى ذلك بيان حال بعض أحاديثها المرفوعة صحة أو ضعفاً ، وكذلك بينتُ حال بعض الآثار الموقوفة إذا كان لها أهمية خاصة في نظري .

بلغ الكتاب أكثر من (٢٥٠) صفحة ، وقد قرأته بالحرف ، واستفدت منه كثيراً ، ووضعت له جدولاً للخطأ والصواب ، سائلاً منه سبحانه أن يولي المؤلفين والمحقق والناشر والمدقق أجزلَ الثواب ، إنه هو الكريم الوهاب :

(١) كتاب الإيمان لأبي بكر بن أبي شيبة

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
— هـ —		مما يجوز	مما لا يجوز
٤٢	١٨	مضي	مضى
١٠٩،٤٣	١٦،٢١	بن	ابن (رأس سطر)
٤٦	٩	يزعمون إنّ	يزعمون أنّ
٤٦	١٤	وإسمه	واسمه

(٢) كتاب الإيمان للقاسم بن سلام

٥٤	١٢	لا يلزمه إسم	اسم
٥٤	١٥	كانوا حديث عهد	حديثي عهد
٥٨	١	فزادهم إيمانا	« فزادتهم »
٦٦	٨	عندما ما نصّ	عندما نصّ
٧٠	٤	الاستكا	الاستكال
٧٧	٨	لي عمل	« لي عملي »
٨٠	١٣	كأيمان	كإيمان
٨١	٤	السيباني	الشيباني

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
٨٢	٤	والبراة	والبراءة
٨٢	١٦	والقديرية	والقدرية
٨٤	٤	والبراة	والبراءة
٨٦	١٦	رضي الله أجمعين	عنهم أجمعين
٩٠	١٤	وإسم	واسم
٩٠	٢	أولئك الوارثون	« أولئك هم الوارثون »
٩٥	١٧و٢١٤/٤	أبو يعلي	أبو يعلى
١٠١	٩	(١٢)	(١٢٢)

(٣) كتاب العلم للحافظ النسائي

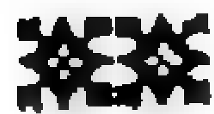
الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
١١٢	٣	حصي	حصى
١١٧	٥	فقهم	فقههم
١١٩	٢	اكتنى	اكتني
١٢٠	٣	وبحسه	وبحسبه
١٢٢	١٩	في إسمه	في اسمه
١٢٣	(السطر الأخير)	إسنادة	إسناده
١٢٨	٢١	جويرية	جورية
١٣٣	١٠	إذا إتيهنا	اتهينا
١٣٩	١١	لا يألوا	لا يألو
١٤٤	٢٠	وسلون	وسكون
١٤٦	(السطر الأخير):	أوئل	أوائل

(٤) اقتضاء العلم العمل لأبي بكر الخطيب البغدادي

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
١٥٨	١٠	ولكن أجمع	ولكن اجمعْ
١٥٩	٦	والرضي	والرضى
١٦٠	١٤	الخرّاز	الخزّاز
١٦٤	٥	إعملوا	اعملوا
١٦٧	٨	أبو الدرداة	أبو الدرداء
١٦٨	٤	مَن يعمل	« فَمَنْ يَعْمَلْ »
١٧٦	١١	ولكن أنظروا	انظروا
١٩٢	١٣	(٢٦)	(٢٧)
١٩٧	آخر السطر	سنة ستة	ست
١٩٨	١	أتاه الله	آتاه
١٩٨	١	(٣٠)	(٣١)
١٩٨	١١	(٣)	(٣٢)
٢٠٠	٧	(صلى الله)	(مكرّرة)
٢٠٠	١٠	(٣٢)	(٣٣)
٢٠١	٩	قبل	(قيل)
٢٠١	٢٢	(٣٣)	(٣٤)
٢٠٢	١٢	(٣٤)	(٣٥)
٢٠٣	١٦	(٥٣)	(٣٦)
٢٠٦	٤	شغلا	شغل
٢١٥	٧	فاغتنمو	فاغتنموا

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
٢١٥	١٥	على	علي
٢١١	١٦	بغتة	بغتهْ (بالهاء (٤) أبيات)
٢٣٠	١٧	لا يلبس	لإبليس
٢٣١	٥	فابه	فإنّه
٢٣١	٧	من كلاب	من كلام
٢٣١	١٥	ضعفه الحديث	ضعف الخ
٢٣٢	١١	إما	« إماما »
٢٣٥	١٦	نصيبك الدنيا	« من الدنيا »
٢٣٨	٣	مَن غشنا ليس منا	(فليس)
٢٣٨	٥	يفقه	(يفقهه)
٢٤٠	١٢	تافع	نافع
٢٤٠	١٣	بالطاغوث	بالطاغوت
٢٤٢	٤	زنا	زَنّا
٢٤٣	٣	يعطى	يعطي
٢٤٧	١١	تفقه	يفقهه
٢٤٨	١٦	الشباء	السِّباب

هذه آخر صفحة من الكتاب وبها تم جدول الخطأ والصواب ، وله تعالى الحمد والشكر .



محمد بهجة البيطار

مع صيدح في كتابه عن أدب المهجر :

أدب مهجري أم أدب عربي في المهجر ؟

عُني مؤرخو أدبنا المعاصر بالأدب المهجري عنايتهم بالأدب العربي في مختلف عصوره ، وربما كانت الدراسات التي ظهرت عن أدب المهجر أوفى وأغزر ، لا لشيء إلا لأنه كما يرى بعضهم ، ظاهرة جديدة في أدبنا سواء في محتواه أو في مضمونه .

وعلى كثرة الدراسات المنهجية ، المتزنة منها والمهلهلة ، فقد ظلّ مصدراً ثرّاً لمن يريد أن يتناوله بالدرس والبحث ، ورد منازعه وأهدافه إلى العوامل التي أثارت الأدباء والشعراء إلى هذا اللون من الأدب .

ولعل أوفى دراسة ظهرت في هذا المجال الدراسة التي كتبها الأستاذ جورج صيدح في كتابه « أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية » . فقد تناول الموضوع من مختلف أصوله وفروعه . فظهرت في هذه الدراسة موهبة الباحث ، ونزعة الشاعر ، وروح الأديب ، ورصانة المؤرخ النزيه ، يضاف إلى كل ذلك معرفته الخاصة بالكثيرين الذين أرخ لهم .

ففي الفترات التي قضاها في المهجر استطاع أن يمايشهم ويسامرهم ويستمع إليهم ويتقارض معهم الثناء والهجاء ــ أريد الهجاء الإخواني إنّ صح التعبير ــ فعرف الكثير من خصائصهم ونزعاتهم ومجساتهم ومباذلهم ، وهذا الذي كوّن عنده فكرة صادقة عن مراحل حياتهم الفكرية والذاتية ، فكتب آراءه بكثير من الصدق والواقعية ، وأعطانا الكثير من الصور التي كنا نجهلها حتى عن المهالقة منهم .

وهكذا ، فقدم للقارئ العربي ، بهذا الأثر النفيس ، لوحات واضحة الإشراق عن أدب المهجر الذي اختلفت الآراء حوله بين محبّذ وناقد ، وبين منصف ومتهجم ، فعرض الأستاذ صيدح شتى الآراء المتباينة ، ودافع بحرارة دون أن تثنيه حرارة الدفاع عن النقد العف — نقد ذاتي هو إلى التجرد والإنصاف أقرب ، وبذلك رسم الرأي المتزن والفكرة الملتمعة التي لا يعتورها الخلل والاضطراب .

والطريقة التي اتبعها في تأريخ سير أدباء المهجر ذاتية وموضوعية في آن واحد ، اعتمد على الإنتاج من حيث قيمته الفنية ، ثم على الحياة الشخصية والعوامل التي ألهمتهم هذا الأدب ، وكان واسع الإلمام بكل ما خطته يراعتهم ، متتبعاً مراحل حياتهم مرحلة مرحلة ، إلى أن كوّن عنهم ، كما قلت ، الفكرة الصحيحة ، وإذا هو يعكس صوراً واضحة على ضوء فن التراجم ، يكفي أن يقرأ القارىء هذه الصفحات القليلة عن الريحاني أو جبران ، عن الشاعر القروي أو فرحات ، وغيرهم من المشهورين وغير المشهورين ، ليعرف كل ما تنطوي عليه أحاسيسهم وصفوة آرائهم ، نزواتهم وهواجسهم ، ما ظهر منها وما بطن ، ومقام كل واحد في عالم الفكر والأدب ، ومدى تجاوبهم مع مجتمعهم ، ومع التيارات القومية والإنسانية ، وهذا منتهى ما يتطلب من الباحث الذي يعرض إلى التاريخ الأدبي وتاريخ السير الذاتية بصورة خاصة .

والكتاب في تسعة عشر فصلاً تضمن دراسات عن هجرة الأدباء وبواعثها وأدق المراحل في حياة المهاجرين ، والأدب المهجري وخصائصه ورسالته القومية والاجتماعية والإنسانية ، وسر تفوقه ومناحيه ، وعرض لآراء الناقدين ، ثم صور قلمية واضحة اللامح للأدباء والشعراء ، فجاء الكتاب بحق موسوعة كاملة عن أدب المهجر الذي أخذت أضواء نجومه — وا أسفاه — بالانطفاء وشمس كواكبه بالمغيب .

– ٢ –

بعد هذه التوطئة عن ملامح الكتاب نقف وقفة قصيرة عند فصل من فصوله نتبين خصائص هذا الأدب وسر تفوقه .

وقد أوضح الأستاذ صيدح هذه الخصائص بقوله : « إن الأدب المهجري يتميز بالنزعة التجديدية الطامحة إلى الكمال ، وهي بارزة في قالبه ، وفي مضمونه ، ففي القالب يتميز بالتحرر التام من قيود القديم مع استبقاء ما لان للصياغة الحديثة وما طاوع منها نزعة التجديد .

ثم يوضح هذا الرأي بقوله « انهم قد انتقلوا من الاتباع إلى الإبداع ، ومن عبودية التقليد إلى الاستقلال بالشخصية الأدبية ، لا جمود في القوالب الجاهزة ، ولا ميوعة من المسارب المستحدثة ، انعتق النثر من المدلولات الثابتة والرواسب المنحطة ، وانطلق الشعر إلى أصوات متعددة وأوزان قصيرة مجزوءة ، وموشحات تتبارى بالفن مع ما خلفته لنا الأندلس » .

وأما في المضمون فأوضح أنه ذو منازع مختلفة ، فالشعر العاطفي مثلاً يتميز برقة ما بعدها رقة ، يتجلى ذلك في الشوق والحنين إلى الوطن البعيد ، في نغمات مؤثرة لم تعرف لغة الضاد أوقع منها جرساً ولا أرهف حساً » ؛ كما يتميز شعرهم الصوفي والتأملي بحب الجمال المثالي نتيجة تأملهم الطويل في الذات وفي ما حولهم من الكائنات شأن الفلاسفة الروحيين ؛ وشعرهم الأخلاقي صورة من أدب التوجيه نحو ممارسة الفضائل واجتناب الرذائل ؛ أما القومي فهو أدب الوطنية الصحيحة التي تركزت على وحدة اللغة ووحدة التاريخ ووحدة الهدف .

وحين يتحدث عن الطابع الإنساني في أدبهم يراه أدباً يشع بروحانية الشرق ، متطلماً بروحه إلى المثل العليا في الحياة ، متعاوناً مع قوى الخير لخلق عالم أفضل شأن الأدباء العالميين .

وقد سرد نماذج من أقوال الشعراء والأدباء في كل ظاهرة من هـــذه الظواهر ليتنهي إلى القول بأن أدباء المهجر كتبوا شعرهم ونثرهم بهذه الخصائص البارزة ليعرضوه على محكمة التاريخ .

أي أنه ترك للنقاد أن يعالجوا هذا الرأي الذي طرحه والذي ألمع إليه إلماعاً ، لأن النماذج التي عرضها من أدبهم الفلسفي والصوفي والتأملي والقومي لا تروي غليل القارىء ، وقد كنـــا نود أن تكون أوسع وأبلغ وأعمق لتعطي صوراً أوضح .

— ٣ —

لي رأي بالأدب المهجري يندمج بالسؤال التالي ؟

إذا استثنينا قصائد الشوق والحنين ، وهذه ظاهرة لا يستطيع الشاعر أن يتخلى عنها ، ونظرنا نظرة مجردة إلى ما أنتجوه في مختلف النواحي القومية والوجدية والتأملية ، هل نجد فوارق ظاهرة في المضمون والمحتوى بين شعرهم والشعر الذي هجس به شعراء لبنان بعد الحرب العالمية الكبرى ، أو بينه وبين ما نظمه شعراء الأقطار العربية ؟

ففي المجال القومي هل تختلف قصائد الشاعر القروي عن قصائد الكثيرين من فحول شعرائنا المعاصرين ؟

ولو ظل الشاعر القروي في الوطن يعيش مع أحداثه أكان شعره أقل صياغة وأقل شاعرية ووقدة حماس عن شعره في المهجر ؟

وما نقوله عن الشاعر القروي نقوله عن فرحات وأبي ماضي وشفيق المعلوف وغيرهم وغيرهم .. فلو ظلوا في لبنان أكان مستوى شعرهم في التأملات والوجديات أقل من مستوى شعرهم وهم في المهجر ؟

فحين نقرأ الأدب المهجري لا نجد فيه هذه الانطلاقة التي تنأى به عن الانطلاقة التي حاولها الأدباء المجددون خلال الحربين العالميتين ..

وإذا استثنينا حرارة الوجد ، وجذوة الشوق نحو الأهل والوطن — إذا استثنينا هذه الظاهرة كما قلت — لا نجد أي فرق بين شاعر مهجري وشاعر لبناني في الصياغة والأسلوب ، وفي التعبير عن دفقات الشعور في شتى المجالات والميادين .

فهذا الذي نسميه أدباً مهجرياً هو أدب « لبناني الطابع » أكثر من أن نعتبره أدباً مهجرياً .

والأستاذ صيدح يعطينا في كتابه أكثر من دليل على صحة ما أذهب إليه ، فحين أشار إلى الكتب التي ألّفها أمين الريحاني في المهجر ذكر عدة كتب ألفها في فجر شبابه وهي « تاريخ الثورة الفرنسية » و « المحالفة الثلاثية » و « المكاري والكاهن » و « زنبقة النور » و « خارج الحريم » وقسم من الريحانيات ...

وقد وقف إنتاجه المهجري عند هذا الحد ، وان كل ما كتبه بعد ذلك سواء باللغة الانكليزية أو العربية فهو خارج المهجر ، وقد بلغ عدد كتبه الانكليزية أحد عشر كتاباً أولها لزوميات المعري ، وعدد الكتب التي أصدرها في أثناء إقامته في الوطن أربعة وعشرين كتابا ، ثم قال :

« إذا قابلنا هذا النتاج الضخم بالكتب التي بيمناها ، وجدنا أن نصيب المهجر من أدبه كان ضئيلا لا يجوز لنا اعتباره أدباً مهجريا » .

وميخائيل نعيمة ما نصيب المهجر من أدبه ؟

يقول الأستاذ صيدح :

« لكي نحدد حصة المهجر من أدب نعيمة نرجع إلى مادة الكتب التي طبعها في مصر وبيروت وإلى تاريخ صدورها ، فنؤكد أنه بعد أن أصدر في نيويورك مسرحية « الآباء والبنون ١٩١٨ » وكتاب « الغربال ١٩٢٣ » ، حمل إلى الوطن مخطوطات عديدة منها « همس الجنون » و « كان ما كان » و « المراحل » و « مذكرات الأرقش » ، أما الكتب « زاد المعاد » ، « البيادر » ، « لقاء » ، « الأوثان » ، « جبران خليل جبران » ، « في مهب الريح » ، « صوت العالم » ، « النور والديجور » ، « مرداد » ، « دروب » ، « أكابر » ، فلا يدّعيها المهجر » .

نخرج من هذا الاستطراد إلى أن إطلاق « الأدب المهجري » على الأدب الذي أنتجوه في فترات من سني غربتهم ، غير صحيح ، وهو يمتّ بأصوله وفروعه . بمضمونه ومحتواه ، إلى الوطن العربي بصورة عامة ، وإلى لبنان بصورة خاصة .

وكان في وسعنا أن نعتبره أدباً مهجرياً بحق لو أن الجيل الثالث الذي ولد في المهجر ونشأ على حب العربية ، وأخذت جذوة الحنين تتلج في صدره للتعبير عن هواجسه وأمنياته بآراء وصور عاشت تحت سماء المهجر وتفاعلت مع شتى تياراتها المختلفة ـ لو أعطانا الجيل الثالث أدباً عربي الصياغة ، مهجري الطابع ، يصور هذا القلق الذي يربط بين وطن أجداده والوطن الذي ربطت الأقدار حياته ومستقبله بكل ظاهرة من ظواهره ، لقلنا هذا أدب مهجري بحق .

أما أن يهاجر الكثيرون وهم أدباء وشعراء ، ولبعضهم قصائد وموشحات ، ويقيموا شطراً من عمرهم ثم يعودوا إلى الوطن فيتوالى إنتاجهم ، ولا نجد

ثمة فرقاً ظاهراً بين شعرهم في المهجر وشعرهم في أرض الوطن ـ أما أن نطلق على أدبهم هذا «أدباً مهجرياً» فهو تخريج غير صحيح ..

فخصائص الأدب المهجري الذي أشار إليها الأستاذ صيدح سواء في ميداني النثر أو الشعر نجد ما يماثلها عند شعراء مصر وسورية ولبنان والعراق، ولم تعرف العربية في أدبنا المعاصر، شاعراً اتخذ طريقةً خاصة التزم بها.

ولنأخذ أي ديوان من دواوين المعاصرين نجد فيه الشعر العاطفي والوصفي والقومي والتأملي سواء في ذلك شعراء الأقطار العربية أو الشعراء الذين اعتبرناهم مهجريين.

يختلفون في الصياغة بعض الاختلاف ويتفقون في المنهج، فليست السنوات التي أمضاها ميخائيل نعيمة في المهجر هي التي جعلت منه هذا الأديب المرموق في عالم الأدب، وللشخروب، وللجبل صنين، وللجوّ العربي الذي عاش في ظلاله، ولتجاوبه مع أحداث وتيارات الفكر العالمي ـ لجميع ذلك أثره غير المنكور في صقل مواهبه وتفتح ذهنه.

ورحلات الريحاني في الشرق والغرب، وإنتاجه الفكري في شتى المجالات من أدب إلى تاريخ إلى شعر إلى نقد إلى فلسفة هي نتاج الجو العربي الذي عاش في صميمه، لا سماء نيويورك التي ضاق بجوها الخانق، وشعر كأنه بلبل حبس في قفص ضيّق، وما نقوله عن هذين العملاقين ـ والموهبة أساس في إبداعها ـ نقوله عن الكثيرين ممن أرخ الأستاذ صيدح سيرتهم.

انني في كلمتي هذه لا أستطيع أن أغيّر المدلول الصارخ الذي طبع به أدب هذه الزمرة التي هاجرت في سبيل العيش الكريم فكافحت كفـــاح الأبطال وظلت رغم مرارة الحياة وقساوتها محتفظة في صدرها بهذه الجذوة تشع أدباً أضبح رمزاً لهجرتهم ـ أقول لا أستطيع أن أغير من مدلوله إلى

اسم آخر ، ولكني أميل إلى القول أنه أدب سوري لبناني الطابع عاش في المهجر فحافظ على روحه وأصالته وشتى ألوانه .

وها هو ذا أديب مهجري كبير يلتقي معي في هذا الاتجاه — فيوضح هذه الفكرة أبلغ توضيح .

يقول الأستاذ جورج حسون معلوف ، وهو من أعلام الأدب العربي ومن أركان العصبة الأندلسية :

« وإذا قلت الأدب العربي في المهجر فاني أعني الأدب عينه في البلاد الناطقة بالعربية ، فهناك أرومته وجرثومته ، وفي المهاجر بعض أغصانه وأثماره ، وما أدباء المهجر إلا شطر من أدباء البلاد العربية » .

وقال :

« وقد لغطت الجرائد آخراً بنهضة مزعومة في المهجر ، وتفاءل البعض بها ، فقالوا إن فيها بعثاً لعصر الأندلس وعوداً إلى أيام غرناطة ، مع أنه لا نهضة أدبية في المهجر ، وما أدباء المهجر وشعراؤه كما قلت وكما يدعون إلا بعض أدباء العربية وشعرائها ، ولا يصح والحالة هذه تسميتهم أدباء المهجر ، والصحيح تسميتهم الأدباء المهاجرين .

كما لا يصح تسمية الشعراء من القافلة الأولى بشعراء الأندلس ، فان شعراءها الحقيقيين هم أولئك الذين ولدوا فيها ، وفيها تلقنوا الأدب ، ونظموا الشعر ، وتفننوا في أساليبه ، وتصرفوا في بحوره .

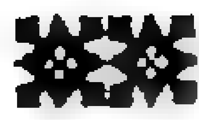
وسيبقى الأدب في المهجر قسماً مكملاً للأدب في البلاد العربية وصورة له في المرآة ، يرتقي ذاك إذا ارتقى هذا ، وينحط هذا فيحط معه ذاك ، لأن مواليد الناطقين بالعربية في المهجر ما قام قط ولن يقوم منهم أديب عربي لأن العجمة تتغلب عليهم ، وإذا قدرنا فيهم الشاعرية العربية وقد تسربت إليهم

بالإرث ، فانها تتجسم بلغات الأغيار ، وكم بيننا من أديب لامع يلتهب غيرة على العربية وبنيها ولكنه يكتب بلغة البلاد التي ولد فيها من بلدان المهجر »[١] .

وهو رأي له قيمته ودلالته ، نعم ، وقد يصح أن يسمى هذا الأدب أدباً مهجرياً لو أنه نتاج الجيل الثالث - كما قلت - ، أما وانه نتاج أدباء وشعراء هاجروا في سبيل العيش الكريم وظلوا مرتبطين بالوطن الأم وبجواء الحياة العربية في شتى تفاعلاتها وتياراتها وهم في الأصل أدباء وشعراء فلا نستطيع أن نعتبره « أدباً مهجرياً » والتسمية الصحيحة له هو « أدب عربي في المهجر » .

وما أظن الأستاذ صيدح يجانف هذا الرأي وهو الذي أعطى العالم العربي صورة صادقة عن هذا الأدب ، فكان بحق المؤرخ الأمين لجميع فتراته ولجميع رجالاته من أدباء وشعراء ومفكرين - من العباقرة الأفذاذ إلى الموهوبين المغمورين - .

سامي الكيالي



(١) مقدمة الأستاذ معلوف لديوان الربيع وهو الجزء الأول من ديوان فرحات ، سان باولو سنة ١٩٣٢ ، ص ٣٩ .

العراق في الشعر العربي والمهجري

تأليف الدكتور محسن جمال الدين

كلية الآداب — جامعة بغداد

كتاب من القطع المتوسط عدد صفحاته (٤٩٤)

طبع في مطبعة الارشاد ـ بغداد

أهدى المؤلف هذا الكتاب إلى مجلة المجمع وهو كتاب قال مؤلفه في مقدمته انه ألفه ليبين « شعور إخواننا العرب نحونا ، أي نحو العراق ، مقتصراً بذلك على العصر الحديث ومختاراً النماذج من شعر البارزين منهم ، والذين اهتموا كثيراً بهذه الناحية ، على أنني لم أبخس الآخرين قدرهم وشعورهم الذي قد عبروا عنه نثراً ، وخطابةً ، ومقالةً ، وكتاباً » .

وأهدى المؤلف كتابه إلى « الوطن الذي رباني صغيراً ، واحتضنني كبيراً ، العراق الأبي » كما أثبت في صفحة أخرى بعد صفحة الإهداء ، أبياتاً لشاعر متقدم هو « ابن المعلم الواسطي » .

لكن الكتاب كما رأيناه يمكن أن يعتبر شكلاً من أشكال المعاجم التي تتناول الشخصيات الأدبية ، ولو أن هذا الكتاب لم يلتزم في وضعه الترتيب الأبجدي ؛ وقد بدأه بالشاعر اللبناني حليم دموس وأنهاه بشاعر من الخليج العربي هو عبد الرحمن بن قاسم المعاودة ؛ ولا نعلم على وجه التحديد الطريقة التي لجأ إليها المؤلف في ترتيب هذه الشخصيات الشعرية ؛ فان الترتيب مفقود فيها ، وحبذا لو جعل بشعراء كل بلد على حدة ليسهل على

القارئ مراجعة ما يريد المودة إليه من أبحاث في هذا الكتاب ، فبدوي الجبل السوري وضع إلى جانب محمد محمود الزبيري اليمني ، وعمر أبو ريشة السوري أيضاً جاء ترتيبه إلى جانب شاعر جزائري هو صالح الخرفي .

وهو يقسم الشعراء الذين نظموا شعرهم في موضوعات عراقية قسمة متناسبة مع الروابط التي ربطتهم بالعراق ودفعتهم إلى القول فيــــه ، فمنهم ـ على حد قول المؤلف ـ من صاهر العراق وسكنه زمناً ، ومنهم من أحبه ولا زال حبه يسري في دمائه ، ومنهم من وصفه يوم أن كانت له مصلحة مادية معه وغرض في نفسه ونظم ما نظمه بدافع تلك المصلحة وحصوله على ذلك الغرض ، وما إثبات شعره ، إلا كتذكير له على ما أسداه العراق له من نعم وفضل واحتضان وضمان في أيام شدته وزمن حاجته » .

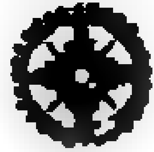
ونحن لا نوافق المؤلف على البحث في كتاب أدبي ، له صفة ثقافية عامة ، في أمور خاصة تتعلق بأشخاص قد يجدون غضاضة في تذكيرهم بما أسداه العراق إليهم ، فالعراق قطر شقيق كريم لا يمن ولا يذكر ، والأقطــار العربية أشقاء يحن كل منهم إلى أبناء البلد الشقيق الآخر حين الحاجة ، وما من قطر عربي إلا وقد شارك في هذا الحنان الأخوي ، والوفاء العربي ، فالمن في هذا الباب غير وارد ، والتذكير به أمر لا يتعلق بالبحث الأدبي ، والغاية العلمية التي رمى إليها الكتاب .

ومما لفت نظرنا أيضاً أن الصورة المثبتة في الكتاب غير مطابقة لصاحب الصورة ، ولا تشبهه من قريب أو بعيد ، وقد ينكر القارئ أصحاب الصور الذين يعرفهم حين يرى صورهم ، وكنا نفضل لو كانت هذه الصور فوتوغرافية لتكون أقرب إلى الحقيقة بكثير .

أما الأغلاط المطبعية فكثيرة مبثوثة في الكتاب نذكر بعضها على سبيل المثال ، فقد قرأت في الصفحتين ٣٢٦ ، ٣٢٧ وحدهما أبياتاً خمسة لبدوي الجبل وجدت فيها غلطتين ، في البيت الثاني ، وفي البيت الثالث . وفي الصفحة (٤٠٤) خطيئة لغوية أيضاً وقعت في عنوان البحث عن الشاعر القروي في قول المؤلف « سوت العروبة الداوي » ولا توجد من هذه الصيغة إلاّ صيغة الـ « مدوّي » لأن الفعل رباعيّ الأصل ، والداوي معناه الكثير وهو غير ما قصد إليه المؤلف .

هذه ملاحظات عنّت لنا لدى قراءة الكتاب ، وهي لا تمنع من القول بأنه ذو فائدة لا تنكر فقد عرّفنا بكثير من الشعراء الذين لم نسمع بهم إلا قليلاً ولم نقف على آثارهم لحداثة عهدهم بالاتصال بالبلاد العربية الأخرى بسبب ظروف مختلفة ، وفي ذلك خدمة أدبية وعربية مشكورة للمؤلف .

أحمد الجندي



آراء وأنباء

الشيخ محمد البشير الإبراهيمي عالم الجزائر

نعت إلينا الأنباء في ٢٤ أيار ١٩٦٥ العالم الكبير، والكاتب الأديب الشهير، الشيخ محمد البشير الابراهيمي، رئيس جمعية العلماء في الجزائر، وأحد أعضاء مجمعنا العلمي العربي، تغمده المولى برحمته ورضوانه، وقد كان لنعيه بدمشق رنة أسف وحزن شديدين عند عارفي فضله وأدبه، إذ كان قضى مدة دعي فيها إلى تدريس اللغة والأدب في تجهيز دمشق، فكان المجلي في دروسه، وتخرج عليه عدد وافر، كان لهم أثر ظاهر في مجتمعنا العربي، ومنهم الدكتور جميل صليبا زميلنا في المجمع العلمي، وهو أحد المعجبين بأدب الأستاذ الإبراهيمي، قال الدكتور: إنا كنا في مدرسة تجهيز دمشق جد مغتبطين بدروس الأستاذ البشير القيمة التي كانت بعذوبة أسلوبها كالماء الزلال، بل السحر الحلال، قال: وكان الأستاذ يملي علينا القصائد الطوال، لأرق الشعراء في العصور الذهبية، ويشرحها شرحاً لغوياً وأدبياً وافيين، فكنا إذا رجعنا إلى دواوين الشعر وشروحها أخذنا العجب من صحة الرواية للأستاذ ودرايته، وتحقيقه العلمي والأدبي. وقد انتخبه المجمع العلمي العربي بدمشق عضواً مراسلاً فيه في ١٤ ايلول ١٩٥٤.

وأقول: كنا نجلس الساعات الطوال، من ليل أو نهار، ونحن مقبلون على عالمي تونس والجزائر الشيخ محمد الخضر حسين والشيخ محمد البشير الإبراهيمي، وهذان العالمان ينثران على مسامعنا من درر المباحث العالية، والمطالب التالية،

ما يعدّ لباب اللباب ، في كل علم وباب بله الدلالة على الكتب النفيسة ، والنقل عنها بضبط وإتقان والتعليق عليها ، من دون رجوع اليها ، وكنا نشعر أننا أمام دائرة معارف حوت من كل شيء أحلاه وأغلاه .

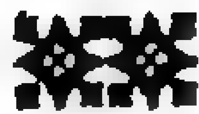
تلك الأيام كانت غرًّا محجلة في ديار الشام ، ثم طلعت علينا « البصائر » من عاصمة الجزائر ، فأسمعت العالمَين الشرقي والغربي صوتها العالي المرفوع ، ففي أرض الجزائر غرست شجرة الإصلاح الديني والمدني بيد جمعية العلماء الأجلاء ، فأزهرت وأينعت ، ومن سمائها سطعت شمسه فأضاءت وعمّت ، ومن بين جوانحها سمعت صيحة الحق ، فأيقظت الراقد ، وحركت الجامد ، وزلزلت أقدام المستبد الطامع ، فوقف حيران لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلا .

مضى العصر الذي كان فيه معظم علماء الدين لا يلتفتون لشيء خارج مساجدهم ومعاهدهم ، وجاء اليوم الذي يتولون فيه قيادة الأمة في بلادهم . حسب الجزائريين مجداً وفخاراً أن يكون منهمُ الإمام الأول للنهضة الإصلاحية الجزائرية الشيخ عبد الحميد بن باديس تغمده المولى برضوانه ، والإمام الثاني لهذه النهضة المباركة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الذي يحق للشام أن تفاخر به كما تفاخر بأبنائها المخلصين ، وأن تشكر له بيض أياديه كما تشكر له الجزائر حسن صنيعه .

أكان للناس عجباً أن يروا جمعية العلماء الأبطال ، يتقدمون صفوف الرجال الأحرار ، مجاهدين في سبيل استرداد الحق المغصوب ، ورفع شأن الوطن المحبوب ؟ إن تعجب فعجب قول بعض المتفرنجين يجب أن يبقى الدين محصوراً في المساجد ، ويعدّ ذلك بعض الجامدين قضية مسلّمة فإذا دعي إلى المشاركة في عمل إصلاحي — كعمل جمعية العلماء — يجب التعاون فيه ، قال :

من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ! « آهٍ ما أشد قسوة الاستعمار الأوربي على الوطن العربي : هاجمه في الدين فاستضعف طائفة من أبنائه فسخرهم لمحاربته ، وفي الجنس ففرق بين أبناء الدين الواحد باسم الجنس والعنصر وأغرى بعضهم ببعضهم ، وفي اللغة التي وسعت كتاب الله علماً وحكمة — كما قال حافظ إبراهيم — فجعل فريقاً من أبنائها لا يقيم لها وزناً ، ولا يرفع بها رأساً ، وفي العلم فاجتاح أسفاره وملأ بها خزائنه ، وفي الآثار والعاديات فاستخرج منها كنوزه وملأ بها متاحفه ، وفي الوطن فجعله بين دوله نهباً مقسماً . من أجل ذلك كله قام الشرق على اختلاف ملله ونحله ، يثأر لنفسه ، ويطالب بحقه ، ولمّا كان من سنن الله تعالى أن ينصر الحق على الباطل إذا هب أهله لنصره ، رجونا أن تكون كرّة الحق رابحة ، وكفة الباطل خاسرة ، تحقيقاً لقوله عز شأنه « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق » رحم الله الفقيد الكبير ، وعوض العرب والمسلمين عنه خيرا ، لا سيما أسرة « البصائر » وجمعية العلماء الأجلاء ، وأفضل ما يقوله الصابرون « إنا لله وإنا إليه راجعون » .

محمد بهجة البيطار



ظهور نسخة ثانية

من كتاب الاتباع لأبي الطيب اللغوي

في معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية

كنا عثرنا في خزانة آل عابدين بدمشق على مجموعة لغوية مخطوطة تشتمل على كتاب المثنى وعلى كتاب الإبدال وكتاب الإتباع ، والكتب الثلاثة للإمام أبي الطيب اللغوي ، وبعد مراجعة فهارس دور الكتب والإحفاء في سؤال المختصين بمعرفة المخطوطات كالأستاذ عبد العزيز الميمني والشيخ راغب الطباخ عرفنا أن هذه الكتب فرائد ليس لها في الخزائن توائم ، ونشرنا في مجلة المجمع العلمي العربي كلمة للعلماء ليبحثوا للمجمع عن نسخ ثانية لنسخ هذه المجموعة المخطوطة لأنا عازمون على نشرها ، ثم مضى على ذلك السؤال سنون كثيرة بدون جواب .

وكان كل ذلك قبل أن توجد جمعية اليونسكو ، وقبل إنشاء معهد المخطوطات وجامعة الدول العربية ، ثم شرعنا سنة ١٩٦٠ في تحقيقها ونشرها المجمع العلمي تباعاً ، ولم ندر يومئذ بأن معهد المخطوطات المنقب عن تراث أجدادنا قد حصل على نسخة كاملة من كتاب الإتباع ضمن المجموعة التي صورتها وحدة اليونسكو من الرباط ، وقد حملت الحمية العلمية الأستاذ السيد توفيق البكري مدير معهد المخطوطات على إرسال نسخة مصورة من كتاب الإتباع للمجمع العلمي الذي يشكر السيد البكري على أريحيته هذه أطيب الشكر .

ونسختنا الدمشقية بخط نسخي جميل وصحيحة الإعراب والشكل ، ونسخة المعهد الرباطية بخط مغربي دقيق وغير مشكولة ، وبذلك تكون نسختنا أجمل خطاً وأصح نصاً وضبطاً ، ففي النسخة الرباطية بعض جمل ناقصة ، ولكنها تمتاز بكمال خطبتها ، التي ليس منهـــا في مخطوطتنا إلا الثلث الأخير ، فحمدنا الله على إكمال نسختنا بقيه خطبتها المهمة ، لأن خطب الكتب تدل على آراء مؤلفيها ، ونحن الآن ننشر هذه الخطبة كاملة ليُمنى بنسخها من اقتنى نسخة من إتباعنا ليتمم بها خطبته المبتورة من أولها ، وتلك هي الخطبـــة بكمالها وجمالها :

بســـــــم الله الرحمن الرحيم

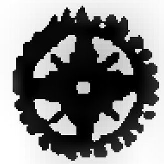
الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله إله الأولين والآخرين ، وصلى الله على سيد المرسلين ، وإمام المتقين وخاتم النبيـــين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين وذريته المنتجبين ، وعترته الهادين المهديين وسلم كثيرا .

قال عبد الواحد عليّ : هذا كتاب الإتباع والتوكيد دعانا إلى تأليفه إغفــال سلفنا إفراد كتاب فيها ، شافٍ في استيعابها وتقصّيها ، مع كثرة استعمال العرب لها ، واستعماتهم في الكلام بها ، حتى قال بعضهم ، وقد سُئل عن كلمـــةٍ في الإتباع ما معناها ؟ فقال : شيءٌ نَتِدُ به كلامنا ونقوّيه ونثبّته ، يقال : وَتدتُ الوَتِد أتِدُه وَتْداً إذا أثبتّه في حائطٍ أو أرضٍ ، فأنا واتد وهو موتود ، والواتد أيضاً المنتصب الثابتُ قال أبو دواد الإياديّ يصف بقرةً وحشيةً :

وبدت لنـــا أذُنٌ يوجّـــسُ حرّةٌ وأجمٌّ واتِدٌ

يعني قرنها ؛ وإنّما قرنّا الاتباع بالتوكيد لأن أهل اللغة اختلفوا ، فبعضٌ جعلوهما واحداً ، وأكثرهم اختاروا الفرق بينهما ، فجعلوا (الاتباع) ما لا تدخل عليه الواو نحو قولهم عَطشان نَطشان ، وشيطان ليطـــان ، و (التوكيد) ما دخل عليه الواو نحو قولهم : هو في حيلٍ وبيلٍ ، وأخذ في كلّ فن وفَنَن (١) ، ونحن بحمد الله نذهب إلى أن الاتباعَ ما لم يختص به بمعنىً يُمكن إفرادُه به ، والتوكيد ما اختصّ بمعنىً وجاز إفرادُه ، والدليل على صحة [قولنا الخ من تتمة خطبة كتاب الإتباع الذي نشرناه] .

عز الدين التنوخي



(١) الفَنَن : الفرع والغصن أو ما تشعّب منه ويجمع على أفنان ، والفنّ على فنون .

آراء واستفتاء

قد يكون مصاب العربية بأبنائها أكبر من مشكلتهم بها

لا أدري لماذا نعقّد ـ نحن العرب ـ قضايا لغتنا بلا سبب ، وهو شيء لا يفعله غيرنا من سائر أبناء اللغات ، في شرق هذا العالم وغربه .

فأحياناً نريد تسهيل القواعد ، وقد يكون في ذلك شيء من الفائدة ، لو أن التسهيل وقف عند حد مقبول معقول . ولكنه كثيراً ما يتجاوز حده ، فنقع في شر مما هربنا منه .

وتارة ، نريد أن نسهل الإملاء ، وهو إملاء سهل هيّن ، مبني على أصولٍ وقواعدَ ، ليس عند الأمم كافة شيء من مثله : سهولة ووضوحاً ، وقد ضربنا غير مرة الأمثال على ما عند غيرنا من صعوبات في إملاآتهم ، وعلى رضائهم بما عندهم ، حرمةً للغاتهم ، وحفاظاً على قدسيتها ووحدتها .

وطوراً نريد أن نخضع لغتنا إلى غيرها من اللغات ، فنحاول أن نزيد حروفاً على ما عندنا من الحروف ، ليستقيم لنا لفظ الكلمات الأعجمية ـ ولا سيما الأعلام ـ كما يلفظها أصحابها ، وليس في الأمم من يفعل هذا . فحروفنا الحلقية ـ وأكثرها لا يستطيع غربي أن يتلفظ بها ـ فما سمعنا أنه قام عندهم أحد يدعو إلى إحداث حروف جديدة معينة على التلفظ بكلماتنا . فإذا قيل : إنّا في حاجة إليهم ، فوق حاجتهم إلينا ؟ قلنا : لا ! . فالحاجات من لغوية ومعاشية واجتماعية ـ ولا سيما في يومنا هذا ـ متبادلة بيننا وبينهم على قدم المساواة .

إذا اختل ميزان الحاجة ، بأن شالت كفته عندنا من ناحية ، رجحت من أخرى . فعلامَ لا يفعلون فعلنا ، وحتىمَ لا نفعل فعلهم . ذلك لما رُكّب في نفوسنا من ضعف ، واستقر فيها من استسلام حتى في المجال اللغوي .

★ ★ ★

ثم إذا حاول مجمع من المجامع اللغوية ، أو قام لغوي من الثقات الذين يُطمأن إلى علمهم ، ويستأنس برأيهم ، فوضع لمعنى من المعاني المستحدثة ، لفظاً يليق به ، أخذاً من دواوين اللغة ، على الحقيقة أو المجاز ، أو الاستعارة أو الاشتقاق ، انبرى له من يناقشه في جزئيات ودقائق ، قد لا يكون في كثير من الأحيان من طائل تحتها .

فكأنهم يريدون أن تكون اللفظة وفاق المعنى ، كأنها موضوعة في أصلها له ، مفصَّلة على قدره ، لا تزيد عليه ولا تنقص عنه . وهذا شيء لا ينطبق على لغة من لغات العالم . وقد يكون من اللائق أن نذكر في هذا المجال بعض ألفاظ وضعها الأجانب في لغاتهم للدلالة على معان ، بَعُد ما بين حقيقة معناها ، وما وُضعت له بعداً كبيراً . ومع هذا فقد ارتضوها ، وأحلّوها في معجماتهم .

من ذلك :

١ — انسيكلوبيديا (Encyclopedie) ومعناها الحرفي (في الدائرة) ثم انتقلت إلى معنى (التربية الكاملة) فأين هذا الاسم من ذاك المسمى ؟ وقد كان البستاني يوم وضع معلمته ، حاول أن يسميها (الكوثر) لخيل بينه وبين هذه التسمية ، فأطلق عليها (دائرة المعارف) فكان في تسميته هذه ، أكثر توفيقاً ممن سمى أول ما سمّى كتابه بـ (انسيكلوبيديا) .

٢ — أكاديمية (Academie) وهذه لفظة قد تكون أكثر غرابة من سابقتها ، وأشد بعداً مما وضعت له . فالأكادية : حديقة في ضواحي أثينا كان يختلف إليها الفيلسوف أفلاطون فيجتمع فيها بتلاميذه ، يدرسهم الفلسفة . فأطلق من ثم اسم هذه الحديقة على جماعة تعمل للعلوم .

٣ — كنديدا (Candidat) يغلب أن تطلق هذه اللفظة على من يطلب عملاً ، أو يترشح له . ومعناها الحقيقي (أبيض) ذلك أن الذين كانوا يرشحون أنفسهم لعمل أو لانتخاب في رومية كانوا يلبسون أبيض[1] .

٤ — بنطلون (Pantalon) هذا اللباس الذي لا نعرف ماذا نطلق عليه ؟ قال بعضنا (سروال أو سراويل) وقال بعضنا الآخر لا بأس من تعريبه بلفظه في صيغة عربية كأن يقال مثلاً (بنطال) . وبنطلون في الأصل اسم رجل إيطالي من أهل البندقية يقال له السنيور (بنطلوني) . جاء باريس في عهد لويس الثالث عشر يمثل على ملاعبها ، وهو في زي بلاده ، يلبس السراويلات الطويلات ، في حين كان الافرنسيون يلبسون السراويلات القصيرات ، أو التبابين . فقلدوه في لباسه . وتسمّى هذا اللباس باسمه . وكان أول من لبسه منهم الجند . ثم عمَّ . فلبسه الأهلون بعد ثورة سنة ١٧٨٩ .

٥ — الغيوتين (Guillotine) وضع المعربون لها المِقصلة (من قصل أي قطع) وهي آلة كانت تستعمل لقطع الرؤوس . والكلمة مأخوذة من (غيوتين) اسم طبيب افرنسي اخترع هذه الآلة . وشقوا منها فعلاً فقالوا (Guillotiner) ثم تصرفوا بالفعل فكان منه اسم وصفة .

(١) ولم يبق من المعنى الحقيقي لمادة (Candidat) سوى (Candide) تطلق على الرّجل (أبيض القلب) . (سليم الطوية) . أو هو الخدّعة بضم فسكون . وهو النقي يخدع .

٦ — بيرو (Bureau) ترجمت إلى العربية بمعنى مكتب ، وهي منضدة ذات ادراج . ثم استعيرت للغرفة يوضع فيها هذا المكتب ، ثم لغرفة الأعمال ، فغرف الوزارات ، فغرف الاجتماعات ، إلى غير ذلك مما يطول شرحه . أما (البيرو) بمعناه الوضعي ، فهو قطعة من الصوف الغليظ .

٧ — البيده (Bidet) هو الحصان الصغير (وقد يكون النغل) استعاروها للمرحاضة يُقعد عليها . فأين هذا المعنى من هذا الاستعمال ؟

٨ — بوده (Baudet) ومعناها الحمار استعاروها لصقالة من خشب أو حديد ذات أرجل ترفع عليها الألواح . ومن غريب الاتفاق أن العرب استعملوا هذا اللفظ نفسه ، لهذا المعنى نفسه . واستثقلت العامة هذا الاستعمال فحوّلت الحمار إلى الجحش . وأحسنت إذ هو أقرب في وضعه وعلوه إلى الجحش منه إلى الحمار . ويقول العلامة أحمد رضا العاملي رحمه الله في هذه اللفظة ، (وهل الجحش إلا ابن الحمار) .

٩ — البرلمان (Parlément) لفظة غريبة الوضع ، غريبة الاشتقاق ، أخذت من (Parler) على غير قياس . وشقوا منها فعل فقالوا (Parlementer) وقد يكون الانكليز أول من استعملها .

١٠ — لونات (Lunettes) ومعناها قُميريات . استعملوها لهذه الزجاجات التي تكبر المرئيات لشبه في الاستدارة ليس غير . على ما بين (القمر) أو (البدر) وبين هذه الآلة من فرق .

أما العامة عندنا ، فقد استعملت لهذه الأداة المكبرة للأشياء ، والمساعدة للعين على النظر (العوينات) . وهو استعمال موفق . إلا أن الخاصة انتقدت هذا الاستعمال بأنه خطأ وأنه كان يجب أن يقال : « العيينات » لا « العوينات » . وكأن العامة استثقلت أن تجمع بين يائين متعاقبتين فأبدلت بالواو الأولى ياء . وهذا ما كانت تفعله العرب قديماً . فلم تقل في تصغير (واصل) (وويصل)

بل قالت (أويصل) . كما قالت (الدُجية) وهي الظلمة ، بدلاً من (الدجوة) و (الدجية) واوية في أصلها ، كما هو معلوم . وقال الرسول (ﷺ) في كتـابه إلى هرقل : أدعوك (بدعاية) الإسلام : أي بدعوته ، وهي الرواية الراجحة . ولم يقل (بدعاوة) الإسلام . كما قالوا (تُخَمة) من (وخم) و (تراث) و (ورث) .

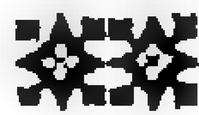
١١ — سندويش (Sandwich) سموا بها هذه اللقمة العجلاء التي يأكلها المسرع . وسندويش في أصلها اسم لمجموعة من جزائر الاتلنتيك نُسب إليها رجل كان يقامر ويستعمل هذه (الشطائر) كي لا يفارق مائدة القمار . والشطائر جمع شطيرة ، وزن فطائر وفطيرة ، أفضل ما يستعمل للفظ السندويش .

وقد يكون الزميل العز التنوخي نائب رئيس المجمع العلمي أول من استعملها .

هذا شيء يسير من تحويل الألفاظ عن معانيها الحقيقية إلى معانٍ (مجازية) حتى انتهى الأمر بأن تُنوسي المعنى الحقيقي في كثير من الأحيان ، وقام مقامه المعنى المجازي .

هذا ما جرى ويجري عند سائر الأمم . وهو ما جرى عليه العرب من قبل ، ولا بد لنا « اليوم » من أن نتبع هذه الخطوات ، على أن تقر المجامع العلمية ، ما عسى أن يضعه الأفراد من ألفاظ ، بعد دراسة وتمحيص .

عارف النكدي



تحقيق حول لفظتي
المرافد والمشادّ

قرأت في الجزء الثامن من المجلد الأربعين ـ نيسان سنة ١٩٦٥ ـ من مجلة المجمع العلمي العربي مقالاً طيباً للأخ الصديق الأستاذ ظافر القاسمي تحت عنوان « مصطلحات شدياقية » عني فيه صاحبه بإيراد عشرات وعشرات من الألفاظ التي استعملها الشيخ أحمد فارس الشدياق لأول مرة في كتابيه الطريفين : « الواسطة ، في معرفة أحوال مالطة » . « وكشف المخبا ، عن فنون أوربا » .

وقد كان جميلاً من صديقنا القاسمي ، ابن المفسر ، وحفيد المحدّث ، أن يستنبط الطرق التي سلكها الشدياق في بث المفردات والمصطلحات التي سبق بها أعلام النهضة في القرن التاسع عشر ، كما كان جميلاً أن يتتبع تلك المفردات على سبيل تكاد تكون أقرب إلى الحصر ويتّقي ورودها متتابعة في الكتابين ، فانه بذلك قد كشف لنا عن فضل الشيخ أحمد فارس في حركة الترجمة والتعريب لألفاظ الحضارة الحديثة ، وفي بعث ألفاظ عربية ، كانت خبيئة في المعجم العربي ، تقابل المصطلحات الأعجمية .

والحق أن عمل الشيخ أحمد فارس الشدياق في هذا المجال اللغوي التعبيري شبيه بعمل الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي الذي يتجلى واضحاً في كتاب رحلته المشهور « تخليص الإبريز ، إلى تلخيص باريز » ، والذي كان سابقاً على عمل الشدياق في رحلتيه إلى مالطة وأوربا .

ولسنا الآن بسبيل الموازنة بين الرجلين ، فقد كانا في مجال وضع مصطلحات الحضارة الحديثة فرسي رهان ، وإنما أردت أن أذكر ـ من باب التلازم

أو تداعي المعاني ـ ما يقتضيه الإنصاف لعلمين من أعلام نهضتنا الحديثة تعاصرا ، وتقابلا ، وحررا في « الوقائع المصرية » . وأعجب كل منهما بصاحبه وشق كل منهما في الحياة طريق الإمامة ؛ فالطهطاوي إمام النهضة الفكرية ، والشدياق إمام النهضة اللغوية .

وإني لأتمنى على الصديق القاسمي أن يتبع الفضل بفضل ، فيكتب لنا مقالاً آخر عن « مصطلحات طهطاوية » يتتبع فيه الألفاظ والمصطلحات الكثيرة التي وضعها الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي ، سواء في إبريزه أم في كتبه الأخرى ، فانه سيتحف قراء مجلة المجمع العلمي العربي بحصيلة عظيمة من المفردات والمصطلحات التي سلك فيها مسلك التعريب حيناً ، والترجمة أحيانا . وإني على ثقة أننا سنخرج من قراءة المقالين ـ بعد استجابة القاسمي الكريم لرجائنا ـ بمقارنات ذات قيمة فى حركة الترجمة والتعريب في النصف الأول من القرن الماضي ...

فقد ماتت مثلاً عبارة « التذاكر اليومية (١) » التي وضعها الشيخ رفاعة في مقابل لفظة « Journeaux » الفرنسية ، وبقيت ـ أو بقي شطر ـ عبارة : « صحيفة (٢) الأخبار » التي وضعها الشيخ فارس الشدياق .

وماتت عبارة « خزائن المستغربات (٣) » التي وضعها رفاعة الطهطاوي في مقابل لفظ (Le Musée) الفرنسية ، وعاشت لفظة « مُتْحَف » (٤) التي وضعها الشدياق بدلاً منها .

---

(١) انظر تخليص الابريز ص ١٤٤ .
(٢) انظر كشف المخبا ، عن فنون أوربا ص ١٦٢ .
(٣) انظر تخليص الابريز ص ١٣٥ .
(٤) انظر كشف المخبا ص ٢١٥ .

وستوضح لنا المقابلة بين فارس الشدياق ورفاعة الطهطاوي ـ لو أنّ لنا ما تمنيناه على الأستاذ ظافر القاسمي ـ كيف كان الشدياق يؤثر ترجمة المصطلحات على تعريبها حين يكون له في الترجمة منادح ، على حين كان الشيخ رفاعة يميل كثيراً إلى تعريب اللفظة الأعجمية ـ أعني الأجنبية ـ بما يكاد يقرب من لفظها الأجنبي . فالطهطاوي يستعمل كلمة « فاميلة » تعريباً للفظة Famille الفرنسية ، مع أن كلمة « أسرة » هي المقابل العربي الفصيح لها . وكثيراً ما كان يُدخل الشيخ رفاعة هذه الألفاظ المعربة في شعره ، كقوله :

ومذ زهت الأفراح قلت مؤرخاً بهيج العلا تأهيل « فاميلة » الملك (١)

وكقوله في القصيدة نفسها يصف « البال » التي عربها عن لفظة Bal الفرنسية بمعنى محل الرقص :

وملعب « بال » بالحسان منعم عيون غوانيه تغازل بالفتك

وقد ظلت لفظة « البال » مستعملة بعد الطهطاوي بعشرات من السنين ، وآثر الشاعر أحمد شوقي أن يستخدمها في عنوان لقصيدته « أثر البال في البال » التي نظمها في وصف ليلة راقصة بقصر عابدين ...

ولم يكن الشيخ رفاعة وحده مؤثراً للتعريب على الترجمة ، فمن مأثورات فارس الشدياق ألفاظ معربة غير قليلة كاستعمال لفظة « هسبيتاليتي » بمعنى قرى الضيف ، و « طوست » تعريباً لكلمة Toast الانجليزية ، و « بنك » وإن كان ترجمه بعد ذلك بكلمة « مصرف » .

ولقد لفت نظري في مقال الأستاذ ظافر القاسمي أنه وقف عند لفظة « المرافد » التي استعملها الشدياق مشيراً إلى قلة استعمالها في عهده لقلة

(١) انظر كتاب « الكواكب النيرة » لرفاعة الطهطاوي ، طبع بولاق سنة ١٢٨٩ هـ .

استعمال السوالف المجعدة . وعلق القاسمي على لفظة « المرافد » بقوله : (ولعل من عنده علمها يعلمنا) .

ويسعدني أن أقول هنا لا متعالماً على الصديق العالم الذي غاه الله إلى نبعة العلم الأصيل ، بل مستذكراً معه بعض قراءاتي من مؤلفات أحمد فارس الشدياق أن الرجل استعمل كلمة « المرافد » ـ في كتابه الساق على الساق ـ لـكل ما تعظم ، أو تضخم به المرأة عجيزتها جذباً لعيون الرجال .... وللشدياق في هذا المجال كلام من إحماضه الذي لا يليق ذكره هنا ، ولعل الرجوع إليه في موضعه من الساق على الساق أولى ، فهو هناك في صفحة ١٩٩ من الطبعة المصرية .

وقد أورد الشدياق للمرافد بضعة من المترادفات ، منها الزناجب ، والمنافج ، والرفائع ، والنلاثل ، والمرافق ، والعُظّامات ، والحشايا ، والأضاخيم ، والمصادغ .

أما الزناجب ـ بالزاي المعجمة والنون والجيم والباء الموحدة التحتية ـ فجمع (زنجبة) وهي : العُظّامة ـ بالعين المضمومة والظاء المعجمة المشددة ـ كما جاء في القاموس المحيط باب الباء فصل الزاي .

وأما المنافج ، فهي العُظّامات أيضاً ، وامرأة مُنفَج الحقيبة ضخمة الأرداف . ولم أهتد إلى مفرد المنافج ، وقد أوردها الفيروزابادي على صيغة الجمع ، ولم يشر إلى مفردها . ولكن « المعجم الوسيط » ذكر أن مفردها : مِنفج ، ومِنفجة ـ بكسر الميم في الحالين ـ وعرّفها بأنها ما تعظم به المرأة عجيزتها .

أما الرفائع فهي جمع رفاعة ، وقد ذكرها صاحب « المخصص » في باب « لباس النساء وثيابهن » . وفي القاموس المحيط ان (الرفاعة ، ككتابة ، ويُضم : العُظّامة) .

والغلائل جمـع غلالة ـ ككتابة ـ وهي : المُظّامة ، كما ورد في القاموس المحيط .

والمرافق جمع مِرفقة ـ بكسر الميم ـ وهي : المخدة ، ولم أجد نصاً على تخصيصها بالعظامات إلا عند فارس الشدياق ، ولعله استعملها على سبيل المقاربة لأن العظّامة لا تعدو أن تكون مخدة ، أو حَشِيَّةً تعظم بها المرأة عجيزتها . ومن هنا استعمل الشدياق أيضاً كلمة « حشية » وجمعها : حشايا ، للعظّامة ولكنه جاء بها من القاموس المحيط الذي نصّ على أن الحشية : « مرفقة ، أو مصدغة تعظم بها المرأة بدنها أو عجيزتها » . ومن هنا أيضاً كان الشدياق على حق حين جعل المرفقة مقابلة للرفد وللعظامة . وإن كان هذا المعنى لم يرد في القاموس المحيط في مادة « رفق » ، ولكنه جاء في غير مظنته ، أي في مادة : حشا .

ولقد فات الشدياق ـ وهو الذي كان يحفظ القاموس المحيط عن ظهر قلب ـ أن يشير أيضاً إلى أن لفظ « المحشى » ـ بكسر الميم وفتح الشين ـ هو من مرادفات الرفد .

أما المصادغ فجمع مِصدغة ـ بكسر الميم ـ على وزن مكنسة ، وهي : المخدة ، كما جاء عند الفيروزابادي مادة « صدغ » ، ولكن النص على تخصيصها بما تعظم به المرأة عجيزتها جاء في مادة : حشا ، كما جاءت لفظة المرفقة ، كما سلف القول .

أما الأضاخيم فجمع : أضخومة بالضم ، وهي عظّامة المرأة ، كما جاء في القاموس ، وقد فات الشدياق مرادفات أخر لرفد المرأة ، وقد جاء بها ابن سيده في المخصص ، وهي : العُظمة ، بضم العين ، والعِظامة بكسر العين وتخفيف الظاء ، والعظيمة ، والإعظامة ـ وجمعها : أعاظيم ، والعِجازة بكسر العين ، والإعجازة .

وبهذه المناسبة جاء في الجزء الثالث من مجلة المجمع العلمي العربي بحث مفيد تحت عنوان «مصطلحات جدد لكلمات إفرنجية»، بقلم الأستاذ محمد صلاح الدين الكواكبي. وقد ترجم فيه لفظة (Corset) بلفظة : أضخومة، أو أعظومة . وفسره بأنه «عظامة المرأة، أي ما تعظم به عجيزتها»، وليس الكورسيه لإعظام العجيزة، ولكنه لضم الأرداف واعتصار لحمها ... فهو لعمل آخر غير ما صنعت من أجله المرافد والأضاخيم . والحق أنهما عملان متضادان ... وقد كانت لجنة المجلة ـ حفظها الله ـ على حق حين علقت على ترجمة الأستاذ الكواكبي وتعريفه، بما أقرت به الأمر في نصابه . فهو تعليق جدير بالإشارة إليه، والثناء عليه .

محمد عبد الغني حسن



أمثلة

من الأغلاط الواقعة في لسان العرب

– ٧ –

(٦٩)

في الكلام على حرفي الهجاء الطاء والظاء قال : وتكون الطاء أصلاً أو بدلاً [لا يقدّم مثالاً ولكنه يعني أمثال اطّيَّرَ من تطيّر أبدل من التاء طاء وأدغمت في الطاء التي بعدها وزيدت همزة الوصل لدفع الابتداء بالساكن] وقال الظاء لا تكون بدلاً ، [والصحيح أنها تكون فاظّلّم من تظلّم مثل اطّيّر من تطيّر ـ الظاء بدل من التاء .] .

وفي مادة حتّ يقول ا ن ت د ط ظ الخ من حروف البدل .

* * *

(٧٠)

مادّة ف ض ل — فضيل

في ثلاث صفحات فيها تكرير كثير لا يذكر لفظة فضيل ومعناها ذو الفضل ، مع أنها واردة في شعر الأعشى ورواها المبرّد في الكامل . وهي فعيل بمعنى الفاعل :

وعلمتُ أنّ النفس تلقى حتفها　　ما كان خالقُها الفضيلُ قضى لها

* * *

(٧١)

مادّة ض ر ب

أورد شاهداً على ضريب بمنى الشُّهْد :

تَدِبّ حُمَيّا الكأس فيهم إذا انتشَوا   دبيبَ الدُّجى وَسْطَ الضريبِ المسَّلِ

لا بُدّ لنا من التخمين لكي نعرف كيف وقع الحيف على ابن منظور فالأرجح أن الكلمة التي يجب أن تكون مكان الدجى لم تكن واضحة فأنعم الناشر نظرَهُ فيها وقال « لفظة ثلاثية أوّلها د وآخرها ي » وأخذ يعدّ من الهمزة إلى الياء فبدت له ثلاث كلمات دُجى دُمى دُنى فقال الدنى لا تدب والدمى لا تدب أما الظلام فإنّهُ يدبّ فجاءَ في البيتِ « دبيبَ الدُّجى » أي سورة الشراب تدِبّ في الشاربين كما يدِبّ الظلام وسطَ العَسَل . ولو خطر ببالِهِ أنّ النمل يُقال لهُ الدَّبَى ما ظلم ابن منظورٍ هذا الظلم .

* * *

(٧٢)

مادّة ضرب وسفق ــ سفيقة ، ضريبة .

لا يذكر سفيقة ولا ضريبة بمعنى القطعة الطويلة الرقيقة ، والقاموس ذكر سفيقة في س ف ق وذكر ضريبة في تفسير سفيقة ولكنه لم يذكرها في بابها .

قال المجد : السفيقة الضريبة الدقيقة الطويلة من الذهب والفضة ونحوها .

* * *

(٧٣)

قال : جثم وقع على صدرِهِ واستشهد بأبي النجم « إذا الكماةُ جثموا على الرُّكَبِ » .

فما معنى هذه الشهادة ؟ الخطأ هنا في الترتيب فالشاهد وجب أن يؤتى بهِ بعد الجملة السابقة .

* * *

(٧٤)

مادّة ودق — استودق .

لا يذكر لفعل استودق إلاّ معنى واحد : استودقت الناقة اشتهت الفحل . على أنه يستعمل هذا الفعل في تفسير (اجتمل) بمعنىً آخر . قال الاجتمال أنْ تشوي لحماً فكلّما وكَفَتْ إهالتُه استودقتَه على خبزٍ ثم أعدْتَه (إلى النار) ومعنى استودقتَه وكَّفتَه أي جعلتَه يقطر .

وفعل (وكَّفْتَه) لا يذكره اللسان في مادّة وكف ، بهذا المعنى بل يقول وكّف الدابة وضع عليها الوِكاف ، ووكّف الوِكاف عملَه . والمجد لم يذكر غير هذا ، لذلك لا نرى المعنى الآخر في الذين نقلوا عنها . على أنّ ابن منظور استعمل هذا الفعل بهذا المعنى في تفسيره « الجميل » . قال : « الجميل الشحم يُذاب فكلّما قطر وُكِّفَ على الخبز ثمّ أُعيد » . [وُكِّف بضم الواو رباعي مبني للمجهول الفاعل] .

* * *

(٧٥)

مادّة ج ث م .

روى المبرّد للأعشى : « أبَوْا غيرَ ضرب يُجثِمِ الهامَ وَقعُه » .

الأعشى موضع ثقة اللسان أي أن صاحب اللسان والذين أخذ عنهم كانوا يتخذون الأعشى حجّة — والمبرّد من الذين يذكرهم اللسان بقوله قال المبرّد . والبيت ليس فيه شذوذ . ومع هذا لا يذكر أجْثَمَ (بزيادة الهمزة لتعدية (جثم) مثل جلس وأجلس ووقع وأوقع الخ .) .

* * *

(٧٦)

مادّة ح ث ث — أحَثّ .

يذكر احتث واستحث وحثّثَ ولا يذكر أحَثّ — الفيروزابادي

ذكرَهُ ، والمبرّد ذكرَهُ في بيت للبَهْراني :

إذا ما حُدينَ بمدح الأمير سبقنَ لحاظ المُحيثّ العَجِلْ

والبَهراني من الذين استشهد بهم اللسان وفسَّرَ شعرهم ـ انظر س ف ه .

★ ★ ★

(٧٧)

مادّة ع ق ل ـــ عُقلة .

قال : « لفلان عَقْلة يعقِل بها الناس يعني أنّه إذا صارعهم عقَلَ أرجلهم وهو الشّغزبيّة [ولكي يُفهم قصدُهُ يجب أن يُرَدّ القارئ إلى ما سبق صرعَهُ الشغزبيةَ وهو أن يلوي رجلَهُ على رجلِهِ » .

وقال أيضاً : « ويُقال به عُقْلة من السحر وقد عُمِلَت له نُشْرة » ـ ولا يفسّر لأنّ الطالب يَسْتَنتج ـ هذا ما قاله عن العُقلة . ولكنّهُ ذكر معنىً آخر لهذه اللفظة في تفسيره حُبْسَة ـ قال هناك « العُقْلة التواء في اللسان عند إرادة الكلام » تفسير صحيح ساعد على إفهـــام معنى حُبْسة ولكن الواجب كان أن يُذكر أيضاً في مادّة ع ق ل .

وفي بداية هذه المادّة قال : العَقْل الحِجْر والنُّهى ضِدّ الحُمْق .

(١) العقل ضدّ الحمق وغير الحُمْق كالفَكّ والجهل .

(٢) العَقْلُ ، مصدراً ، ضدّ الحمق لأنّ الحُمْق مصدر حَمِق : مصدر يقابل مصدراً ولكن العقل بمعنى الحِجْر [اللّب لإمساكه ومنعه وإحاطته بالتمييز.] .

والنُّهى [أي الألباب] ليس ضدّ الحمق ـ لأن الحِجْر والنهى من قُوى الإنسان الروحية أو من وظائف النفس أو قلْ ما شئت ولكن لا الحِجْر مصدر ولا النُّهى بدليل أن النُّهى جمع وأن الحِجر يُجمع ، ولكن الحمق لا يجمع لأنّهُ مصدر . فالخطأ هنا من عدم التدقيق في التعبير والمعجم لا يجوز أن يكون فيه إخلال بدقة التفسير .

يتبع : (سنپولو) توفيق داود قربان



تصويبات الجزء الأول والثاني من المجلد (٤١)

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٦	٤	لدى الفقهاء	لدى النقّاد
٢٦	٩	صلة تشريف	صفة تشريف
٢٧	١٠	بأكثر المقصورة	بأكثر المقصور
٣٤	٥	أن يختاطوا	أن يحتاطوا
٣٤	٢١	بمقام الأسف	مقام الأسف
٣٩	٤	في قول الشعر	إلى قول الشعر
١١٩	١٨	الجزئيات	الجزيئات
١٢٥	٤	وأن تكليفه	وأن يكون تكليفه
١٢٧	١٩	الكلام	الطعوم
١٣٣	٥	لون الحدس	لون العدس
٢٤٩	٤	فني	فتي
٢٥٦	١٩	يقبل ذا الجدارا	يقبل ذا الجدارَ
٢٦٧	٦	أسيَّة	آسية
٢٧٦	٤ (من الحاشية)	أو التباس	أو التباساً
٢٨٠	١١	الروابة الثقة	الراوية الثقة
٣١٣ — ٣٢٤		في المقال الذي عنوانه « أبو عبد الله المقري » وردت نقط مختلفة العدد بين الجمل كان يجب إزالتها لأن وضع بضع نقط في جملة أو بعد جملة من الجمل لا تكون إلا للدلالة على تخطي قسم من النص إلى ما يثبت منه بعد النقط . وقد اعتاد بعض الكتاب وضع نقطتين أو أكثر جزافاً من دون أن يكون هنالك نص تجاوزوه .	
٣٢٥	٢	معركة ذات الصوارى	معركة ذات الصواري
٣٢٩	حاشية (٤)	Les Barbars du grand invi·ion aur Conquest Turque	Les Barbares des grandes invasions aux Conquetes turques





